# الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها خلال القرن

## الرابع الهجري / العاشر الميلادي

هلز عنتر ولي المزوري



www.darsafa.net



﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

# الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها

## خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي

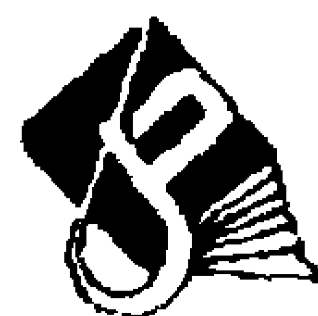
# الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها

## خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

هلز عنتر ولي المزوري

الطبعة الأولى

2013م - 1434هـ



دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان

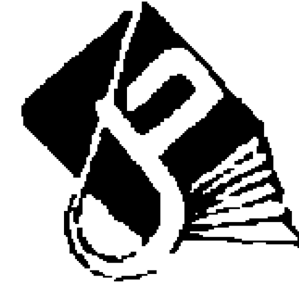
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2011/11/4224)

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



**الطبعة الأولى**

**2013م - 1434 هـ**



**دار صفاء للنشر والتوزيع**

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري - تلفاكس 4612190 6 962+
هاتف: 4611169 6 962+ ص.ب 922762 عمان - 11192 الأردن

***DAR SAFA*** **Publishing - Distributing**
**Telefax: +962 6 4612190 -Tel: + 962 6 4611169**
**P.O.Box: 922762 Amman 11192- Jordan**
**http://www.darsafa.net**
**E-mail :safa@darsafa.net**

**ISBN 978-9957-24 -416 -3 ردمك**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

**سورة يوسف: الآية 76**

# الإهداء

إلى والديّ الأعزاء....

وزوجي الغالي...

وأساتذتي الأحباء...

أهدي جهدي المتواضع هذا...

# ثبت المحتويات

## الفصل الرابع

## العمارة المدنية

# المقدمة

يدرس هذا البحث تاريخ العمارة في قرطبة وضواحيها خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مركزاً على العمائر والأبنية الإسلامية حصراً في إقليم قرطبة، في محاولة لدراسة أحد الجوانب المشرقة في تراثنا العربي الإسلامي العريق في الأندلس، لاسيما وأن هذا العصر في العالم الإسلامي عموما، يشكل عصر النهضة في الإسلام كما أطلق عليه المؤرخ أدم متز[1].

وتهدف هذه الدراسة الى معرفة العوامل المحركة للنشاط العمراني إبان القرن الرابع الهجري، للوقوف على الأرضية المناسبة لنجاح وتطور الحركة العمرانية. كذلك محاولة استجلاء دور الخلافة الأموية باعتبارها صاحبة القرار، فضلا عن دور المجتمع الإسلامي في قرطبة عاصمة الخلافة، في مساندة ومواكبة النهوض الحضاري الكبير الذي شهدته هذه المدينة خاصة والأندلس عامة.

وزيادة على ذلك يرمي البحث الى معرفة مجمل النشاط العمراني السابق لمدة البحث وما جرى عليه من تحديث وتطور خلال مدة الدراسة. ثم تناول أهم المستجدات والمستحدثات العمرانية التي حصلت في عصر الخلافة الأموية بشكل تفصيلي منذ بداية هذا العصر في مطلع القرن الرابع الهجري وحتى نهاية الدولة العامرية سنة (399هـ/ 1008م).

---

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوعصر النهضة في الإسلام، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957، ج1.

وعلى الرغم من توفر عدد مـن الدراسـات التاريخيـة الـسابقة عـن مدينـة قرطبة قام بها عدد من الكتاب الإجلاء أمثال السادة عبـد العزيـز سـالم، ومحمـد عبد الله عنان وحسين مؤنس وعبد الوهاب خلاف وغيرهم من الكتاب المحدثين. عن هذه المدينة العريقة، باعتبارها إحدى القواعد الأندلسية الرئيسة فـضلا عـن كونها عاصمة الدولة الأموية لما يزيد عن قرنين ونصف من الـسنين. فـأن إعـادة الكتابة في الجانب العمراني لهذه المدينة وريفهـا يـستحق الكتابـة فيـه، لأهميتهـا الحضارية بالنظر للـدور الكـبير الـذي قامـت بـه عـبر عهـود المـسلمين كافـة في الأندلس، ولاسيما القرن الرابع الهجري، الـذي شـهد نهـضة شـاملة في معظـم نواحي الحياة الأندلسية تحتاج الى تقويم جديد. وكذلك إضـافة مـا اسـتجد مـن دراسات ومعلومات تاريخية حديثة أغنت البحث العلمي[1]. وزيادة علـى ذلـك ان هذا البحث يدرس إقليم قرطبة أي المدينة وريفها في عصر الريادة الأمويـة او ما يصطلح عليه البعض (عـصر سـيادة قرطبـة)[2]. وهـذا يعـني ان هـذه الحقبـة التاريخية المشرقة الواقعة بين عهدين مـن الاضـطراب والفـتن الـسياسية جـديرة بالدراسة، للوقوف على العوامل المحركة لازدهارها وتطورها.

وقد ضم البحث على تمهيد وأربعـة فـصول وخاتمـة، ركـز التمهيـد علـى الجانب الجغرافي والتاريخي لمدينة قرطبة، لاسيما ما يتعلق بموقع قرطبة وطبيعتهـا

---

(1) ينظر على سبيل المثال: سلمى الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، بـيروت، مركز دراسات الوحدة العربيـة، 1999، جـزءان، أوليفيـاريمي كونـستبل، التجـارة في الأنـدلس، ترجمة: فيصل عبد الله، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، وديع أبو زيدون، تاريخ الأنـدلس مـن الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأردن، الأهلية للنشر، 2005.

(2) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط5، بيروت، دار الثقافة، 1978.

الجغرافية في الأندلس مع دراسة ملامح التخطيط العمراني للمدينة وارباضها بشكل عام.

واحتوى الفصل الأول من الكتاب على العوامل التي أدت الى تقدم وازدهار الحركة العمرانية في قرطبة. وقد حددها البحث بثلاث عوامل رئيسة هي العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وتضمن الفصل الثاني موضوع العمارة الدينية الذي درس عمارة المساجد الجامعة في قرطبة والزهراء والزاهرة. وقد كان التفصيل في المسجد الجامع بقرطبة كبيرا لمكانة هذا المسجد في الأندلس، وتوفر المعلومات عنه بشكل وافي ولكنه يعتبر المعلم البارز ليس فقط على مستوى الأندلس وانما في العالم الإسلامي قاطبة، وهذا لا يلغي دور بقية المساجد الجامعة الأخرى، وكذلك دراسة المساجد العامة التي بناها الخاصة والعامة لأغراض الأجر والثواب، فضلا عن دراسة عمائر دينية أخرى يمكن ملاحظتها في متن الكتاب.

ودرس الفصل الثالث العمارة العسكرية بقرطبة مركزاً على أهم وسائل وعناصر العمارة الحربية كالأقاليم التي كانت بمثابة الثغور للمدينة، والحصون والأبراج والخنادق والأسوار والأبواب. فضلا عن دراسة المدينتين الملكيتين (الزهراء والزاهرة) التي يسميها البعض بالقلاع[1]. فإنها لا تخلو من لمسات أمنية أو عسكرية لحماية ولاة الأمر من الأخطار الداخلية او الخارجية المحدقة بقرطبة خاصة والأندلس عامة.

---

(1) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1988: 1/ 450.

وتطرق الفصل الرابع الى العمارة المدنية، وقد شمل عدة جوانب عمرانية أهمها:

أولا: دراسة عمارة القصور بفرعيها القصر الخلافي مركز السلطة الأموية، والقصور الخاصة التي أتخذها كبار رجال الدولة مستقراً لهم. فضلا عن بعض القصور التي بنيت لاستضافة كبار زوار الدولة وسفرائها من الخارج.

ثانيا: درس هذا الفصل دور العامة وهيئة المنزل الأندلس ومكوناته.

ثالثا: تناول استحداث المدينتين الملكيتين السالفتين الذكر في أطراف قرطبة اللتان شكلتا قرطا قرطبة.

رابعا: بحث هذا الفصل مشاريع الخدمات العامة وهذه تشمل جوانب عديدة أهمها دراسة عمارة الأرصفة والطرقات، ثم إنشاء الأسواق والفنادق او الخانات. فضلاً عن مشاريع الخدمات الصحية مثل حفر وبناء مشاريع المياه المتمثلة بالأقنية والقناطر والسدود والمنابر أو الارحاء. وكذلك بناء الحمامات ودور التطبيب ودور العلم والمكتبات ودور الصناعة كدار السكة ودار البرد والطراز ودور صناعة التحف والآلات المعدنية. ودرس هذا الفصل أخيرا إنشاء السجون والمقابر أيضا.

ولا تخلو دراسة هذا البحث التاريخي من الصعوبات ومشاكل لعل أبرزها ان دراسة العمارة في أي بقعة من العالم، تحتاج الى معرفة او تحديد الزمان والمكان فغياب أي منهما او الاثنان معاً يحدث خللا مهما فتحتاج الى معرفة واستكشاف القرائن والدلالات لمعرفة العصر والمكان الذي جرى فيه هذا النشاط العمراني. ويتأتى ذلك من خلال الإطلاع الواسع على المصادر القديمة

والمؤلفات الحديثة بغية إجراء مسح شامل لإعطاء تصور واضح قـدر المستطاع. كذلك ان دراسة مادة العمارة في قرطبـة تحتـاج الى توثيـق الـشكل او الهيئـة مـع الروايـات التاريخيـة او التوائيـق التـاريخي لهـا. فأحيانـا كـثيرة لا يهـتم الكتـاب والمـؤرخين بـذكر الـشكل او الهيئـة مكـتفين بالتـأريخ للعمـارة ولاسـيما في موضوعات إنشاء المتنزهات ودور السكة والبرد والطراز ودور العلم والتطبيـب والسجون والمقابر. وأخيراً لدينا الكثير من العمائر والمنشات سبق بناءهـا مـدة البحث واستمر استخدامها لاحقاً في القرن الرابع الهجري فاحيانا كثيرة لا تـذكر المصادر المتوافرة أية معلومات عن تطويرها وتحديثها ما عدا البارزة منها لاسـيما عمـارة المـسجد الجـامع بقرطبـة وقنطـرة قرطبـة ومـا شـابه ذلـك مـن العمـائر الرئيسة فقط.

وقد أعتمد البحث على جملة كبيرة من المصادر العربية الاندلسية والمغربيـة والمشرقية والمراجع الحديثة العربية والمعربة، هذا فضلا عن أعداد مـن الـدوريات والمقالات المتخصصة في هذا المجال.

وفي محاولة لتحليل أهم المصادر الأولية بأنواعها، والتي انتفـع بهـا البحـث بشكل كبير فسوف نعرضها ونحللها بحسب قدمها الزمني وأهميتها لمـادة الكتـاب وتأتي في مقدمة تلك الكتب:

كتب التراجم والطبقات التي تعـد أهـم فـروع التـاريخ الإسـلامي، فهـي معاجم تاريخية تضم سير العلماء والفقهـاء والأدبـاء وغيرهـم، أذ تتبـع حيـاتهم الخاصة في المدن والأسواق والأزقة والمساكن فهي لهذا تـضم معلومـات متنوعـة كانت إفادة الكتاب منها كبيرة ومن تلك الكتب.

كتاب قضاة قرطبـة، لأبـي عبـد الله محمـد بـن حـارث بـن اسـد الخـشني

(ت 361 هـ/ 973م)، حيث كان له أهمية في التعرف على القضاة الذين كانوا قد عملوا أئمة في المسجد الجامع بالزهراء مثل القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي عيسى، والقاضي المنذر بن سعيد البلوطي، الأمر الذي يشير إلى استمرارية نشاط المسجد الجامع في الزهراء لحين عصر الخليفة الحكم المستنصر (350 هـ/ 961م- 366هـ/ 976م)، كما كان لهذا الكتاب أهمية في تبيان بعض مساجد قرطبة العامة ومواقعها ومرتاديها[1].

كذلك كتاب طبقات الأطباء والحكماء، لأبي داود سليمان بن حسان بن جلجل (ت 377هـ/ 987م)[2]، اذ أفاد البحث في الإشارة الى بعض تراجم الأطباء، أمثال الطبيب محمد بن تمليح، الذي كان له دور كبير في الزيادة الحكمية في المسجد الجامع بقرطبة. هذا فضلا عن تحديد أسماء بعض المساجد العامة التي سكن بالقرب منها بعض الأطباء في عصر الخلافة.

أما كتاب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي (ت 403 هـ/ 1012م)، الذي يعتبر من كتب التراجم التي اعتمد مؤلفها على منهج التسلسل حسب الحروف الأبجدية لذكر التراجم، وكان خير عون في معرفة سيرة العلماء والرواة في قرطبة ورواياته ترقى الى مرتبة شاهد عيان لأنه عاش معظم القرن الرابع الهجري، هذا فضلا عن إفادة البحث بأسماء مواقع بعض المساجد في قرطبة ومن قام ببنائها من الشخصيات، هذا فضلا عن إشارته الى أسماء بعض الدروب كدرب بني فطيس ودرب بني

---

(1) قضاة قرطبة، مصر، الدار المصرية للتراث، 1966، ص118- 120.

(2) طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي، 1955.

الأشهب[1]. كما أشار الى حارات (حومات) مدينة قرطبة مثل حارة النشارين وحومة مسجد ام سلمة نسبة الى مسجد ام سلمة[2].

ويعد كتاب الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت 578هـ/ 1182م)، من الكتب التي اتحفتنا بنصوص تاريخية مهمة، قلما نجدها في كتب أخرى ولاسيما فيما يتعلق بأحوال العلماء وتراجمهم، إذ ترجم لرجال من مختلف الطبقات سواء كانوا من القضاة او العلماء و الفقهاء او من الأمراء والخلفاء، هذا فضلا عن تحديده أسماء بعض الحومات في مدينة قرطبة كحومة النشارين والرقاقين[3]، كما أكد قيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (371 هـ/ 981م- 392 هـ/ 1001م) ببناء المسجد الجامع في الزاهرة بحيث أشار الى إن المقرئ محمد بن احمد بن العطار كان قد سمعه الناس وهو يقرئ في المسجد الجامع المذكور[4]. هذا فضلا عن ذكر بعض الآثار العمرانية للشخصيات التي ترجم لها ولاسيما دورهم في بناء المساجد العامة بقرطبة.

وتعد مؤلفات ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار (ت 658هـ/ 1295م)، من الكتب المهمة التي أفادت البحث ومنها:

كتاب الحلة السيراء، الذي قدم معلومات عن الخلفاء وأهم الأحداث التاريخية التي مرت بهم كاعلان الخلافة من قبل الخليفة الناصر لدين الله

(1) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر وتصحيح: عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988: 1/ 181، 2/ 79.

(2) المصدر نفسه: 1/ 284.

(3) الصلة، القاهرة، مطابع سجل القاهرة، 1966: 2/ 633.

(4) المصدر نفسه: 2/ 485.

(300هـ/ 912م– 350هـ/ 961م)، وأهم أسباب قيامه بهذه الخطوة المهمة في تاريخ الأندلس[1]. ومن خلال بعض التراجم تم التعرف الى أسماء بعض أبواب مدينة قرطبة كباب عامر القرشي وسبب تسميته بهذا الاسم.

أما كتاب التكملة لكتاب الصلة، فقد اعان البحث بمعلومات مهمة عن تراجم الشخصيات التاريخية المذكورة في متن الكتاب، فضلا عن إمدادنا بأسماء بعض المساجد العامة وأماكن تواجدها، ولاسيما مسجد مكرم ومسجد يقع على الطريق الأخذ الى مدينة الزهراء بقرب منية الخياطين[2] وغيرها من المساجد. هذا فضلا عن إشارته الى ان المقابر كانت لا تخلوا أيضا من مساجد قام ببناءها بعض الشخصيات المترجم لها.

أما كتب التاريخ العام، فمن أبرزها كتاب المقتبس، لأبي مروان حيان بن خلف بن حيان (ت 469 هـ/ 1076م)، ويقع في عدة أقسام منها:

- القطة الخاصة بـ المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي وهو يحوي على شروح وتعليقات وهوامش غاية في الأهمية تهتم بعصر الإمارة وقد استفدت منه في العمارة الدينية والمدنية[3].
- أما القسم الخاص بالأمير عبد الله بن محمد (275هـ/ 888م– 300هـ/ 912م) والمسمى بكتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق الأب ملشورم انطوانية، الذي قدم معلومات مفيدة فيما يخص مواقع

---

(1) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963: 1/ 298.

(2) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، بغداد، مطبعة السعادة، 1955: 1/ 193.

(3) تحقيق محمود علي مكي، القاهرة، 1971.

بعض القصور والدور والمساجد. وكذلك الإشارة الى ثورة عمر بن حفصون التي امتدت الى عهد الخليفة الناصر[1].

- والمقتبس، تحقيق شالمتيا، وهو يعتبر الجزء الأهم من حيث الاستفادة من مادته في البحث حيث يعتني بعهد الخليفة الناصر لدين الله ويبدأ من سنة 300هـ/ 912م وينتهي سنة 330هـ/ 941م، وفيه معلومات مهمة وقيمة افادت البحث في ابرز عوامل ازدهار العمران والعمارة الدينية وخاصة مسجد السيدة مرجانة بالربض الغربي، كما استفدت منه في تحديد بعض معالم العمارة المدنية من خلال التطرق الى أهم القصور والدور الخاصة بأولاد الخليفة الناصر وتحديد مواقع بعض الأسواق والقيساريات، وكانت الإفادة منه كبيرة وقيمة[2].

- المقتبس، وهي القطعة الخاصة بخمس سنوات من عصر الخليفة الحكم المستنصر، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، وبالرغم من قصر المدة الزمنية التي تناولها فأن محتوياته القيمة في مجال العمارة بمدينة قرطبة خيرعون في تحديد مساجد قرطبة وأهم منشأت العمارة الدينية المستحدثة في القرن الرابع الهجري كدار الصدقة التي بناها الخليفة الحكم المستنصر للرعية، فضلا عن ذلك إفادني في تحديد بعض عناصر العمارة العسكرية كالأسوار والأبواب بقرطبة مثل باب القنطرة والذي سمي أيضا ببان المحجة[3].

---

(1) تحقيق الأب ملشورم انطونيا، بارس، 1937.

(2) تحقيق شالميتا وكورينطي، مدريد- الرباط، المعهد الأسباني العربي، 1979.

(3) تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الرشاد، 1965.

ويعد كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس احمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا 712هـ/ 1312م) قد اتبع فيه مؤلفه نظام الحوليات في ذكر تسلسل الحوادث وتاريخ المدن ففي الجزء الثاني من كتابه الخاص بالأندلس وهو الذي يهمنا، حيث يبدأ بالحديث عن فتح الأندلس وعصر الولاة وقيام الإمارة الأموية في عصر الخلافة الأموية حتى وفاة الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (392هـ/ 1001م)، وقد شملت رواياته معظم عمائر قرطبة وضواحيها، مستفيدا من روايات بعض المؤرخين الذين لم تصلنا رواياتهم كابن حزم (ت 456هـ/ 1063م) وابن حيان، وابن بسام (ت 543هـ/ 1148م) وغيرهم[1]. وقد أغنى كتاب ابن عذاري معظم مادة الكتاب حيث حدد موقع الأندلس وجغرافيتها وتسميتها، فضلا عن معلوماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية القيمة ومدى تأثيرها على تزايد العمران، أما العمارة الدينية فرفدها بمعلومات مهمة تحدد الزيادات في المسجد الجامع بقرطبة، كما أشار الى بعض المساجد العامة بقرطبة، وجاءت معلوماته غنية بمادة العمارة المدنية كالقصور والمتنزهات والدروب و القناطر إذ قدم معلومات مهمة بصدد العمارة بقرطبة وضواحيها.

وكتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وهو من مؤلفات لسان الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، وهو مقسم الى ثلاثة أقسام، ما يهمنا منه، القسم الذي حققه الأستاذ ليفي بروفنسال، الذي يبدأ بسرد الحوادث في عهد بني أمية بصورة

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج بس كولان وليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980: 1/ 302.

موجزة، بحيث استفدت منه في تحديد أهم جوانب حياة الخلفاء وذكر اخبار موجزة عن ثورة ابن حفصون، وتمت الاستفادة منه بالحديث عن كل من مدنية الزهراء التي بناها الخليفة الناصر ومدينة الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر، كما تطرق الى السجن (المطبق) ومن حبس فيه أمثال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي[1].

كما يعد كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه احمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م) من الكتب التي نقلت الينا نصوص لمؤلفين لم تصلنا كتبهم كالرازي (ت 344هـ/ 955م) وابن بشكوال، وابن سعيد (ت 685 هـ/ 1286م)، وبذلك زودنا المقرى بمعلومات قيمة في معظم الكتاب، ومن الروايات المميزة التي رواها نقلا عن ابن بشكوال ما يتعلق بعدد ارباض مدينة قرطبة على سبيل المثال[2]، وفضلا عن ذلك قدم لنا معلومات غنية عن العمارة المدنية ولاسيما مدينة الزهراء والزاهرة، وأهم القصور بقرطبة، كما تكلم عن بعض الدور العامة والمتنزهات، وأفادنا بشكل واسع في مادة القناطر وموضوع الأسواق والمقابر والسجون.

ومن كتب الجغرافية كتاب صورة الأرض لأبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ/ 972م) الذي قام بزيارة الأندلس في عهد الخليفة الناصر سنة (330هـ/ 941م) وقدم لنا معلومات في غاية الأهمية كونه شاهد عيان لاسيما فيما يتعلق بالجانب الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني لمدينة قرطبة

(1) أعمال الإعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط2، لبنان، دار المكشوف، 1956.

(2) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، 1998.

خاصة والأندلس عامة. ومن ملاحظاته المهمة ما ذكره بصدد امن قرطبة ووضع أهلها الاجتماعي والاقتصادي المزدهر. وكذلك إشارته الى حسن أسواقها ونظافتها وحماماتها وفنادقها، وكذلك ملاحظته الدقيقة بصدد محيط سور قرطبة الذي قطعه بزمن قدره ساعة واحدة[1].

أما كتاب نصوص عن الأندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك)، لأحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/ 1085م) حيث أفادنا بمعلومات قيمة عن تسمية وجغرافية مدينة قرطبة، كما افادنا وبشكل كبير في تحديد أقاليم قرطبة الـ 15عشر[2].

ويعتبر كتاب فرحة الانفس في تاريخ الأندلس، لمحمد بن أيوب بن غالب (ت أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) والذي نشر ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية[3]. من الكتب المهمة لأي باحث في مجال دراسة المدن الأندلسية ولاسيما قرطبة. فقد عزز البحث بمعلومات مهمة عن مدينة قرطبة وموقعها ومساحتها، اذ قدم لنا إحصائيات مهمة عن عدد مساجدها وأبراجها وحماماتها والدور التي بنيت فيها، وأشار الى سور مدينة قرطبة، كما قدم لنا وصفا جليا عن المسجد الجامع بقرطبة، محددا مقصورته ومحرابه ومنبره. كما أشار الى مدينة الزهراء وموقف القاضي المنذر بن سعيد البلوطي من هذا البناء بفقرة خاصة، فكان له فائدة كبيرة في كافة مجالات البحث تقريبا.

---

(1) صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1979، ص108.

(2) نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965، ص121.

(3) فرحة الأنفس في تاريخ الاندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1، ج2، 1955–1956.

أما كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريس (ت 560هـ/ 1164م)، فقد أشار الى مدينة قرطبة و موقعها وما يتبعها مـن قـرى، فـضلا عـن التطـرق الى الوضـع الاقتـصادي لمدينـة قرطبـة وضواحيها، وتحديد أهم الموارد الاقتصادية التي ساعدت علـى تطـوير العمـران بقرطبة كالرخام وغيرها. هذا فضلا عن الاستفادة منه في العمارة الدينيـة وذلـك بتحديد بناء وزخرفة المسجد الجامع بقرطبة. وكذلك في مـادة الحـصون كحـصن مراد[1] ومدينة فريش التي اعتبرت درع قرطبة، كما أمدنا بمعلومـات وفـيرة عـن العمارة المدنية كمدينة الزهراء.

وأخـيراً كتـاب وصـف جديـد لقرطبـة لمؤلـف مجهـول (القـرن الـسابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) الذي نشره حسين مؤنس في أحد اعداد صـحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد[2]، فكانت لـه فائـدة كـبيرة في وصـف مدينـة قرطبة وخططها العمرانية وتقسيماتها وعدد الاقاليم فيهـا، هـذا فـضلاً عـن انـه يورد إحصائيات مهمة عـن كافـة جوانـب العمـران بقرطبـة كالمـساجد والـدور والحمامات والفنادق، بالرغم من أن بعض هذه الإحـصائيات كـان مبـالغ فيهـا لكنها في الوقت نفسه تعطي فكرة عـن الحالـة الـتي كانـت عليهـا مدينـة قرطبـة وضواحيها آنذاك.

ومن كتب الأدب كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأنـدلس، لأبـي عبـد

(1) نزهة المشتاق في اختـراق الأفـاق (قطعـة منـه بعنـوان صـفة المغـرب وارض الـسودان ومـصر والأندلس)، نشر: رينهارت دوزي ودي غوية، ليدن مطبعة بريل، 1968، ص207.

(2) وصف جديد لقرطبة، تحقيق: حـسين مـؤنس، مدريـد، صـحيفة معهـد الدراسـات الإسـلامية، مج13، 1965- 1966، ص164.

الله محمد الكتاني (ت 420هـ/ 1029م)، في وصف بعض المباني والعمائر في مدينة قرطبة. ومن ذلك قصيدة للشاعر محمد بن شخيص يصف فيه مباني مدينة الزهراء، مما يدل على مدى جمال عمرانها[1].

ومن كتب الحسبة المهمة رسالة في أدب الحسبة والمحتسب، لأبي محمد بن احمد بن عبدون التجيبي (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشرة الميلادي)، فكان لها دور مهم في رفد البحث ببعض المعلومات المهمة في مادة الأرصفة والطرقات والأسواق والفنادق وقنوات المياه والسجون والمقابر بما كان لها أهمية كبيرة في توضيح ملامح العمارة بقرطبة[2].

أما فيما يتعلق بالدراسات والأبحاث الحديثة والدوريات فقد اعتمد البحث على عدد منها أهمها مؤلفات الدكتور عبد العزيز سالم ولاسيما كتاب قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، وكتابه تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس حيث أغنى هذين الكتابين فصول الكتاب بمعلومات تاريخية قيمة عن قرطبة وأهم منشأتها العمرانية خلال عصر الخلافة.

كذلك كانت لمؤلفات المرحوم محمد عبد الله عنان واخص منها كتابي الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال. ودولة الإسلام في الأندلس. دورا مهما بما أوردته من معلومات مهمة في التعرف على أثار المسلمين ومنشاتهم العمرانية في قرطبة وضواحيها.

---

(1) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، المكتبة الأندلسية، 1966: 1/ 73.

(2) رسالة في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955، ص37 وغيرها.

أما مؤلفات السيد حسين مؤنس فكانت مهمة في إغناء البحث ولاسيما كتبه فجر الأندلس والمساجد ورحلة الأندلس. وتأتي أهميتها من خلال اتقانه اللغة الأسبانية وعمله مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية في مدريد لسنين عدة، مما جعل مؤلفاته قيمة للدراسات الأندلسية والمغربية خاصة.

أما كتاب الفن الإسلامي في أسبانيا لمؤلفه مانويل جوميث مورينو فكان كتابه مفيداً في معظم فصول الكتاب.

وكذلك مؤلفات السيد عبد الواحد ذنون طه، ولا سيما كتبه ومنها كتابه الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقية والأندلس ودراسات في تاريخ الأندلس. إذ أفات البحث كثيراً ولا سيما في مجال العمارة العسكرية ومصطلحات العمارة على وجه الخصوص.

وأخيراً أرجو ان أكون قد وفقت بهذا الجهد المتواضع، وأن ينال حظه في خدمة المكتبة والمجتمع، وأسال من الله العزيز أن يتقبله خالصا له مع شكري وتقديري.

# التمهيد

لم تعرف شبه الجزيرة الايبرية- التي تشمل حاليا أسبانيا والبرتغال- باسم الأندلس إلا بعد ان سكنها المسلمين، وقد عرفت في عصورها القديمة باسم ايبارية نسبة الى الايبريين الذين كانوا اقدم من سكن هذه البلاد[1].

ثم عرفت شبه الجزيرة باسم (Hispania) وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها، ومن هنا جاء اللفظ العربي إشبانية أو إصبانية[2]، وحسب لغة القرون الوسطى الرومانسية تحول اللفظ الى (Espana) ومنه اشتقت الكلمة الإنكليزية (Spain)[3].

أما اسم الاندلس الذي يشمل كل الأراضي التي سيطر عليها المسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقة الجغرافيون والكتاب العرب من لفظة الاندليش

(1) ابو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المساللك والمملك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر، 1968، ص57؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت، دار السراج،1980، ص32؛ وينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، لبنان، دار المعارف،1962، ص51.

(2) ابو القاسم عبد الله بن عبد الله المعروف بابن خردذابة، المالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، 1889، ص90؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص58؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 2؛ احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987: 5/ 205؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 123.

(3) عبد الواحد ذنون طه، الفتح الاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، 1982، ص68.

او الانـدلش او الوانـدلس وهـي الأسمـاء الـتي أطلقـت علـى الونـدال مـن القبائل الجرمانية الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الايبريـة للمـدة مـن (408-429م)[1]. وأطلق هـذا المـصطلح علـى المنـاطق الـتي خـضعت للحكـم الإسلامي منذ فتحها سنة (92هـ/ 711م)[2].

وللاندلس العديد من المدن والقواعد الكبرى والثغور والحصون المنيعة[3]، وما يهمنا من هذه المدن الشهيرة مدينة قرطبة وضواحيها.

وهي مدينة قديمة ((ازلتـه مـن بنيـان الأوائـل))[4]، لا يعـرف علـى وجـه التحديد المدى التاريخي لجذورها القديمة. واغلب الظن إنها ايبرية الأصل استنادا الى عدد من التماثيل البرونزية ذات الطابع الايبري، إذ يشير الـسيد عبـد العزيـز

(1) البكري، جغرافية الاندلس، ص59؛ ابو الحسن علي بن ابي الكرم الأثير، الكامـل في التـاريخ، بـيروت، دار صادر، 1965: 4/ 556؛ محمد بن علي بن محمد بن الشباط، صلة السمط وسمـة المـرط مـن كتـاب تاريخ الأندلس نصان جديدان، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة معهـد الدراسـات الإسـلامية، 1971، ص128؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 2؛ شمس الدين عبد الله محمد الانصاري، نخبة الـدهر في عجائب البر والبحر، طبع وتصحيح: فرين ومهرن، بطرسبورغ، مطبعـة الاكاديميـة، 1865، ص241؛ الحميري، المصدر السابق، ص32؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 122؛ وينظر: طه، المرجع السابق، ص68.

(2) للمزيد عن فتح الانـدلس ينظـر: خليفـة بـن خيـاط، تـاريخ خليفـة بـن خيـاط، تحقيـق: سـهيل زكـار، (بلا. م)، مطابع وزارة الثقافة، 1967: 1/ 404؛ ابو بكر محمد بن عمر العزيز بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، دار النـشر للجـامعيين، 1958، ص33- 36؛ ابـو بكـر احمد بن سعيد بن الفياض، نص اندلسي من تاريخ ابن فيـاض، نـشر وتحقيـق: عبـد الواحـد ذنـون طـه، دمشق-بيروت، دار العلم، 1976، ص363.

(3) ابو أسحاق إبراهيم محمد الاصـطخري، المـسالك والممالـك، تحقيـق: محمـد جـابر عبـد العـال، القاهرة، دار القلم، 1961، ص35؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص130؛ المقري، نفح الطيـب: 1/ 120- 121.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص164؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 6.

سالم[1]، أن اصل اسم قرطبة هو (كوردوبا- Cordouba) الذي يتشابه مع غيره من الأسماء الايبرية مثل (salduba) وهو الاسم القديم لمدينة سرقسطة.

ويقال ان أصل كلمة قرطبة بلغة القوط ((طاسعوط، وهي عندهم القلوب المختلفة، وقال آخرون... وقرطبة كوُرْ يا عاقِلْ إسكنها تفسيره إجري يا عاقل إسكنها))[2].

ويؤكد البكري[3] (ت 487 هـ/ 1094م) هذا المعنى بقوله ((أن تفسير قرُظبة بلسان القوط قرطبة بالظاء المعجمة ومعناه بلسانهم، القلوب المختلفة، ومعنى قرُظبة آخر: فأسكنها))، ثم عربت بالطاء فصارت قُرطَبَة[4].

ويجوز ان تكون قُرْطبة، بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة من القَرْطَبَة وهو العَدْو الشديد، وقيل طعنه فقَرطَبَة وقيل القرُطُبا السيف من قَرطَبة أي قطعة[5].

ولموقع قرطبة أهمية كبيرة، فهي بلاد حصينة، تقع الى الجنوب من

---

(1) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة، 1971: 1/ 17.

(2) العذري، المصدر السابق، ص121.

(3) جغرافية الأندلس، ص10؛ وينظر: الحميري، المصدر السابق، ص458.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 5.

(5) شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1957: 4/ 324؛ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، أعداد وتصحيح: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، د.ت: 1/ 62.

الأندلس ويحدها من الشرق مدينة جيان ومن الغرب إشبيلية[1]. أما جهة الجنوب فهي موفية على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، نهر بيطي قبل الفتح الإسلامي[2]، وهو النهر الوحيد في الأندلس الذي يحمل أسما عربيا[3]. ومن الشمال فقرطبة تقع على سفح جبل العروس المغروس بانواع الكروم والزيتون وسائر الأشجار وأنواع الأزهار[4]، ويؤلف جبل العروس أحد سلاسل جبال سيرا مورينا (Siera morena) أو الجبال السوداء من سلسلة الجبال المحيطة بقرطبة[5]، كما تحتل قرطبة سهلا فسيحاً يمتد مسافات كبيرة وينتج مختلف الغلال يعرف في المصادر التاريخية العربية بالكنبانية او القنبانية[6].

---

(1) ابو عبد الله محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد محمد العريان، القاهرة، دار إحياء التراث الإسلامي، 1963، ص30؛ عماد الدين إسماعيل المعروف بابن الفداء، تقويم البلدان، تحقيق: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840، ص175- 177؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص296.

(3) وصف جديد لقرطبة، ص166؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 15-16

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ الادريسي، المصدر السابق، ص208؛ الحميري، المصدر السابق، ص 456؛ وينظر: سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رافت، القاهرة، 1938، ص437.

(5) وتعرف هذه السلسلة من الجبال عند العرب بجبال الشارات. ينظر: الادريس، المصدر السابق، ص173؛ محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، 1961، ص18؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص292.

(6) الكنبانية: اسم يطلق على الأراضي السهلية لخصوبتها وصلاحيتها للزراعة واصلها من الكلمة اللاتينية (campania) أي الحقل او الحرث كما يسميها الاندلسيون وتكتب أحيانا بالقاف =

وتمتاز قرطبة بطبيعتها المعتدلة ووفرة مياهها وكثرة عيونها وخصوبة أرضها[1]، مما يساعد على رفاه ونماء الحياة بكل مكوناتها، ويقول فيها الحجاري في المسهب نقلاً عن المقري[2] ((وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد نهرها من احسن الأنهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار تصدع في جنباته الاطيار، وتنعر النواعير ويبسم النوار))، وقال بحقها أحد رؤساء أجنادها ((جوفها شمام وغربيها قمام وقبلتها مدام والجنة هي والسلام، يعني بالشمام جبال الورد ويعني بالقمام ما يؤكل إشارة الى محرث الكنبانية ويعني بالمدام النهر))[3].

وتعتمد قرطبة اعتمادا كليا على ما تنتجه أرضها من ثروات زراعية ولاسيما الزيتون والكروم وأنواع مختلفة أخرى من المحاصيل

---

=

القنبانية وكنبانية قرطبة تحوي العديد من القرى و المزارع وأهم محاصليها الزراعية الزيتون. للمزيد ينظر: محمد بن احمد بن ابي بكر المقدسي. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، ليدن، مطابع بريل، 1906، ص233؛ إسماعيل بن محمد الشقندي، رسالة في فضل الاندلس وأهلها، نشرت بعنوان رسائل ونصوص، نشر: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1968، ص55؛ ابن عذاري، المصدر السابق. 2/ 200؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 402؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص292.

(1) المقدسي، المصدر السابق، ص233؛ وصف جديد لقرطبة، ص164.

(2) نفح الطيب: 1/ 135.

(3) المصدر نفسه والجزء والصحيفة.

الزراعية[1]. أما ثرواتها المعدنية منها معدن الزئبق حيث يوجد بكميات كبيرة في موضع يقال له بطروش[2] ويجلب لجميع الأقطار[3].

وكذلك يوجد فيها معدن الفضة حيث يتوفر في قرية كرتش[4]، ومعدن الشاذنج الذي يستعمل في التذهيب[5]، ومعدن الحديد الذي يكثر في قرية فريش[6].

كما تكثر فيها مقاطع الرخام بالوانه المختلفة[7]، وكان لتواجده فيها أثر

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص295- 296.

(2) وهو حصن من أعمال فحص البلوط في قرطبة، ويشتهر الى جانب معدن الزئبق بجباله وسهوله الزاخرة بشجير البلوط، الذين يحتفظون بثماره لسنين القحط. ينظر: ابو محمد علي بن احمد بن حزم، رسائل في فصل الاندلس منشورة بعنوان رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981: 2/ 174؛ الادريسي، المصدر السابق، ص213؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 447؛ الحميري، المصدر السابق، ص94.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص213؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 492؛ الانصاري، المصدر السابق، ص242.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص164؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 29.

وكرتش: هو أحد أقاليم قرطبة التي تشتهر بمعادنها كالذهب والفضة فضلا عن زراعة القمح والشعير، وتتبعها حوالي ستين قرية: ينظر العذري، المصدر السابق، ص126.

(5) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960، ص552؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 53.

(6) الادريس، المصدر السابق، ص207. وفريش: موضع يقع في غرب قرطبة يكثر فيه فضلا عن الحديد حجر الرخام وشجر القصطل وتتبعها العديد من القرى، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 259؛ الحميري، المصدر السابق، ص440.

(7) المقري، نفح الطيب: 1/ 190؛ وينظر كونستبل، المرجع السابق، ص283.

كبير في ازدهار عمران قرطبة وأتساعها حتى كادت احواز قرطبة تنتهي في الغرب الى احواز أشبيلية، وتاخذ في الجوف ستين ميلا (96.45 كم)، وتختلط احوازها باحواز جيان شرقا[1].

كانت قرطبة عند فتح الإسلامي سنة (92هـ/ 711م)[2]، تتكون من مركزين عمرانيين شرقي وغربي يفصل بينهما سور حاجز، والغرض من إقامته فصل الأهالي الذين يسكنون الجانب الشرقي منها عن القسم الغربي الذي يشتمل على المؤسسات الحكومية وثكنات الجند، وكان الجزء الشرقي منها يعرف في العهد الإسلامي بالشرقية او المدينة العتيقة[3]، وعلى هذا الأساس يكون المركز العمراني الشرقي من قرطبة السابقة على الفتح الإسلامي هو نفس ربض المدينة العتيقة من مجموع ارباض الجانب الشرقي لقرطبة في عصر الخلافة[4].

وكانت هذه المدينة العتيقة محاطة بسور من الحجارة[5]، وقد

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص207؛ الحميري، المصدر السابق، ص458.

(2) كان فتح مدينة قرطبة على يد القائد مغيث الرومي وهو احد قادة الفتح الإسلامي للأندلس أثناء حملة القائد طارق بن زيادة. ينظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص33-35؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر ولاتها، نشر وتحقيق: لافونتي القنطرة، مدريد، مطابع ربدنير، 1867، ص10؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 9.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 6؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، بغداد، مجلة المؤرخ العربي، العدد 13، 1980، ص40-41.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 6؛ وينظر: سالم، قرطبة حاضرة: 1/ 163- 164.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 6.

تهدم من الناحية الغربية فاستوجب بناؤه في ولاية السمح بن مالك الخولاني (100هـ/ 719 م- 102هـ/ 721م)، سنة (101هـ/ 719م)[1]

أما القسم الغربي فيقع في الموقع نفسه الذي تقوم عليه المدينة الوسطى[2] او القصبة العتيقة[3] أو المدينة العليا[4] ويحيط بها سور حصين[5]. وفيه قصر مدينة قرطبة بغربيها متصلا بسورها من جهة الجنوب والغرب وكان الجامع بإزاء القصر من جهة الشرق وقد وصل بينها بساباط يسير الناس تحته من المحجة الكبر[6]، والقنطرة على نهر الوادي الكبير الى الجنوب من الجامع[7].

---

(1) أخبار مجموعة، ص24؛ مؤلف مجهول، نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذ من الرسالة الشريفية الى الأقطار الاندلسية ضمن كتاب تاريخ افتتاح الاندلس لأبن القوطية، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعين، 1958، ص210-211؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص208.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 324.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص292؛ وينظر: سالم، قرطبة حاضرة: 1/ 163- 164.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108؛ أخبار مجموعة، ص186.

(6) الحميري، المصدر السابق، ص458؛ والمحجة الكبرى وتعرف بالسكة العظمي: وهي عبارة عن طريق فسح مرصوف كان يشق المدينة العتيقة من وسطها في القسم الغربي من قرطبة ويبدأ من ميناء قادس على البحر المحيط جنوب الاندلسي ويسير شكالا وينتهي عند اربونة. وترتبط به جميع الطرق الرئيسة داخل قرطبة وخارجها وللمزيد ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ سالم، قرطبة: 1/ 164- 165؛ وينظر التفاصيل في ص من الرسالة.

(7) الحميري، المصدر السابق، ص458.

وتنفتح في سور قرطبة سبعة أبواب[1]، هي باب القنطرة في الجهة الجنوبية وبابان من جهة الشرق هما الباب الجديد وباب ابن عبد الجبار ومن جهة الشمال باب ليون، وثلاثة أبواب من جهة الغرب وهي، باب عامر القرشي، وباب الجوز، وباب أشبيلية[2].

وبلغت قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي اوج عظمتها ويقول فيها ابن حوقل[3] باعتباره شاهد عيان ((أعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب بها شبه ولا بالجزيرة والشام ومصر وما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق)).

كذلك يشير المقري[4] الى ان قرطبة ((لم تزل في الزيادة منذ الفتح الإسلامي الى سنة اربعمائة فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن)). ويقال ان العمارة في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة اتصلت فيما بينها والناس يسيرون على حد الشقندي[5] المتوفي سنة (629هـ/ 1231م) بضوء السرج المتصلة عشرة

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص296، المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ ويقول عبد العزيز سالم ويغلب الظن أن أبواب مدينة قرطبة كانت خمساً في عصر الإمارة، ثم أصبحت سبعاً منذ عصر عبد الرحمن الناصر. وينظر: قرطبة: 1/ 170.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 5.

(3) صورة الأرض، ص107.

(4) نفح الطيب: 2/ 5.

(5) المصدر نفسه: 2/ 4.

أميال (16.09 كم). وقد شاهد ابن حوقل الزائر للأندلس مدى زيادة العمران بقرطبة فذكر ان الأبنية كادت تتصل بين قرطبة والزهراء[1].

وقد بقيت قرطبة في زيادة مستمرة خارج أسوارها منذ عصر الإمارة (138هـ/ 755م- 316هـ/ 928م) ويمكن تحديد هذه الزيادة في العمران بقرطبة في جانبها الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي بحيث اصبحت على حد قول الادريسي[2] ((خمس مدن يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سور حاجز في كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وفي طولها من غربها الى شرقها ثلاثة أميال (4.827 كم) وكذلك عرضها من باب القنطرة الى باب اليهود بشمالها ميل واحد (1.609كم))) ولم يكن مسوراً من هذه المدن الخمسة سوى المدينة الوسطى او القصبة[3]. ويذكر ابن حوقل[4] انه دار ((بسورها غير يوم في قدر ساعة)).

وكانت كل مدينة من هذه المدن الخمسة التي تؤلف في مجموعها مدينة قرطبة تضم ارباضاً مختلفة يختلف عددها ونسبة اتساع كل منها.

فيشير ابن بشكوال ان ارباض قرطبة بلغت عند نهايتها في الاتساع

---

(1) صورة الأرض، ص107؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 175- 176.

(2) نزهة المشتاق، ص208؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص292.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 11، وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 176.

(4) صورة الأرض، ص108.

21 ربضا[1]. في حين يذكر البعض الأخر ان أرباض قرطبة بلغت ما يقارب الـ 20 ربضا[2]، وقيل 28 ربضا[3].

ويستبعد عبد العزيز سالم[4] الرقمين الاخيرين حيث يذكر ان الرقم الأول أقل بربض واحد عن المجموع الكلي لأرباض قرطبة آنذاك أما الرقم الثاني فهو مبالغ فيه.

وشملت هذه الأرباض كما يوردها المقري[5] نقلا عن ابن بشكوال: المدينة الشمالية: وتضم كل من ربض باب اليهود ومسجد أم سلمة والرصافة والمدينة الجنوبية: أرباضها شقندة ومنية عجب.

أما المدينة الشرقية: فتحوي كل من ربض شبلار وفرن بريل والبرج ومنية عبد الله ومنية المغيرة والزاهرة والمدينة العتيقة.

كما تضم المدينة الغربية: كل من ربض حوانيت الريحان والرقاقين ومسجد الروضة والسجن القديم ويتوسطها المدينة الوسطى وتضم القصبة ومركزها.

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ص18.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص296.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 232؛ ويميل المرحوم محمد عبد الله عنان الى اعتماد الرقم الثاني أي (28) ربضاً في قرطبة مستندا بذلك على رواية ابن عذاري ينظر: دولة الإسلام في الاندلس، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988، ق1: 2/ 448.

(4) قرطبة: 1/ 177.

(5) نفح الطيب: 2/ 10-11؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 178-180 وينظر الخارطة رقم (2) من الملاحق.

ويرى السيد حسين مؤنس[1] ((ان قرطبة كانت تتكون في الواقع من أربعة أقسام رئيسية: القسم الأول هو المدينة او القصبة، وهي المدينة القديمة وامتدادها الى الشمال فشملت على الترتيب من الجنوب الى الشمال ربض باب اليهود وربض مسجد ام سلمة وربض الرصافة، والقسم الثاني هو الجانب الشرقي او المدينة الشرقية ويضم سبعة أرباض أو أحياء، والقسم الثالث وهو الجانب الغربي او المدينة الغربية ويضم تسعة أرباض أو أحياء، والقسم الرابع هو المدينة القبلية على الضفة اليسرى للوادي الكبير ويضم حيين او ربضين هما شقندة ومنية عجب)).

ومن خلال ما ورد ذكره في أعلاه نرى ان ارباض المدينتين الشرقية والغربية تزيد بكثير عن ارباض المدينتين الشمالية والجنوبية فالشرقية تضم 7 ارباض والغربية تضم 9 ارباض في حين تضم المدينة الشمالية 3 ارباض والجنوبية ربضين فقط. وهو ينسجم مع ما ذكره ابن بشكوال في روايته السالفة الذكر.

وبدورها تنقسم هذه الارباض الى حومات أو أحياء منها حومة باب الفرج وحومة النشارين وحومة الرقاقين قرب باب اشبيلية أو العطارين[2]،

---

(1) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1967، ص292.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 633؛ ابن الشباط، المصدر السابق، ص143.

وحومة النجارين[1] وحومة عين قبش غربي قرطبة[2]، فضلا عن حومات سميت بأسماء المساجد التي فيها كمسجد أم سلمة[3]، كما سميت الحومات بأسماء المنى المنتشرة في قرطبة كمنية عجب[4].

وهذا التوسع الملحوظ في القرن الرابع الهجري كان من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال حتى قيل ان العمارة اتصلت بين قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يشمي فيها نصوء السرج المتصلة حوالي عشرة أميال (16.9 كم)[5].

وبلغت فخامة وابهة قرطبة في المدة المذكورة الحد الكبير بحيث أصبحت شهرتها تعلو في الأفق، حتى ان الراهبة السكسونية هروسوفيتا التي اشتهرت بنظمها الشعر في أواخر القرن الرابع الهجري، أشادت في قصائدها اللاتينية بمحاسن قرطبة ووصفتها بزينة الدنيا[6].

---

(1) ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثيين، تحقيق: ماريا لويسا بيلاولويس مولينا، مدريد، 1992، ص80؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 495.

(2) احمد بن يحيى بن احمد الضبي، بغية الملتمس في تاريخ أهل الاندلس، ط3، مدريد، مطابع روخس، 1884، ص197؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 43.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 284؛ وسميت بعض احياء اخرى بقرطبة باسماء مساجد كالشفاء والكهف ومسرور وغيرها. ينظر: وصف جديد لقرطبة، ص168.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 355، 477؛ الضبي، المصدر السابق، ص269؛ وصف جديد لقرطبة، ص169. وسيرد تعريف وتوضيح لفظة (المنى) لاحقا في الفصل الرابع، ص من الرسالة.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 4.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 147؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام، ق1: 2/ 448.

# الفصل الأول

# عوامل ازدهار الحركة العمرانية في قرطبة

# الفصل الأول

# عوامل ازدهار الحركة العمرانية في قرطبة

لقد بلغت قرطبة وضواحيها أوج عظمتها في القرن الرابع الهجري في جميع جوانبها الحضارية، ومنها الحركة العمرانية على وجه الخصوص، ولغرض دراسته بشكل مفصل لابد لنا من دراسة أهم عوامل الازدهار والتقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لما لها من تأثير في استقرار الأندلس عامة وقرطبة العاصمة خاصة، كما أنها محاولة للوقوف على تفسير أسباب هذه النهضة العمرانية في مدة البحث تحديدا.

## أولا: العامل السياسي

لتحديد العامل السياسي وتأثيره على العمران علينا الأخذ بنظر الاعتبار الوضع الداخلي والخارجي للبلاد، ومؤثرات كل جانب على توفر الأمن والسلام.

فلما توفي الأمير عبد الله بن محمد[1] سنة (300هـ/ 912م)، ظفر حفيدة

---

(1) هو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن يكني أبا محمد، ولد في سنة (229هـ/ 911م) أمه تدعى أشار او عشار، وكان من اصحاب الزهد والتدين محباً للأدب والشعر تولى الإمارة بعد وفاة أخوه المنذر سنة (275هـ/ 888م) وتوفي وهو ابن الـ 72 عاماً وذلك سنة (300 هـ/ 912م). ينظر: أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربة، العقد الفريد، تحقيق: احمد أمين وآخرون، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1962: 4/ 497 وما بعدها؛ ابو عبد الله محمد بن =

عبد الرحمن بن محمد[1] (300هـ/ 912م- 350هـ/ 961م) بالإمارة دون اعمامه واعمام ابيه الذين لم يتعرضوا على الأمر[2].

يعلل عبد العزيز سالم[3] سبب ذلك إنهم تخلوا عنها زاهدين فيها لما يحيط بها من اخطار. واصبح عبد الرحمن بن محمد أمير الاندلس دون منازع، في الوقت الذي كانت فيه الاندلس تعمها الخلافات والفتن من كل ناحية واستشرت روح العصيان والتمرد، حتى غدت كالنار المحرقة واستطاع هذا الأمير الشاب إخماد واستنزال هذه الروح المتمردة ولم يبقى عاصمي إلا وإطاعة، ودخلت الأندلس كلها في أمرته[4].

=

ابي نصر الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية، 1966، ص12؛ الضبي، المصدر السابق، ص17؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 120؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 120- 121.

(1) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، ولد قبل مقتل والده باسابيع قلائل. قيل ان والده قتل على يد أخيه المطرف بن عبد الله بن محمد- وذلك سنة (277هـ/ 890م)، فنشأ في كفالة جده أمه جارية إسبانية تدعى ماريا او مزنة، وتولى أمور الدولة وهو شاب لم يكن يتجاوز الثانية والعشرون من عمره وبلغت خلافته خمسين عاماً. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص12؛ الضبي، المصدر السابق، ص17- 18؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 197؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 150، 151، 158، وما بعدها ؛ وينظر: محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1970، ص177- 178.

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم: 3/ 193- 194؛ علي بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1964: 1/ 181؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المصدر السابقوديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979: 4/ 137.

(3) تاريخ المسلمين، ص279.

(4) ابن القوطية، المصدر السابق، ص131- 132؛ أخبار مجموعة، ص153؛ ابن عذاري، المصدر

=

واتبع الأمير عبد الرحمن بن محمد إزاء هذا الوضع السياسي المتدهور سياسة صائبة تقوم على أساس المواجهة والحزم والإقلاع عن سياسة الرفق واللين التي سار عليها من سبقوه تجاه المتمردين واتبع عدة وسائل منها: حسن اختيار الرجال واستمالتهم لجانبه وبذل الأموال عليهم، حتى غدت الأندلس خالية نسبيا من المتمردين[1].

ويؤكد ستانلي بول نجاح هذه السياسة بقوله ((وكان من أثر كل هذا ان الخليفة حينما هب يقود جيوشه لمحاربة الولايات الخارجة عليه،... أخذت المدن بالأندلس تفتح للأمير أبوابها واحدة أثر واحدة))[2].

وبهذا ابتداء حكمه بمحاربة العصاة والخارجين وكانت أولى غزواته المسماة بـ (غزوة المنتلون)[3] افتتح فيها ما يقارب السبعين حصنا من أمهات الحصون

=

السابق: 2/ 157- 158؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى ابو حنيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ت: 22/ 115؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 137.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص53- 58 وما بعدها؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 182؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 160 وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص36؛ وينظر: حازم حسين، الحياة العلمية والثقافية في الاندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب- جامعة الموصل، 1983، ص30- 31.

(2) قصة العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مصر، دار المعارف، 1947، ص104- 105.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص58؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 161؛ وقد نظم الشاعر الأندلسي ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربة المتوفي سنة (328هـ/ 939م) في هذه الغزوة وجميع غزوات الخليفة الناصر وانتصاراته ارجوزة شعرية رائعة يقول في مستهلها:

قد أوضح الله للإسلام منهاجاً والناس قد دخلوا في الدين افواجاً

للمزيد، ينظر: العقد الفريد: 4/ 449- 450 وما بعدها.

=

سوى ما فتح بفتحها من بناتها وذواتها وقصابها ومراتبها مما قارب الثلاثمائة بين حصن وبرج[1]، وذلك سنة (301 هـ/ 912م) حتى بسط نفوذه على أشبيلية[2].

وتفرغ بعد ذلك الأمير عبد الرحمن بن محمد لتمرد عمر بن حفصون[3] الذي شكل خطرا كبيرا على الدولة الأموية منذ بدايتها في عصر الإمارة سنة (267 هـ/ 880م) أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ/ 852م-

---

= والمنتلون: حصن أندلس من نواحي مدينة جيان التي تقع شرق مدينة قرطبة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق: 5/ 207؛ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، لبنان، دار المعرفة، 1955: 3/ 1317؛ الحميري، المصدر السابق، ص458.

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص61- 62؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 196؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص280- 281.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 162- 163.

(3) يعتبر عمر بن حفصون من اشهر المتمردين على الإمارة الأموية في قرطبة، وهو ينتسب الى أسرة فقيرة اعتنقت الإسلام منذ عهد الأمير الحكم بن هشام (180هـ/ 796م- 206هـ/ 821م)، عاش في بداية امره في إقليم رندة الذي تحيطه كورة تاكرونا في جنوب الأندلس، ثم فر الى بلاد المغرب بعد ارتكابه جريمة قتل ثم عاد الى الاندلس واستولى على حصن روماني أسمه (ببشتر Babastro) في المناطق الجبلية الجنوبية في اقليم رية. وقد التف حوله جماعة من المولدين وذلك سنة (267هـ/ 880م) ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن. وقد استمر هذا التمرد قرابة 48 سنة، حتى ايام الأمير عبد الرحمن بن محمد: ينظر ابن القوطية، المصدر السابق، ص109، 121؛ ابن حيان، تحقيق ملشور انطوانيا، ص50–51؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 139؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 34-35؛ الحميري، المصدر السابق، ص79؛ وينظر:

Rachel Arie, Abdal–Rahman III, emiret califè de cordoue, AL–andalus, Tome 10 , Toness , 1993 , P. 5 .

273هـ/ 886م)، ولاسيما تعاونه مع بعض دول المغرب العربي[1]. وقد استمرت الفتنة في هذا العصر لكنها أصيبت بإحباط شديد بموت عمر بن حفصون نفسه سنة (305هـ/ 917م)، ثم أكمل التمرد أولاده حتى تم القضاة عليهم سنة (315هـ/ 927م)[2].

وكان وقع هذه الأحداث إيجابياً في السير قدما وتعزيز سلطة الدولة الأموية وحاكمها الأمير عبد الرحمن بن محمد الذي على بشدة باسه وقوة مراسه ومضاء عزيمته وثبوت سلطانه، وهذا ما دفعه الى ان يقدم على خطوة جرئية ومهمة وهي إعلان الخلافة[3] والتلقب بالناصر لدين الله وذلك في مستهل ذي الحجة سنة (316هـ/ 929م)[4]، وهو أول من تسمى بها من بني أمية بالأندلس[1]، حيث كان يسمون بأبناء الخلائف[2].

(1) حيث تذكر المصادر ان الاغالبة لم يتورعوا في تحريض وتدعيم الثوار ضد أمراء قرطبة حيث ساعدوا عمر بن حفصون في ذلك، كما دعى عمر بن حفصون على المنابر في الأندلس للأدارمة في المغرب الأقصى وجرت بينهما مراسلات للتآمر على الخليفة في الأندلس. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف 1962، ص50؛ ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص87- 88؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 1/ 633؛ عبد العزيز الفيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الاندلس ودول المغرب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، د.ت، ص114- 115، 131.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص209 وما بعدها؛ اخبار مجموعة، ص154؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 195-196؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 140؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ط7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964: 3/ 295.

(3) ابن حزم، جمهرة أنساب، ص100؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 198- 199؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص30.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص241؛ ابن سعيد، المصدر االسابق: 1/ 182؛ في حين تشير مصادر تاريخية أخرى الى سنة (317 هـ/ 930م) موعدا لأعلان الخلافة. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، =

وكان لاتخاذ هذا اللقب العديد من الأسباب منها تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق وما الت اليه من الضعف والانحلال والاستبداد من قبل الاتراك وعبثهم بأمور البلاد[3]. كما كان لقيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وتوسعها السريع في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تهديدا كبيرا للأمويين في الأندلس[4]، فضلا عن ما سبق اراد الخليفة الناصر فرض هيبته في نفوس رعيته وأسرته والممالك المسيحية الأسبانية التي أصبحت خطرا يهدد

=

ص13؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث عام 321 هـ- 330هـ تحقيق: عبد السلام تدمري، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002، ص444.

(1) تذكر الروايات ان بني أمية دعوا لبني العباس في بداية دخول عبد الرحمن الداخل ثم كف عن ذلك. ينظر: ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص90؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 35-36؛ ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، 1971، ص60؛ ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967، ص44.

(2) المراكش، المصدر السابق، ص54؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 181-182؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص31.

(3) المراكش ،المصدر السابق، ص54؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 182؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 137؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص17-18؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44.

(4) ابن حزم، رسائل: 2/ 194؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 182؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 298؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص60-61؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44.

بلاده خاصة بعد حالة الضعف النسبي التي عاشتها البلاد سابقا[1]، وقيل ان أهل الأندلس أنفسهم طلبوا من الناصر إعلان الخلافة[2].

وقد أدت سياسة الخليفة الناصر الحكيمة وانتصارته الباهرة، وحكمه المديد الى سيادة الأمن الاستقرار النسبي، مما أدى بدوره الى الرخاء الاقتصادي ووفرة الأموال وارتفاع مستوى المعيشة[3]. فأدى الى تهيئة الظروف الملائمة لتزايد العمران، فازدحمت قرطبة في عهده بالعمران واصبحت في اوج جمالها واناقتها وزودت بالعديد من المرافق والمنشات ومن أبرزها بناءه مدينة الزهراء التي سنأتي على ذكر تفاصيلها خلال الفصول القادمة، ودام حكم الخليفة الناصر ما يقارب من النصف قرن حيث توفي سنة (350هـ/ 961م)[4].

وتولى ابنه الحكم المستنصر[5] الخلافة من بعده وأخذت له البيعة من جميع

---

(1) احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلس، بيروت، 1971، ص380؛ ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص26- 27.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص241؛ ابن الاثير، المصدر السابق: 8/ 535؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص380؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل، 1986، ص157.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص103- 104؛ وينظر: علي، المرجع السابق، ص432؛ جاك س. ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، مصر، د.ت، ص149.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص13؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 197.

(5) هو الخليفة ابو المطرف الحكم بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستنصر بالله، أخذت له لاية العهد في حياة ابيه سنة 325هـ/ 936م وتولى الخلافة وعمره سبعة وأربعين عاماً وعرف بحبه للكتب والعلوم حتى قيل انه بصير بالادب والعلوم والشعر وانساب الناس، وبلغت الاندلس في عهده من ناحية العلم والعلماء اوج عزها وازدهارها، ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب، ص100؛ =

أنحاء الأندلس وثغورها وتولى الخلافة والبلاد موحدة مستقرة قوية تمتعت بالرخاء والحياة المزدهر، وبلغت الدولة اوج عظمتها وتقدمها[1]، واستطاع الخليفة الحكم المستنصر ان يثبت قدرته وحنكته السياسة على الرغم من اهتمامه الكبير بالجانب العلمي والثقافي، فقد مارس الحكم في حياة والده، الذي دربه ليتولي الأمور السياسية واسند اليه الوظائف المهمة في الدولة، وبذلك استطاع ان يحافظ على الهدوء والاستقرار الداخلي الى جانب مواجهة الأعداء في الخارج ليثبت لهم ان عصره هو استمرار لعصر والده[2].

وكان الخليفة الحكم المستنصر مثل ابيه محبا للبناء والأعمار فكان عصره مكملا لعصر والده، وقد ارتبط أسمه بالزيارة الكبرى التي اجراها في المسجد

---

= الحميدي، المصدر السابق، ص13؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: 1/ 200؛ الذهبي، دولة الإسلام، تحقيق: محمد مصطفى إبراهيم وآخرون، مصر، الهيئة المصرية للكتابة، 1974: 1/ 182؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، د.ت: 3/ 55؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 483؛ وفاء عبدالله بن سليمان المزروع، الخليفة الحكم المستنصر، السعودية، الدار السعودية، 1982، ص116 وما بعدها.

(1) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ وينظر: عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الاندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت، دار العلم، 1976، ص299؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 440.

(2) ابن حيان، تحقيق شالمتيا، ص161، 171، 199، 201، 209 وما بعدها؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 173، 176؛ المقري، ازهار الرياض في اخبار بني عياض، الرباط، صندوق إحياء التراث، 1978: 2/ 286؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 441؛ المزروع، المرجع السابق، ص25-27 وما بعدها.

الجامع بقرطبة[1]، وأيضا اهتمامه بانشاء دور الكتاتيب وتطوير مكتبة قرطبة الخلافية[2].

وفي أواخر عهده شعر الخليفة الحكم المستنصر بأعراض الضعف والمرض تدب فيه[3]، فأمن ولاية العهد لأبنه هشام (366هـ/ 966م-399هـ/ 1008م) وذلك في جمادي الأخرى سنة (365 / 976م)، وأخذت له البيعة، فأصدر الخليفة أوامر بان تبعث كتب بهذا الشأن الى مختلف الجهات في المغرب والاندلس فبويع هشام بن الحكم بالخلافة عند وفاة والده سنة (366هـ/ 976م)[4]. ولم يكن يتجاوز الثانية عشرة من عمره مما أدى الى ظهور شخصية الحاجب المنصور بن ابي عامر الذي عمل على تسلم مقاليد الحكم في

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 241.

(2) ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 200، 203؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 146؛ وينظر: حسين، المصدر السابق، ص147 وما بعدها.

(3) كان الحكم المستنصر قد اصيب في أواخر عصره بمرض الفالج (الشلل) وتوفي في اليوم الثاني من صفر سنة (366هـ / 977م) في قصر الخلافة بقرطبة بعد ان ترك مدينة الزهراء لغلبة برد هواء الجبل عليه لذلك نصحه الأطباء بترك هذا المكان سنة (364هـ / 975م)؛ ينظر: ابن حيان، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص211؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص43 – 44؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259.

(4) الحميدي، المصدر السابق، ص13–14؛ الضبي، المصدر السابق، ص18؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 200؛ ابن الخطيب، اعمال الأعلام، ص43، 44؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 249.

الدولة الأموية[1]، فتخلص من منافسيه وأولهم الصقالبة[2] الذين أرادو تعيين الأمير المغيرة بن عبد الرحمن الناصر بدل هشام بن الحكم للمحافظة على مراكزهم في الدولة[3].

ومن ثم عمل على التخلص من كبار موظفي الدولة ممن يعتقد بأنهم يحولون دون انفراده بالسلطة واستبدلهم بعناصر جديدة ممن يرتضيهم من رجاله[4].

---

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص17؛ الضبي، المصدر السابق، ص19؛ ابن الاثير، المصدر السابق: 8/ 667؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 253، وما بعدها؛ وينظر:

Leve Provencal , Histoire–De–L'espagne–Musulmane , paris , 1967: 3/12.

(2) الصقالبة: جمع صقلبو بالأسبانية Eslavos، وبالانكليزية Slave، وهذه اللفظة تشمل الشعوب السلافية، الذين كانت تبيعهم بعض الأمم الأوربية عبيدا للاندلسيين وقلي انهم كانوا يفدون أيضا من كالابريا ولومبارديا، ومن بلاد الفرنجة وجليقية، واستخدمهم الأمويين كخدم في القصر الخلافي وفي ذلك العصر تبؤوا مكانة مميزة في الجيش الاندلس ومنهم جؤذر الصقلبي وغيره. ينظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص105؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259؛ احمد مختار العبادي، الصقالبة في أسبانيا، مدريد، 1953، ص8–10؛ لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة، 1969، ص36– 38؛ للمزيد ينظر: محمد ثابت الفندي، مادة (الصقالبة)، طهران، دائرة المعارف الإسلامية، د.ت، مجلد 14/ 250– 254.

(3) ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1975، ق4: 1/ 58؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 308.

(4) ومن هذه الشخصيات جعفر بن عثمان المصحفي كبير الوزراء، وقائد الجيش غالب بن عبد الرحمن للتفاصيل، ينظر: ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 61؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 202؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 265، 272– 273؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، =

كما اهتم الحاجب المنصور بن ابي عامر بالجيش حيث شكل فرقا من المسلمين، لتحل محل الصقالبة، وأبقى فريقا من الصقالبة فمن يؤيده يدعون بالفتيان الصقالبة[1]، وقدم البربر على سائر الجند واتخذهم صنائع له تحت يديه يعملون بأمره وينفذون سياسته واستكثر منهم حتى شكلوا غالبية رجاله[2].

وتمتعت الأندلس بالقوة والاستقرار النسبي في عصر الحاجب المنصور بن ابي عامر وانتشر الأمن والرخاء وكانت أيامه كلها أيام فخر وظفر ورخاء ولم تعاني الدولة خلالها من أية ثورة او فتنة، وازدهرت فيها التجارة والصناعة والعلوم والعمران وفاضت خزائن الدولة بالأموال ولم يحل اهتمام الحاجب المنصور بالسياسة داخلياً وخارجياً دون اهتمامه بالبناء والتعمير فعمل على زيادة المسجد الجامع وإنشاء مدينة الزاهرة وقصورها وحدائقها المنيفة[3].

وتوفي الحاجب المنصور ب ن ابي عامر في رمضان سنة (392هـ/ 1001م)[4]، وتولى أبنه عبد الملك الحجابة من بعده وسار على سنن

=

ص61؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 147؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 311؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص328؛ عنان، دولة الإسلام: 3/ 41- 43.

(1) ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 34، 61؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259؛ وينظر: حسن، المرجع السابق: 2/ 303.

(2) عبد الله بن بلقين، مذكرات عبد الدين بلقين المسمى بكتاب التبيان، تحقيق: ليقي بروفنسال، مصر، دار المعارف، 1955، ص16-17؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 274.

(3) ابن بلقين، المصدر السابق، ص17؛ عنان، دولة الإسلام: 3/ 83-85.

(4) ابن الأبار، الحلة السيراء: 1/ 273؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص80-81؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 313.

والده في السياسة والجهاد وقد وصفت أيامه أعياداً وبلغت الدولة نهاية العظمة والكمال ودام حكمه سبع سنوات وتلقب بالمظفر[1]، وتولى الحجابة بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول فبدأ عصر الفوضى والاضطراب والتجزئة مما أدى الى سقوط الدولة العامرية سنة (399هـ/ 1008م)[2]، ومن ثم التمهيد لدخول الأندلس عصر الفتنة حتى سقوط الخلافة الأموية نهائيا سنة (422هـ/ 1030م)[3].

أما السياسة الخارجية آنذاك فكانت قائمة على أسس وضعها منذ البداية الخليفة الناصر وتمثلت في فرض هيبته على دول الممالك الأسبانية الشمالية وذلك بالتفوق العسكري عليهم، ورد عدوانهم المستمر. منذ سنة (301هـ/ 913م)[4] وعلى الرغم من الهزيمة التي تلقاها على يد (راميرو الثاني

---

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص79؛ ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 78- 79؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص65- 66؛ ابن الأثير، المصدر السابق: 8/ 678؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 3- 4؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 328.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 38- 39؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 68؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 328؛ عنان، دولة الإسلام 3/ 143.

(3) العذاري، المصدر السابق، ص106؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 270؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 213؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 66- 118؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص364؛ عنان، دولة الإسلام: 3/ 170- 172.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص93- 96؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عبد ربة، المصدر السابق: 4/ 449 وما بعدها؛ عنان، تراجم إسلامية، ص171؛ علي محمود حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، نشر: محمد حلمي الميناوي، مصر، دار الكتاب العربي، 1957، ص199 وما بعدها.

Ramiro II -320هـ/ 932م- 339هـ/ 950م) ملك ليون في موقعه الخندق التي وقعت قرب شنت بانكس (سيمانقة) سنة (327هـ/ 938م)[1]. فقد حقق العديد من الانتصارات عليهم[2]، فعملوا على إرسال الوفود الى قرطبة راغبين في عقد الصلح والسلم فتم لهم ذلك ومنذ بداية القرن الرابع الهجري تبوأت قرطبة مركز الصدارة في العالمين الإسلامي والمسيحي واصبحت مركز الجاذبية الدبلوماسية في العالم وتتجه إليها الأبصار من الأمم النصرانية على اختلاف مللها[3] راغبة في المساعدة كما حدث مع ملك ليون شانجة المعروف بالسمين[4]

---

(1) موقعة الخندق: هي المعركة التي قادها الخليفة الناصر ضد جيش راميرو الثاني ملك ليون في موقع شانت مانكش، وقيل انها كانت أخر معركة قادها الخليفة الناصر بنفسه ضد الممالك المسيحية، فقد حطت الهزيمة في نفسه وقعا مؤثرا: ينظر: ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص432، وما بعدها؛ البكري، جغرافية، ص76- 78؛ أخبار مجموعة، ص155- 156؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 4 / 137؛ Arie , Op. cit P. 6

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص438؛ البكري، جغرافية، ص79.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 213، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 143؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 298- 299؛ وينظر: فيليب حتي، تاريخ العرب مطول، بيروت، دار الكشاف، 1951: 3/ 623- 624؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص274.

(4) حيث وفد شانجة (سانشو) مع جدته طوطة الوصية على عرش نافار بعد ان خلفه رجال مملكة ليون لأنهم لم يكونوا راضين عنه بسبب أفراطه في السمنة وعدم مقدرته على ركوب الخيل فعزلوه وخلفه اردينيو الرابع (الملقب بالرديء) فتم علاجه على يد طبيب البلاط الأموي حسداي بن شبروط اليهودي، ومن ثم ساعده الخليفة الناصر على استرجاع سلطانه فرد عليه ملكه سنة (349هـ/ 960م). ينظر: المقري، نفح الطيب، 1/ 285- 286؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار المستقبل، 19980، ص321؛ حتي، المرجع السابق: 3/ 624.

(345هـ/ 932م- 339هـ/ 950م) فعندما نشب صراع على العرش في مملكة ليون كان للخليفة الناصر يد في تنصيب الملك شانجة على العرش بدلا من اردينيو الرابع (347هـ/ 958م- 339هـ/ 960م) المعروف بالردي، وتعهد شانجة مقابل ذلك بتسليم بعض الحصون والقلاع المهمة الواقعة على حدود الدولتين للخليفة الناصر[1]، إلا إن شانجة نقض العهد بعد ان توفي الخليفة الناصر سنة (350هـ/ 961م) ظناً منهم أن الخليفة الحكم المستنصر غير جدير بالمهام السياسية فأعلن الخليفة الحكم المستنصر التعبئة العامة في جميع أنحاء الأندلس لرد العدوان وتمكن من احراز العديد من الانتصارات، وبذلك احتفظت الدولة بهيبتها لدى الممالك المسيحية طيلة تلك الفترة[2]، واستمر الحاجب المنصور بن ابي عامر في أتباع السياسة نفسها حتى قيل في حقه انه لم تعرف له هزيمة طيلة فترة حكمه[3].

وتبوأت الخلافة الأموية بذلك المكانة الرفيعة وذاع خبرها بين الأقطار، فمدت لها الممالك الأسبانية وحتى الأمم الأوربية شمالا وشرقا يدالاذعان والطاعة والمودة، وافدوا سفاراتهم وملوكهم وهداياهم رغبة منهم في السلم والارضاء أمثال روما القسطنطينية[4]. وأسفرت هذه العلاقات الودية مع الدول

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 221؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 302- 305؛ الحجي، اندلسيان، بيروت، دار الرشاد، 1969، ق3، ص75-76.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 286؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 145؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 298.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 286؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 148؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 311.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 213- 215؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص192- 193.

الأوربية الى توفير المواد الأولية للبناء حيث أرسلت اليها الهدايا التي احتوت على بعض القطع المعمارية المميزة كالحوض المذهب الكبير المنصوب في المجلس الغربي من مدينة الزهراء وبعض قطع السواري والتي أهديت من اليون اوليو السادس (273هـ/ 886م- 300هـ/ 912م) إمبراطور القسطنطينية[1]. وقطع الفسيفساء التي زينت بها جدران المسجد الجامع والتي أهديت من إمبراطور الروم[2].

أما الفاطميون في المغرب فكانوا يشكلون تهديدا مستمرا على الأمن في الأندلس، مما دفع الخليفة الناصر ومن جاء بعده الى إتباع جملة من الأساليب لرد أطماعهم عن الأندلس ومنها[3]:

1- اتخاذ لقب الخلافة سنة (361 هـ/ 928م)[4].

2- فرض الهيمنة على المدن والمناطق الساحلية المغربية المهمة وجعلها قواعد لقوات الاندلس البرية والبحرية ومنها طنجة ومليلة حيث دخلت نفوذ الإمارة الأموية سنة (314هـ/ 926م)[5]، أما سبتة فدخلتها سنة (319هـ/ 931م)[6].

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص301؛ المقري، ازهار: 2/ 268؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 240.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 237؛ انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مصر، مكتبة النهضة، 1955، ص60.

(3) قارن، السامرائي، المرجع السابق، ص157.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 137؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 337، 338.

(5) البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، نشر: دي سلان، الجزائر، 1857، ص89.

(6) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص388 ومابعدها؛ البكري، المغرب، ص104؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 204.

3- تقوية الأسطول الأندلسي وتحصين الموانئ المواجهة لبلاد المغرب العربي ومنع وصول الامدادات الى المتمرد عمر بن حفصون[1].

4- مساندة القوة المناهضة للفاطمين في المغرب مادياً ومعنوياً واتباع سياسة ضرب القوى بعضها ببعض[2].

واستمرت هذه السياسة المتبعة مع الخطر الفاطمي طيلة فترة القرن الرابع الهجري، ونتيجة للجهود المبذولة من قبل حكام الأندلس في هذا القرن ثم تثبيت النفوذ الأموي في بلاد المغرب العربي والسيطرة عليها واحتفظت الأندلس بهيبتها وتفوقها العسكري طيلة هذه الفترة ومواجهة كل الأخطار التي واجهتها سواء من الجنوب او الشمال حتى غدت أعظم أقطار العالم ووفدت إليها العديد من السفارات والرسل من إمبراطورية بيزنطة وملوك المانيا وإيطاليا وفرنسا[3]. وبذلك استطاعت قرطبة الحفاظ على أمنها واستقرارها والهدوء النسبي والذي بموجبه تمكنوا من إظهار فخامة وابهة العطاء الحضاري المتميز بالعمران الذي تفنن في وصفه المؤرخين حتى أصبحت قرطبة تضاهي بغداد في عظمتها على حد قول ابن حوقل[4].

---

(1) ابن حيان ،تحقيق شالميتا، ص312–314، 323، 324، 366؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 165.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص255؛ وقد أشار ابن حيان الى ان الأمويين ساندوا بدورهم حركة يزيد مخلد بن كيداد ضد الوجود الفاطمي بالمغرب بغية إضعاف الفاطميين واستنزافهم.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 229؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 1/ 142- 143؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 285- 288؛ وينظر علي محمد راضي، الأندلس و الناصر، (بلا. م) دار الكتاب العربي، 1967، ص34.

(4) صورة الأرض، ص108، وينظر: عنان، دولة الإسلام: 1/ 435- 436.

## ثانيا: العامل الاجتماعي

كان المجتمع الأندلسي مكونا من عناصر شتى مؤلفة من قسمين هم: المسلمون وغير المسلمون، فالمسلمون هم سكان البلاد الاصليون[1]، أو الفاتحين من العرب والبربر او الصقالبة[2]. أما غير المسلمين فكانون معظمهم من النصاري الاسبان الذين بقوا بعد الفتح في المدن والبقاع المفتوحة تحت الحكم الإسلامي[3]. فضلا عن اليهود الذين تعايشوا مع المسلمين في الأندلس وتأثروا بثقافتهم[4].

وهذه الأجناس والعناصر المختلفة عاشوا في الأندلس بمجتمع يسوده التسامح والإخاء والتقدير للكفاءة والمؤهلات، ومن هنا كان المجال مفتوحا لظهور العلماء والمفكرين في شتى المجالات ومن كافة الأجناس والديانات[5].

---

(1) وهم يشكلون غالبية المسلمين في الأندلس وأطلق عليهم المؤرخون اسم المسالمة وعلى أبنائهم المولدون، ينظر: ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 149؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة، 1959، ص429 وما بعدها؛ الحجي، التاريخ الأندلس، ص163، 283- 284؛ بروفنسال، الحضارة العربية، ص19.

(2) وهم الفاتحون الأوائل ويقسمون الى البلديون الذين اتوا مع جيش موسى بن نصير والشاميون الذين أتو بعدهم والبربر ممن وفدوا مع جيش طارق بن زياد مع العرب المسلمين اثناء الفتح. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص495- 502؛ طه، الفتح والاستقرار، ص202- 289.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

(4) مؤنس، فجر الأندلس، ص14- 15، 520- 525.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1973: 1/ 122، 144؛ وينظر: مؤنس، فجر الاندلس، ص440- 442؛ الحجي، اندلسيات، ق1، ص159.

واستمر هذا التسامح والانصهار في المجتمع الأندلسي على مر السنين وتزايد وبشكل ملحوظ في القرن الرابع الهجري خاصة بعد توفر الأمن والاستقرار النسبي في المجتمع الأندلسي، فظهر العلماء والأدباء والشخصيات المهمة في المجتمع الأندلس سواء من المسلمين او من أهل الذمة، فكان مثلا الطبيب يحيى بن اسحق احد وزراء الخليفة الناصر الذي كان جده قد خدم الأمير عبد الله بن محمد بالطب(1)، وتمتع الطبيب اليهودي حسداي بن اسحق بمكانة ونفوذ في بلاط الخليفة الحكم المستنصر(2).

ونتيجة لهذا التسامح لم يخل المجتمع الآندلس واجناسه المختلفة من حالة المصاهرات فيما بينها سواء من قبل الحكام او عامة الشعب فخير مثال على ذلك هو الخليفة الناصر والذي كانت والدته (مزنة) من اصول مسيحية(3). فضلا عن تزوج الخليفة الحكم المستنصر من (صبح البشكنسية) وهي والدة الخليفة هشام المؤيد وكانت تحظى بمكانة رفيعة في بلاط الخلافة الأموية آنذاك(4).

وقد اتبع الأمويون في الأندلس سياسة حكيمة قائمة على أساس العدل

---

(1) صاعد بن احمد بن صاعد، طبقات الأمم، النجف، المطبعة الحيدرية، 1967، ص102، ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965، ص488- 489.

(2) أبن صاعد، المصدر السابق، ص113؛ ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ص498؛ وينظر: Arie , Op. cit., P. 7.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 156؛ وينظر: الحجي، اندلسيات، ق1، ص61- 62.

(4) ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 272؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 38؛ وينظر: الحجي، اندلسيات، ق2، ص62.

والمساواة وإحقاق الحق وإشاعة التسامح بين الرعية الى حد كبير. وعملاً بمبدأ الشريعة القائل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساساً للتعامل الاجتماعي[1]. ويصف ليفي بروفنسال[2] حالة المجتمع الأندلسي إبان القرن الرابع الهجري بقوله ((إن عصر خلافة قرطبة شهد تمازجاً عنصريا هاما في المدن على الأقل، بين العرب الخلص والبربر والمولدين)). فبذلك استطاع المجتمع الاندلسي ان يتميز على نحو واضح في أهم مظاهر حياتهم اليومية وبرعوا في مهاراتهم وتالقوا بحضارتهم فنشطت روح التعاون والالفة وازدهرت كافة جوانب الحضارة.

ومن أولى بوادر هذه الحضارة الاندلسية والتي نشطت في فترة دراستنا وهي العمارة والتكثير منها، وأخذت العمارة حظها في التشجيع في قرطبة من قبل الحكومة الاندلسية نفسها باعتبارها إحدى شروط الاجتماع الإنساني[3] حيث ((يأخذ السلطان الناس بالتجارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الاقطاعات في الأرض الموات ويجعل لكل أحد ملك ما عمر، ويعينه على ذلك فيه لترخص السعار، ويعيش الناس والحيوان، ويعظم الأجر ويكثر الأغنياء وما يجب فيه الزكاة))[4].

وعرف عن الخليفة الناصر حبه وشغفه بالبنيان ونسبت إليه

---

(1) Provenal , Op. cit.,: 3 /10.

(2) الحضارة العربية، ص18.

(3) ابو عبد الله محمد بن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ليبا- تونس، الدار العربية للكتاب، د. ت: 1/ 223.

(4) المصدر نفسه: 1/ 223.

الأبيات الآتية:

هِمَـــمُ الملـــوكِ إذا آرادوا ذِكْرهَـــا ... مـــن بَعْـــدِهم فبالْـــسُن البُنْيَـــانِ

أوَ مـــا تـــرى الهَـــرمينِ بَقيـــاو كـــم ... ملـــكٍ مَحَـــاهُ حَـــادث الأزمـــان

إنَّ البنـــــاء إذا تَعَـــــاظمَ شَـــــأنهُ ... أضحى يدلُّ على عَظيمِ الـشأنِ[1]

ويمكن ان نلمس هذا الميل عند معظم الحكام المسلمين إذ يقول محمد عبد العزيز مرزوق[2] ((إن تشييد الزهراء يذكرنا بذلك الميل الذي نلمسه عند معظم أمراء المسلمين الذين ما تكاد تستقر بهم الأمور حتى يأخذوا في بناء قصور عظيمة قد تتحول بمضي الزمن الى مدن كبيرة)). ويشير محمد عبد الله عنان[3] الى شغف الناصر بالبناء نابع عن رغبته في إقامة المنشات والهياكل العظيمة على مر العصور لأنها مظهر الملك والبذخ والسلطان المؤمل.

وعرف من وزراء الخليفة الناصر كلفه بالبناء، فعلى سبيل المثال كانت الهدية المقدمة من الشاعر الوزير احمد بن عبد الملك بن شهيد[4] في أول ولايته كأمير على الأندلس، قد احتوت على كمية كبيرة من صخر البنيان وعشرين الف عود من الخشب القيم، وأشار في رسالته مدى حب الناصر وشغفه

---

(1) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 179- 180.

(2) الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، د.ت، ص45.

(3) دولة الإسلام: 2/ 436.

(4) هو احد كبار رجال الخليفة الناصر، تولى ولاية الاقاليم والوزارة، وقيادة الصوائف وهو أول من تلقب بذي الوزارتين وكان من أهل الأدب، ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص131؛ الضبي، المصدر السابق، ص177؛ ابن الابار، الحلة والسيراء: 1/ 237- 238.

وكلفه بالبنيان[1].

واتسمت سياسة الخلفاء في الأندلس في القرن الرابع الهجري بالدعوة للعمران بالرغبة والتشجيع دون فرض ذلك على السكان، فمنذ عهد الخليفة الناصر لدين الله واثناء قيامه ببناء مدينة الزهراء شجع الناس على بناء الدور والمساكن والسكن الى جواره، وبهذا يحدثنا ابن حوقل[2] وهو شاهد عيان أنه عند بناءه للزهراء ((اجتلب إليها العامة بالرغبة وأمر مناديه بالنداء في جميع أقطار الأندلس: ألا من أراد ان يبتني دارا او يتخذ مسكنا بجوار السلطان فله من المعونة اربعمائة درهم، فتسارع الناس الى العمارة وتكاثفت الأبنية وتزايد فيها الرغبة، وكادت الأبنية ان تتصل بين قرطبة والزهراء)).

واهتم الناصر اهتماما كبيرا بالعمران بكافة معالم الدولة حتى أفرط فيه[3]، فظهرت معارضة لذلك متمثلة بالقاضي المنذر بن سعيد البلوطي[4]

(1) المقري، نفح الطيب: 1/ 279- 282.

(2) صورة الأرض، ص107.

(3) ابن غالب، المصدر السابق: 2/ 302؛ الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983، ص245؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144.

(4) ابو الحكم منذر بن سعيد القاضي المعروف بالبلوطي، منسوب الى موضوع قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، وبدء نجمه بالظهور في سنة (338هـ/ 949م) في حفل إقامه عبد الرحمن الناصر لسفراء الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع في مدينة الزهراء، وارتجل خطابا مشهورا رشحه لقضاء الجماعة في قرطبة وأصبح بعدها المقرب الى الخليفة الناصر ومن بعده أبنه الخليفة الحكم المستنصر، وكان بليغا أديبا فقهيا عالما بأمور الدين والدنيا، ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص348؛ ابن خاقان، مطمح الانفس، ص237- 259؛ الضبي، المصدر السابق، =

(273هـ/ 886م- 355هـ/ 966م) حتى قيل ان الخليفة الناصر لدين الله كان ((كلفاً بعمارة الأرض وإقامة معالمها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعز السلطان فاقضى به الاغراق في ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهراء، البناء الذي شاع ذكره: استفرغ وسعة في تنميقها، وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاثة جمع متوالية، فاراد القاضي المنذر ان يعض منه بما تناوله من الموعظة تفضل الخطاب والحكمة والتذكرة بالإنابة والرحمة، فادخل في خطبته فصلا مبتدئا بقوله﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾[1]... ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الانفاق عليه، فجرى طلقا، وانتزع فيه قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2] واتى بما يشاكل المعنى في التخويف بالموت، والتحذير من فجاته، والدعاء الى الزهد في هذه الدار الفانية، والحرص على اعتزالها، والرفض لها.. حتى أذكر من حضره الناس وخشعوا، ورقوا واعترفوا، وبكوا، وضجوا ودعوا وأعلنوا في التضرع الى الله في التوبة، والابتهال في المغفرة وأخذ خليفتهم في ذلك بأوفر حظ، وقد علم انه المقصود به، فبكي وندم))[3].

---

= ص450- 451؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 290- 293؛ وينظر: حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، مصر، الدار المصرية، 1965، ص70- 72.

(1) سورة الشعراء، الآية (128، 129، 130).

(2) سورة التوبة، آية (109).

(3) ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي، تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة =

ومن مواقف القاضي المنذر بن سعيد البلوطي الأخرى إنكاره على الخليفة الناصر الإسراف في البناء حيث كان الخليفة الناصر قد اتخذ لسطح القبة التي كانت على الصرح الممرد المشهور شأنه بمدينة الزهراء قراميد من الذهب والفضة وانفق عليها مالا جسيما وعند اتمامه دعى في حضرته الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه ودخل عليه القاضي المنذر بن سعيد واجماً ناكساً الرأس ولما استقر في المجلس قال له الخليفة كالذي قاله لوزرائه من ذكر السقف فاقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له: (والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان لعنه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قلبك هذا التمكين مع ما أتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين) قال: فأنفعل الخليفة عبد الرحمن الناصر لقوله وقال له: أنظر ما تقول: وكيف انزلتني منزلتهم فقال له: نعم أليس الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾[1]، فوجم الخليفة وامر بنقض شقف القبة واعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها[2].

ويعلل احمد مختار العبادي[3] موقف القاضي المنذر بن سعيد بأنه يعبر عن ما كان يتمتع به المجتمع الأندلسي من حرية التعبير في المجتمع الإسلامي وإن

=

العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1979، ص69- 70.

(1) سورة الزخرف: آية (33).

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص302- 303؛ النباهي، المصدر السابق، ص71- 72 ؛ ابن العماد، المصدر السابق: 3/ 4- 5.

(3) في التاريخ العباسي والأندلسي، ص417.

الخليفة الناصر على الرغم من غضبه الشديد لم يحاول ان يعز له او يبطش به.

والى جانب اهتمام الخلفاء الأمويين كان للبلاط الخلافي أو كبار موظفي الدولة اهتماماتهم العمرانية كذلك، ولاسيما الوزراء والحجاب والفتيان والجواري وسيدات القصر الخلافي، ومنهم الحاجب المنصور بن ابي عامر حيث اتبنى له مدينة في شرقي قرطبة سميت الزاهرة وأحاطها بكامل الزينة والابهة وذلك ليظهر مدى العظمة التي كانت تعيشها قرطبة آنذاك، فضلا عن إظهار جانب من شخصيته في حبه الى أن يسمو سمو الملوك على حد قول ابن عذاري[1].

كما كان للنساء في البلاط الخلافي دور كبير في الاهتمام بالبناء وخاصة بناء المساجد كمسجد السيدة مرجان جارية الخليفة الناصر والذي اعتبر أحد اكبر مساجد الربض الغربي بقرطبة وسيأتي ذكره لاحقا[2].

ولما كانت قرطبة مركز الخلافة ومستقر ملكها وموطن السيادة والريادة فيها اهتم الحكام والرعية بالبناء وتزين العاصمة[3].

وامتازت قرطبة بانها مركز رئيس ومهم من مراكز الاشعاع العلمي والثقافي ومحط أنظار العلماء وطلبة العلم من أنحاء الأندلس وخارجها[4]، وكان

---

(1) البيان المغرب: 2/ 275.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص13- 14.

(3) ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 33؛ المراكشي، المصدر السابق، ص31؛ ابن شباط، المصدر السابق، ص141؛ الانصاري، المصدر السابق، ص242.

(4) ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 33؛ الشقندي، المصدر السابق، ص52.

للخليفة الحكم المستنصر جهود علمية واسعة كأنشاء المكتبات ومراكز العلم الأخرى حتى قيل انه افتتح فيها: ((سبعة وعشرون مكتبا منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة، واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح وابتغاء وجه الله العظيم..))[1].

وكان اهتمام الناس في قرطبة بالعلوم الشرعية وما يلحق بها[2] عاملا مهما في التطور العمراني وخاصة بناء المساجد والجوامع التي كانت تؤدي فضلا عن وظيفتها التعبدية وظيفة التعليم من خلال حلقات العلم ودروسه، ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن الفرضي[3] من المساجد كمسجد ابي علاقة ومسجد ام سلمة ومسجد ابا عثمان في قرطبة.

ويشير الحميري[4] (ت 900هـ/ 1494م) الى ان أهل قرطبة اشتهروا بصحة المذهب وأن أهل قرطبة كانوا أكثر سكان الأندلس تديناً وتقوى. وقيل ان أصحاب الدكاكين والصناع كانوا يتخذون ليوم الجمعة منذرا يسمعهم التكبير إذا كبر الأمام ويشعرهم بالآذان ليتأهبوا للصلاة كل يوم، وكان يأمر بذلك المحتسب[5].

كما كان من صفة أهل قرطبة حبهم لأعمال البر والإحسان لأن الحسنة

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص52.

(3) تاريخ العلماء: 1/ 262، 284، 294.

(4) الروض المعطار، ص33.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص23.

تبقى لصاحبها وتشفع له، استنادا لقول رسول الله محمد (ﷺ) ﴿إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع بـه، أو ولـد صالح يدعو له﴾[1]. وبهذا تبقى الحسنة لفاعلها بعده إذا مات أبد الدهر كبنيان مسجد او حفر بئر او اصلاح قنطرة، ومن هنا زاد أقبـال العامـة والحكـام علـى البنيان[2].

ويعلل عبد عبد العزيز مرزوق[3] اهتمام النـاس بـالعمران الى ان ((ميـل العرب للعمارة والفن موروث ومكتسب من وصف الله في القرآن الكريم لجنات النعيم التي أعدها لعباده المتقيين وصفا شيقا لعله كـان مبعـث الـوحي لهـم فيمـا شيدوه من عمائر بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[4]، وقوله ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[5])).

كما امتاز المجتمع الأندلسي بحبهم لكل جميل وتعلقهم بحياة النعيم وذلـك بلـبس أحسن أنواع الثياب وركوب أجمل الدواب[6]، كما ينقل عنهم حـبهم﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ

(1) ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، د. ت: 3/ 1255.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص27.

(3) الفنون الزخرفية، ص44–45.

(4) سورة العنكبوت، الآية (58).

(5) سورة الزمر، الآية (20).

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108.

ٱلْمِيعَادَ ﴾ للنظافة والاعتناء بالتنميق وإظهار الزينة قول ابن حوقل[1] بأن ((أعظم مدينة بالأندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق)). فالناس كانوا يؤمرون بعدم رمي الأوساخ والقذارة على الطرقات بل كان هناك مواضع لرميها تدعى المزابل وموقعها خارج المدن فيمنع طرح القذارة داخل المدينة وعلى كل ربض اتخاذ موقع لها بين أظهرهم لذلك وبعد ذلك يتم تنقيته من ما يجتمع فيها من الأوساخ[2].

وكان لزيادة حجم السكان بقرطبة دافعا مهما للاهتمام بعمران الدور المساكن، حيث بلغ عدد سكان قرطبة في عصر الخليفة الناصر ما يقارب النصف مليون نسمة[3].

واهتم أهل الأندلس بإنشاء بعض المرافق التي كانت ذات صلة وثيقة بحياتهم اليومية كالشوارع والأسواق والفنادق والحمامات لأهميتها في كافة جوانب حياتهم، ومما يلفت النظر في إنشاء الحمامات وقوعها قرب المساجد لسهولة الوصول إليها للاستحمام والتوجه الى الصلاة، فقيل ان عدد حمامات قرطبة بلغ ما يقارب 900 حمام[4].

---

(1) صورة الأرض، ص107؛ وينظر: احمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، ط7، القاهرة، دار المعارف، 1979، ص52.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص37.

(3) سالم، تاريخ المسلمين، ص295؛ انور الرفاعي، الإنسان العربي و الحضارة، دمشق، دار الفكر، 1970، ص326؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 34.

(4) ابو الفداء، المصدر السابق، ص175؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 67؛ وينظر: سالم ، =

وسنحدد في الفصول القادمة أهم المنشات العمرانية في قرطبة وضواحيها في مدة البحث والتي كانت لها أثر كبير على زيادة عظمة قرطبة وتبيان مركزها من العالم آنذاك، حتى قيل أنها كانت أرقى عواصم العالم في تلك الفترة[1].

## ثالثا: العامل الاقتصادي

امتازت الاندلس طوال القرن الرابع الهجري ونتيجة للاستقرار السياسي والاجتماعي بانتعاش الحياة الاقتصادية مما ادى بدوره الى توفر الأموال وارتفاع المستوى المعاشي لأهل الأندلس.

ويشير ابن حوقل[2] ان الأندلس كان ((يغلب عليها المياه الجارية والشجر والتمر والأنهار العذبة والرخص والسعة في جميع الأحوال الى نيل النعيم والتملك الفاشي في الخاصة والعامة فينال ذلك أهل مهنهم وأرباب صنائعهم)). حيث امتازت قرى قرطبة بإنتاج أنواع الغلال والمحاصيل الزراعية منها القمح التي اشتهرت بزراعتها كنبانية (قنبانية) قرطبة[3]، وأنواع الزيتون والفواكه والكروم[4]. وكان لأزدهار الوضع الزراعي بقرطبة دور كبير في زيادة الانتعاش الاقتصادي لسكان قرطبة مما أدى الى توفير الأموال التي تعتبر أساس زيادة العمران والتوجه نحوه حتى قيل ان ((الملك بالجند، والجند بالمال،

---

=

تاريخ المسلمين، ص307.

(1) قارن غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط3، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1956، ص273- 274.

(2) صورة الأرض، ص104.

(3) الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص217.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص296.

والمال بالعمارة))[1].

حيث بلغت ضمان دار الضرب في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر مئيتي الف دينار في السنة فضلا عن أموال الصدقات والجباية والرسوم على البيوع في الأسواق والضرائب التي تؤخذ من السفن الصادرة والواردة عن الأندلس وغيرها[2].

وبلغ مجموع الأموال في بيت المال الى سنة (340هـ/ 951م) قرابة 20 مليون دينار عدا ما موجود في الخزائن من المتاع والحلي والمقتنيات النادرة[3]، واستمرت هذه الثروة بالزيادة والتضخم في عهد ابنه الحكم المستنصر حتى بلغت 50 مليون دينار[4] ووصل مبلغ الجباية في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر الى اربعة ملايين دينار فقط رسوم المواريث ومال السبي والمغانم والمصادرات وأمثالها مما لا يخضع لقانون[5].

واتخذ الخلفاء في الأندلس سياسة مالية صائبة قائمة على أساس مباشرة الوضع المالي للدولة بانفسهم ومعاقبة من يحاول التلاعب والإساءة بأموال

---

(1) ابن الازرق، المصدر السابق: 1/ 223.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص104؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص60.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107؛ ويشير ابن عذاري الى ان أموال الجباية في عهد الخليفة الناصر وصلت الى خمسة ملايين وأربعمائة وثمانين الف دينار ومن الأسواق سبعمائة الف وخمسة وستين دينار، ينظر: البيان المغرب: 2/ 231-322.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

(5) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص98؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص60.

الدولة، ففي سنة (330هـ/ 941م) عزل الخليفة الناصر وزيرة سعيد بن جسام[1] من خطة الوزارة والسكة لغشه بالسكة إضافة الى معاقبة المسؤول الأعلى ذي الوزارتين احمد بن عبد الملك بن شهيد لتهاونة وعدم محاسبته لوزيره الأول[2] وعندما تولى القاضي محمد بن اسحاق بن السليم[3] القضاء سنة (356هـ/ 966م) أمره الخليفة الحكم المستنصر ان يجدد الكشف والامتحان عن أموال الناس والاحباس واليتامي[4] مما يشير الى حرص الخليفة على ضبط أموال الناس واحباسهم. وفي سنة (356هـ/ 966م) وردت معلومات الى الخليفة الحكم المستنصر تفيد بان بعض عمالة قد زادت ثرواتهم على حساب الرعية، فكتب يحذرهم من مواصلة ذلك وانكر ذلك عليهم[5]. وتعتبر هذه الحقائق الواضحة دليلا ماديا ملموسا على حرص الدولة على أموال المسلمين وبلوغها غاية في الاستقرار والرقي مما يدفعها الى مكافئة الجيد ومعاقبة المسيء ضمانا لموارد البلاد.

كما كان للخلفاء دور في تزايد استقرار الوضع المعاشي الجيد للسكان من خلال تفادي بعض الازمات الاقتصادية التي كانت تصيب البلاد بين الحين

---

(1) وهو احد وزراء الخليفة عبد الرحمن الناصر، تولى وظيفة دار السكة مرتين منها سنة (322هـ/ 933م)؛ والاخرى سنة (327هـ/ 938م) وبقي فيها حتى سنة (330هـ/ 941م) عندما ضبط بتهمة الغش والفساد، ينظر: ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص243، 486– 488.

(2) المصدر نفسه: 2/ 486.

(3) ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص120؛ النباهي، المصدر السابق، ص75–77.

(4) النباهي، المصدر السابق، ص76.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 239.

والأخر، ففي سنة (303هـ/ 915م) حدثت مجاعة بالأندلس مما دفعت الى انتشار الغلاء والوباء والموت بين الطبقات الفقيرة، وبلغت الحاجة مبلغا لم تعهد مثله البلاد، فوقفت حكومة قرطبة ورجالها الميسورين ومدوا يد العون والمساعدة للطبقات الفقيرة[1]. كما حدثت مجاعة عظيمة بقرطبة سنة (353هـ/ 964م) فتكفل الخليفة الحكم المستنصر بمساعدة الفقراء والمحتاجين بكافة ارباض قرطبة[2].

كما كان الخليفة الحكم المستنصر يجري صدقاته كل شهر رمضان على ذوي الحاجة والفقراء وأبناء السبيل ويزيد منها في كل من قرطبة والزهراء وباقي ارباض قرطبة[3]. وعمل على بناء دار للصدقة خاصة بالفقراء والمحتاجين لتفريق الصدقات عليهم[4].

ويذكر ان الحاجب المنصور بن ابي عامر عندما ختن أولاده قام بختن عدد لا يحصى من أولاد الفقراء والمحتاجين فبلغت النفقة عليهم خمسمائة الف دينار، مما جعلها مكرمة مخلدة من مكارم الحاجب المنصو بن ابي عامر[5].

ولجأت الدولة في عصر الخلافة الى إبقاء الوضع المعاشي الجيد للسكان من

---

(1) ابن حيان، تحقيق شالمتيا، ص109-110؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 167- 168؛ وينظر: حبيب الجنحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لأبن حيان، مجلة المناهل، عدد 29، المغرب، الرباط، 1984، ص348.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 236.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص76، 110، 226.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 108.

خلال إسقاط بعض الضرائب المكلفة والتي يتحمل أعباءها العامة في قرطبة، حيث عمل الخليفة الحكم المستنصر عندما شفي من مرضه بأسقاط سدس جميع المغارم[1]. وايضا قام الخليفة هشام بإسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة من الزيت بقرطبة عند توليه للخلافة مما ادى الى فرح الناس في قرطبة آنذاك[2]. وخفف الحاجب عبد الملك المظفر (392هـ/ 1001م- 399هـ/ 1008م) الضرائب على الناس في قرطبة عند توليه الحجابة[3].

وكانت لهذه السياسة الاقتصادية المتبعة من قبل حكام الخلافة الأموية في الأندلس دورا أساسيا في توفير الأموال التي تعد من احدى الأسباب المهمة لتنشيط الحركة العمرانية سواء من قبل الحكام او العامة، وبذلك برع كل شخص في قرطبة بمهنته او صناعته التي زادت في ازدهار الجانب الحضاري لقرطبة وأدى بدوره هذا الى تحسن الحالة المعاشية لسكانها[4]. حيث تميزوا بالفهم الصحيح والوعي للمسؤلية الاقتصادية، مما دعى الى تقدير الكسب والتدبير وانتشار روح التعاون بين السكان مما جعل البيئة الأندلسية خالية من الكدية وكما مر بنا سابقا كان للحكام دورا أساسي في منع مثل هذه الظاهرة وذلك من خلال مساعدة المحتاجين والمساكين أيضا[5].

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 249.

(2) المصدر نفسه: 2/ 259.

(3) المصدر نفسه: 3/ 3.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص104.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص76، 110، 226؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ وينظر: عباس، المرجع السابق، ص24- 25.

ومما زاد الانتعاش الاقتصادي في قرطبة نمو التجارة والأموال الواردة من صادراتها ورسومها فكان ((تجارها [ قرطبة ] مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة ولهم مراكب سنية وهمم عليه))، وللتجار دور كبير في توفير المواد الأولية التي استخدمت في البناء بقرطبة حيث جلبت اليها قطع الرخام من قرطاجنة وتونس في شمال أفريقيا وكانوا يجلبون السواري التي استخدمت في بناء الزهراء من روما، فضلا عن جلب بعض الأيدي العاملة في البناء من خارج الأندلس حيث بعث الخليفة الحكم المستنصر الى ملك الروم طالبا إرسال أحد العاملين في صناعة تنزيل الفسيفساء عند زيادته في المسجد الجامع[1]، وهذا لا يمنع من وجود الصناع والعمال الماهرين في فن التنزيل والبناء والتنمق[2] فضلا عن النجارين والبنائين والعمال، وذكر أنه استخدم في بناء الزهراء ما يقارب 200 نجار و 300 نحات و500 أجير[3] واستخدم العبيد في البناء وقيل أنهم كانوا يجلبون عن طريق التجار اليهود الى قرطبة من سبي بلاد الافرنجة وجليقية والخدم الصقالبة الذين كانوا يخصون من قبل التجار اليهود[4].

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 237.

(2) توماس ارنولد، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، موصل، المطبعة العصرية، 1954: 2/ 490.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص300.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص105- 106؛ عبد الواحد ذنون طه، الأندلس من خلال صورة الأرض لأبن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد 23، بغداد، 1983، ص60، كونستبل، المرجع السابق، ص307- 309.

كما كان للصناعة في الأندلس وقرطبة بالذات دور كبير في توفير المواد الأولية التي وفرت لوازم البناء في عصر الخلافة و زادت في فخامتها وعظمتها ومن أولى هذه الصناعات، صناعة الآجر التي أقيمت خارج حدود مدينة قرطبة لغناها بمقاطع الرخام وبكافة ألوانه[1]. واستعملت هذه المقاطع الرخامية في صناعة الأعمدة الرخامية والألواح التي تكسو الجدران والأرضيات فضلا عن عمل الأحواض التي كانت تحفظ مياه الشرب في القصور والمساجد كما كانت تستخدم أيضا في تزيين ساحات وأبواب القصور[2].

وكان في قرطبة مقاطع للرخام الجيد فقد قيل ان ((بجبل قرطبة مقاطع الرخام الأبيض الناصع اللون والخمري))[3]، واشتهرت قرية فريش الواقعة غرب فحص البلوط بإنتاج أجود أنواع الرخام الأبيض الناصع اللون[4]، واستغل كل من الخليفة الناصر والخليفة الحكم المستنصر هذه المقاطع الرخامية في استخراج ما يلزم لصناعة الأعمدة وتيجانها وقواعدها واللوحات التي تكسو

---

(1) المقري، نفح الطيب: 1/ 190؛ احمد فكري، قرطبة في العصور الإسلامية، الأسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت، ص256.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص297- 298؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 79؛ وينظر: مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، مراجعة: جمال محمد محرز، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1977، ص31.

(3) المقري، نفح الطيب: 1/ 190؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص256.

(4) الأدريسي، المصدر السابق، ص207؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص289- 290؛ الحموي، معجم البلدان: 4/ 259؛ الحميري، المصدر السابق، ص440.

الجدران والأرضيات فضلا عن الأحواض[1].

ومن الصناعات المهمة في قرطبة والتي استخدمت في البناء وبشكل كبير هي صناعة الزجاج والخزف والبلور، حيث اهتم أهل الأندلس بصناعة الخزف والفخار، وعثرت الاكتشافات الأثرية في قرطبة على قطع كثيرة من الزجاج ما بين صغيرة وكبيرة وملونة وغير ملونة[2] حيث استخدم في البناء وتصميم الديكورات في القصور، فاستخدم الخليفة الناصر الزجاج الملون في بناء قبة داخل القصر في الزهراء ونقش الزجاج بالذهب[3]. كما كان مجلس اليتيمة في المدينة الزهراء يحتوي على تحف بلورية جميلة الصنعة[4].

كما اشتهرت قرطبة بصناعة الأنابيب المستخدمة لجلب المياه[5]، فضلا عن اعمال النحت في العاج حيث بلغت قرطبة درجة عالية من الرقي في هذه الصناعة[6].

واشتهرت مصانع الزهراء باستخدام الخشب الجيد بصناعة أبواب مدينة

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 58، 59؛ وينظر: سالم، قرطبة من العصر الإسلامي، ص55.

(2) مورنيو، المصدر السابق، ص382- 383؛ الجيوسي، المرجع السابق: 1/ 209.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 59.

(4) المصدر نفسه: 2/ 58.

(5) المصدر نفسه: 2/ 13؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص256.

(6) احمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1986، ص507.

الزهراء ورصعت بالجواهر ونحتت بالعاج والابنوس والذهب[1]، فضلا عن صناعة الحلي والسلاح والزخارف[2]، ويتبع هذه الصناعات صناعات أخرى كالحدادة والنجارة واشتهرت قرطبة بهذا الفن حتى حدد موضع خاص للنجارين يدعى بحومة النجارين[3].

ووجدت معادن أخرى كالذهب المتواجد في موضع يعرف بالمرج في قرطبة[4] هذا فضلا عن معدن الفضة المستخرج من قرية كرتش[5] واستخدم المعدنين في البناء حيث طليت الجدران والأرضيات والقباب وفي صناعة التحف والحلي وغيرها من امور الزينة والابهة فوجدت في القصور بقرطبة أنواع من التماثيل والأحواض المذهبة كالحوض الموجود في محراب القصر المؤنس في الزهراء[6].

كما وجد معدن الزئبق بشكل كبير في بسطاسة أحدى قرى فحص

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 88- 89؛ بول، المرجع السابق، ص132- 133؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ العبادي، دراسات في تاريخ الحضارة، ص507.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 438.

(3) الخشني، أخبار الفقهاء، ص80؛ ابن بشكوال؛ المصدر السابق: 2/ 495.

(4) الحميري، المصدر السابق، ص440.

(5) الاصطخري، المصدر السابق، ص35؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 3؛ وينظر: عنان دولة الإسلام: 2/ 690.

(6) المقري، نفح الطيب: 2/ 58؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص53.

البلوط[1]، واستغل الخليفة الناصر هذا المعدن في مليء أحواض قصره بالزئبق وذلك لكثرته عندهم في قرطبة[2].

ومن المعادن الأخرى معدن الحديد المستخدم في صناعة الأسلحة والمستخدم في البناء حيث عمل الخليفة الحكم المستنصر في تقوية أرجل القنطرة سنة (361هـ/ 971م) بمادة الحديد والخشب[3].

أما معدن الرصاص والنحاس فاستغلت في صناعة الأنابيب التي توصل المياه الى القصور والمنازل والمساجد[4]. كما استخدمت الصخور المتوفرة في قرطبة في بناء القصور والمنازل والقناطر وتبليط الشوارع والطرقات فيها[5].

وبهذا يمكن القول ان القرن الرابع الهجري في الأندلس كان عصرا زاهيا نتيجة لتعاضد العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فأثمر عن إنجازات رائعة في فن البناء والعمارة والتنميق فيها وسيأتي ذكر تفاصيل ذلك في الفصول التالية.

(1) الحموي، معجم البلدان: 5/ 126؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 3.
(2) المصدر نفسه: 2/ 58.
(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص64- 65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199- 200.
(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 2/ 628.
(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 13، 22؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص302- 303.

# الفصل الثاني

# العمارة الدينية

# الفصل الثاني
# العمارة الدينية

يعتبر المسجد في الإسلام من المظاهر العمرانية الرئيسة بالمدينة الإسلامية، حيث كان يقع في وسطها باعتباره محورا أساسيا في البناء، وأهم وظائفه، العبادة فضلا عن المهام الأخرى. وقد امتازت قرطبة بمسجدها الجامع، العلامة البارزة في عمرانها الى جانب المساجد الجامعة في الزهراء والزاهرة، وكذلك المساجد التي أنشاها عامة الناس في داخل قرطبة وضواحيها.

وسوف نستعرض أهم المستجدات في عمارة هذه المساجد خلال مدة الدراسة، سواء منها ما جددت عمارته وتم توسيعه أو ما انشا حديثا لتلبية حاجة المجتمع في قرطبة وضواحيها.

## أولا: المساجد الجامعة

### أ. المسجد الجامع في قرطبة

يعد المسجد الجامع بقرطبة من أهم العمائر الإسلامية البارزة وذلك باعتباره الأثر الرئيسي في فن العمارة في غرب العالم الإسلامي ويمثل العصر الذهبي الذي شهدته الأندلس طوال تلك القرون ولاسيما عصر الخلافة الأموية[1] إذ قد شهد سلسلة من الزيادات العمرانية المتتالية، ومنها المتمثلة بزيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأبنه الخليفة الحكم المستنصر والحاجب المنصور بن ابي عامر.

(1) مورنيو، المرجع السابق، ص16.

ويقع المسجد الجامع بقرطبة على امتداد الواجهة الشرقية للقصر الخلافي والى الشمال قنطرة قرطبة، ويفصل بينه وبين القصر الخلافي الطريق الأعظم المسمى بالمحجه العظمي[1].

ويرى الناظر إليه من الخارج شكلا رباعيا ذا جهات قليلة الارتفاع متحدة المظهر وقد وضعت بين مسافة وأخرى دعائم تشبه الأبراج يتخللها باب كبير تزينه زخارف رائعة ونوافذ مزدوجة وتبلغ مساحة البناء 76.70 × 75.73 م$^{2}$[2].

ينقسم هذا الجامع الى قسمين، قسم مسقوف يسمى بيت الصلاة وقسم مكشوف يسمى الصحن[3].

يتألف القسم الأول بين الصلاة من تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة تمتد الى اثنتي عشر قوسا تقوم على عمد من الرخام حيث يبلغ عدد تلك الأعمدة 1273 عمود[4].

ويصف المستشرق غوستاف لوبون[5] أعمدة المسجد الجامع بقرطبة بقوله ((يقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ويتكون من اجتماع هذه الأعمدة صفوف من الصحون المتوازية المؤدية الى باحته، وتتقاطع هذه الصحون وصحون أخرى كتقاطع الأضلاع الذي ينشأ عنه زوايا قائمة ويتألف من مجموع تلك

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 13؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 195.

(2) مورينو، المرجع السابق، ص18- 19.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص208؛ وينظر: شكيب ارسلان، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، بيروت، مشنورات دار مكتبة الحياة، 1355هـ/ 1936م: 1/ 137- 138.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص298؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص397.

(5) حضارة العرب، ص286.

الأعمدة غابة من الرخام واليصب والغرانيت ويعلو تلك الأعمدة أقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس)). وتختلف مواد وألوان الأعمدة، فهي ما بين رخامي ابيض، ووردي أو اخضر، وبعضها مرمري شفاف[1].

وتحتوي التيجان التي تعلو الأعمدة على الأشكال المختلفة من صور أوراق النباتات الكثيرة الرسوم الهندسية، ولا سيما أوراق النبات المعروف بشكوكة اليهود[2].

أما القسم الأخر من الجامع الأعظم فهو الصحن الذي ظل شكله تقليد وكذلك وظيفته، إلا أنه طرأ عليه في الأندلس شيء جديد وهو غرس الأشجار وخاصة أشجار النارنج والبرتقال والليمون[3].

والصحن عبارة عن فناء شاسع مستطيل الشكل يبلغ تقريبا ثلث رقعة المسجد أي انه يشغل الجزء الأكبر من المسجد وهو طراز اندلسي بأشجاره ونوافيره[4].

أما سقف[5] الجامع فهو مسطح يتألف من ألواح خشبية عرضية مصفوفة

---

(1) حسين مؤنس، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، مدريد، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963، ص76.

(2) مورنيو، المرجع السابق، ص31.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 119؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 318- 319.

(4) عنان، الأثار الأندلسية، ص22.

(5) والسقف ما يغطي داخل البناء وغالبا ما يكون السقف من الخشب على عكس القبو الذي لا يدخل الخشب في بنائه. ينظر: سالم، بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، عدد 1- 2، مدريد، 1957، مج 5، ص225.

مثبتة بالجص تدعى بـ (سماوات)[1] تمسكها عوارض خشبية طويلة تسمى بجوائز[2]، وتكسو هذه اللوحات زخارف هندسية متنوعة وبالرغم من كثرة عددها إلا أنها لا تشبه إحدها الأخرى، وجميع خشب هذا السقف من عيدان الصنوبر الطرطوسي[3]. ويحيط بالألواح أطار خشبي مزين بكتابات من آيات القرآن الكريم، ويصف الحميري[4] سقف الجامع الأعظم بقوله: (( وفي سقف الجامع من ضروب الصنايع والنقوش مالا يشبه بعضها بعضاً وقد أحكم تزينها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والتكحيل)).

أما محراب الجامع فهو اجمل ما في المسجد وطوله من القبلة الى الجوف ثمانية اذرع ونصف وارتفاع قبوه ثلاثة عشر ذراعا ونصف[5]. وقد بني بالأجر[6]، وعليها سبع قسي قائمة على عمد، طول كل قوس فيها فوق القامة.

(1) أي السقف الخشبي المسطح. ينظر: سالم، بعض المصطلحات، ص253.

(2) مفردها جائزة: وهي كتلة من الخشب قطاعها مربع تمتد أفقيا في جانبي السقف لتحمل الألواح الخشبية قطاعها مربع تمتد أفقيا في جانبي السقف لتحمل الألواح الخشبية فيما بينها، وتستند الجائزة في العادة على ركائن وكعوب خشبية. وحد الجائزة مربع دائما في مسجد قرطبة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 211؛ سالم، بعض المصطلحات، ص246.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص209؛ الحميري، المصدر السابق، ص154. وكانت غابة الصنوبر بطرطوسة أشهر غابات الأندلس، وكان خشبها احمر صافي البشرة رسمه لا يتغير سريعا، ولا يفعل فيه السوس. ينظر: متز، المرجع السابق: 2/ 328؛ كونستبل، المرجع السابق، ص294.

(4) الروض المعطار، ص457.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص297.

(6) لوبون، المرجع السابق، ص54، والأجر: اقدم مادة صناعية عرفها الإنسان في البناء. وكانت الشعوب القديمة تستخدم أجرا مجففا بالشمس اما الشوي في الافران فقد استخدم بعد ذلك كما =

وعلى أعلى هذه الأقواس كتابات منحوتة من الفسيفساء المذهب على أرضية من الزجاج[1].

ولقد اقيمت على واجهته سبعة عقود ثلاثية الفصوص، مزججة دقيقة التكوين والزخرفة يعلوها افريزان بين بحرين من الفسيفساء المذهب أيضا على أرضية من الزجاج وتحت هذه العقود افريزان اخران على رأسه رخامة مشبوكة محفورة منمقة تشبه القوقعة المقلوبة[2].

ولقد نقش المحراب من الداخل والخارج بزخارف نباتية وتوريقات وكان يتكون المحراب من غرف تؤدي اليها بوابة رائعة الزخارف وأقواس على شكل حدوة الفرس[3] لأول مرة بثبات في البناء الإسلامي[4]. وفوق هذا أقام المعماري سقف المحراب وجعله قطعة واحدة من الحجر هيأها على صورة المحارة مقسمة الى فصوص زخرفية. مما دفع البعض للقول، إننا لا نرى في زخرفة المحراب وبنائه مثيلا له، لا قديما ولا حديثا[5].

---

=

حدده الاقدمون تراب يحكم عجنه وتقريضه ثم يحرق ليبنى وهو اليوم كما نحدده حجر اصطناعي يشوى في افران خاصة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1/ 24.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص210؛ الحميري، المصدر السابق، ص457.

(2) مورينو، المرجع السابق، ص162؛ عبد البديع، المصدر السابق، ص183.

والافريز: كلمة معربة ليس لها أصل في اللغة العربية تعني افريز الحائط وقيل أنها الطنف ومنه ثوب مفروز. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 1071.

(3) فريد محمود شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، الرياض، جامعة الملك سعود، 1982، ص152.

(4) الجيوسي، المرجع السابق: 2/ 856.

(5) لوبون، المرجع السابق، ص286.

اما القباب[1] التي تعلو المسجد فهي تتألف من ضلوع متقاطعة فيما بينها ويرجع انتشار القباب في هذا المسجد الى عهد الخليفة الحكم المستنصر، وهي أربع قباب، الأولى قبة المحراب وقد تم بناؤها سنة (354هـ/ 965م) وتحف بها قبتان جانبيتان ولقد أقيمت قبة المحراب فوق حنية المحراب المثمنة[2]، ووصفت بأنها ((بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة أحكمت وأنزلت في موضعها باتقن صنعة))[3].

وأجمع الباحثون على ان أعظم ما ابتكرته قرطبة في فن العمارة هو طريقة عمل هذه الاقبية التي تقوم على عقود متقاطعة وأضلاع ظاهرة والتي اتبعت في اوربا بعد ذلك بقرنين من الزمان[4].

ومن اروع هذه القبات قبة الضوء أو القبة المخرمة الكبرى التي يبلغ عدد نوافذها ستة عشر نافذة يدخل منها الضوء فينير جوانب المسجد[5].

وعن يمين المحراب أقيم المنبر الذي ليس على معمور الأرض مثله في حسن

---

(1) القباب، مفردها قبة وهي غطاء من البناء يتخذ شكلا كرويا وغالبا ما يغطي المصطحات المربعة وتقوم على تجويفات في الاركان الأربعة للقبة ليحول هذا الطابق المربع الى طابق مثمن. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 3/ 4؛ سالم، بعض المصطلحات، ص253.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص297؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص157.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص297.

(4) حتي، المرجع السابق: 3/ 709؛ شاخت وبوزورت، تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، تحقيق: شاكر مصطفى، ط2، الكويت، سلسلة كتب الثقافة، 1988: 1/ 360-361.

(5) انظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص183.

صنعة[1]، ولقد صنع من عود مؤلف من الصندل الأحمر والأصفر والابنوس والمرجان واوصال من فضة مثبتة[2]. وامتاز المنبر بتقدم صناعة الحفر على الخشب وكان يتألف من 36 الف قطعة سمرت بمسامير من الذهب والفضة وطعمت هذه الوصلات بالأحجار النفيسة[3].

أما المئذنة[4] (الصومعة او المنارة) فلقد كان تصميمها وثيق الصلة بتصميم مئذنة جامع القيروان التي انبثقت عنها تصاميم مآذن العرب المسلمين وتقع في الجهة الشمالية الغربية للجامع وهي جليلة الأعمال غريبة الصنعة[5]. ويذكر ان ((ارتفاع المنارة ثلاثة وسبعون ذراعا الى اعلى القبة التي يستديرها المؤذن وفي رأس القبة تفاح من ذهب وفضة وارتفاعها الى مكان الآذان اربعة وخمسون ذراعا))[6].

---

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص210؛ ارسلان، المرجع السابق: 1/ 142.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص298.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص457؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 76.

(4) المئذنة: وهي بيت العبادة عند النصارى والصومعة منار الراهب، وصومع بناءه أي علاه. والصومعة من البناء سميت كذلك لتطليق أعلاها، ولقد استخدم مصطلح الصومعة في العمارة الإسلامية لاسيما في بلاد المغرب والاندلس كمرادف للمآذن، فالصومعة هي المئذنة. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 475؛ احمد بن يحيى الو نشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق واشراف: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981: 7/ 148- 149؛ شافعي، المرجع السابق، ص154- 175.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 84.

(6) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، 1983: 1/ 116.

وكان طول المقصورة من القبلة الى الجوف ستة وخمسون ذراعا وعرضها من الشرق الى الغرب أربعة وعشرون ذراعا وكان بابها مصنوع من ذهب مضروب، حيث كان الذهب يستخدم في تذهيب الأثاث والأبواب خاصة عند الطبقات الثرية وفي بعض المنشات المهمة وعضادتا بابها من الاتبوس[1].

وتجمع المصادر التاريخية[2] على ان موقع المسجد الجامع بقرطبة هو كنيسة، ويذكر لنا المقري[3] وحده اسم هذه الكنيسة ويسميها بشنت بنجنت، فعندما افتح المسلمون مدينة قرطبة سنة (92هـ/ 710م) كما اسلفنا ونتيجة للصلح المنعقد مع النصارى الأسبان بنوا المسجد الجامع في أول امره على جانب من شطري هذه الكنيسة وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى. وأخذوا بذلك بما فعله ابو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد (ﷺ) بعد استشارة الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) (13هـ/ 634م- 24هـ / 644م) في بلاد الشام بمشاطرة أهل الذامة في كنيستهم بدمشق[4]. وهذا العمل دليل واضح لإقرار التعايش فيما بينهم[5].

ولما استتب الامر للأمير عبد الرحمن الداخل (138هـ/ 755م-

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص297؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 343.

(2) العذاري، المصدر السابق، ص123؛ وصف جديد لقرطبة، ص172؛ ذكر بلاد الأندلس: 1/ 70؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 229.

(3) نفح الطيب: 2/ 82؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص16؛ سالم، قرطبة: 1/ 269.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 229؛ وصف جديد لقرطبة، ص172؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ سالم، قرطبة: 1/ 277-278؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص181.

(5) الجيوسي، المرجع السابق: 2/ 185.

172هـ/ 788م) واستقر في قرطبة نظر في أمر الجامع وذلك نتيجة لتزايد عدد السكان وضيق مساحته عليهم فامر بتوسيعه والعمل على اتقان بناءه[1]. فساوم النصارى على بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة واوسع البذل وفاءا بالعهد الذي صولحوا عليه، وأباح لهم بناء كنائسهم التي هدمت خارج قرطبة[2].

فشرع الأمير عبد الرحمن الداخل ببدء العمل في البناء بالمسجد الجامع بقرطبة، فيذكر العذاري[3] انه ابتداء العمل ببناء المسجد الجامع بقرطبة سنة (169هـ/ 785م)، ويؤيده بذلك ابن عذاري[4].

في حين يشير المقري[5] الى انه ابتداء العمل ببناء المسجد الجامع بقرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (168هـ/ 784م).

وربما يعود الاختلاف[6] في التاريخ الى ان سنة (169هـ/ 785م) تمثل المباشرة في البناء فعليا. الذي لم ينجزه الأمير عبد الرحمن الداخل في أيامه لأنه

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 229؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ زيعزيد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط5، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، مراجعة: مروان عيسى الخوري، بيروت، دار الأفاق، 1981، ص476- 477؛ سامي الكيالي، في الربوع الاندلسية، حلب، مكتبة الشرق، 1963، ص99- 100.

(2) وصف جديد لقرطبة، ص173؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 229؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ محمد لبيب البتنوني، رحلة الأندلس، بلا، م، مطبعة الكشكول، 1927، ص38.

(3) نصوص عن الأندلس، ص123.

(4) البيان المغرب: 2/ 229.

(5) نفح الطيب: 2/ 82.

(6) حول الاختلاف في تاريخ بناء المسجد الجامع بقرطبة ومدته. ينظر: مورينو، المرجع السابق، ص42؛ سالم، قرطبة: 1/ 272.

توفي سنة (172هـ/ 788م)[1]. فأكمله ابنه الأمير هشام بن عبد الرحمن (172هـ/ 788م- 180 هـ/ 796م)[2]. ويعلل عبد العزيز سالم[3] أسباب التأخير بقوله ان الأمير عبد الرحمن الداخل انشغل بإتمام أعمال البناء التكميلية في المسجد الجامع وبناء مساجد أخرى بنواحي قرطبة. وربما يعود السبب حسبما يعتقد الى قصر المدة الزمنية، إذ انه توفي بعد ما يقارب من ثلاث او أربع سنوات عن بداية البناء مما قد يعزز هذا الاعتقاد.

وبلغ ما أنفقه الأميرعبد الرحمن الداخل على بناء المسجد الجامع ما يقارب الثمانين الف دينار، وفي ذلك يقول الشاعر محمد البلوي:

وابرزَ في ذاتِ الإله ووجههُ ثمانين الفا من لُجين وعَسجدِ
فأنفقها في مَسجدٍ أسهُ التقى ومنهجهُ دِينُ النبي مُحمدِ[4]

وهكذا يظهر لنا ان البداية للبناء بالرغم من انها سبقت عهد الإمارة، إلا ان التصميم الأساس وهيكل المسجد الجامع لم يظهر إلا مع عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، ثم أخذ بالاستكمال والزيادة في العهود اللاحقة، إذ اصبح الأمر

---

(1) الضبي، المصدر السابق، ص17؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 288.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ ويقول في موضع أخر (( ومن محاسنه (هشام) أيضا إكمال بناء الجامع بقرطبة، وكان أبوه شرع فيه )). ينظر: المقري، نفح الطيب: 1/ 266؛ ويذكر انه ((هو الذي أكمل بناء الجامع بقرطبة الذي كان ابوه شرع فيه)). ينظر: ابن خلدون، العبر: 4/ 125؛ عنان، دولة الإسلام: 1/ 200؛ هونكة، المرجع السابق، ص486، خلاف، قرطبة، ص39.

(3) قرطبة، 1/ 288.

(4) ذكر بلاد الاندلس: 1/ 70؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230، المقري، نفح الطيب: 2/ 82؛ ولم أعثر على ترجمة للشاعر محمد البلوي في المصادر المتوفرة.

سنة متبعة لدى ولاة الأمر بالأندلس ابتداء في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الذي أكمل بناء المئذنة وسقائف النساء والميضاة[1]. وأنفق على هذه الزيادة من خمس فتح مدينة اربونة[2].

وزارد الأمير عبد الرحمن بن الحكم اروقته التي كانت تسع اروقة فزاد عليها اثنتين واصبحت بذلك أحد عشر رواقا وذلك بان أضاف الى طوله سبعة عقود أخرى. وأقام محرابا إضافيا ويبلغ طول هذه الزيادة خمسين ذراعا وعرضها مائة وخمسين وعدد سواريها ثمانون سارية[3].

كما عمل الأمير محمد بن عبد الرحمن على اتقان طراز الجامع وتنميق نقوشه وزخرفته وإنشاء به مقصورة فخمة كانت الأولى من نوعها بمساجد الأندلس وجعل لها ثلاثة أبواب[4]. وفي عهد ولده الأمير عبد الله بن محمد إنشاء

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230.

(2) ابن القوطية، المصدر السابق، ص65؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 83؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 289. ومدينة اربونة: بفتح أوله ويضم ثم السكون، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، بلد في طرف الثغر من أرض الأندلس، وخرجت عن أيدي المسلمين سنة (630 هـ/ 1232م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 140؛ الحميري، المصدر السابق، ص24.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص243، 245؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230؛ وينظر: عنان، الاثار الاندلسية، ص20؛ حمودة، المرجع السابق، ص212.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص212؛ عنان، الاثار الاندلسية، ص20.

الساباط[1] الموصل بين القصر الى الجامع من جهة الغرب وفتح فيه بابا كان يخرج منه الى الصلاة وهو أول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية بالأندلس[2].

ومن اهم وافخم الزيادات في المسجد الجامع بقرطبة ما تم في عصر الخلافة الأموية، فأول خليفة عمل على الزيادة في المسجد الجامع هو الخليفة الناصر لدين الله حيث عمل سنة (340هـ/ 951م) على هدم المنارة القديمة التي بناها الأمير هشام بن عبد الرحمن وأنشاء مكانها المنارة الجديدة، وامتازت هذه المنارة بفخامتها وارتفاعها الشاهق حيث بلغ طولها ثمانون ذراعا وهي مربعة الواجهة ولها أربعة عشر شباكا ذات عقود، وركب الخليفة الناصر في قمتها ثلاث تفاحات وقيل رمانات كبيرة اثنتان من الذهب ويتوسطها واحدة من الفضة، وإذا تعرضت لها اشعة الشمس يكاد شعاعها يخطف الانظار[3].

وأكمل الخليفة الناصر بناء هذه الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة في ثلاثة

(1) الساباط: هو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد كبير، وساباط المسجد الجامع بقرطبة يصل بين القصر المجاور للمسجد من غربيه الى المقصورة، وكان مخصصا لعبور أمراء الدولة الأموية من القصر الى المسجد الجامع، ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230؛ حمودة، المرجع السابق، ص212- 213؛ سالم، بعض المصطلحات، ص249؛ عنان، الآثار الاندلسية، ص20-21.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 230.

(3) البكري، جغرافية الأندلس، ص104؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 288- 229؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص38؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 83؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 445؛ العبادي، في التاريخ، ص418- 419؛ احمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة، دمشق، 1974، ص146.

عشر شهرا[1]. ولما كملت ركب الخليفة الناصر من مدينة الزهراء وصعد في الصومعة من احد ادراجها ونزل من الثاني، ثم خرج الخليفة الناصر وصلى ركعتين في المقصورة وكانت الصومعة الأولى ذات مطلع واحد، فجعل لها مطلعين فصل بينهما البناء، فلا يلتقي الراقون فيها إلا بأعلاها[2].

وقيل ان سبب بناء هذه المئذنة كان نتيجة لتصدع حدث في المنارة القديمة فأمر الخليفة الناصر بهدمها وبناء واحدة أخرى[3]. ويضيف عبد العزيز سالم[4] عدة أسباب أخرى والتي دعت الى بناء المئذنة الجديدة منها:

أنه اصبح صحن الجامع ضيقا بالنسبة لبيت الصلاة الذي أتسع اتساعاً كبيراً نحو القبلة بعد زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط، فبلغت سعته 62.10 متراً في حين أصبحت سعة الصحن بعد إقامة السقيفة الجوفية من قبل الخليفة الناصر ثلاثين متراً، كما يشير الى ان الخليفة الناصر كان باستطاعته ان يرمم المئذنة، ولكن المئذنة لم تعد تليق بعظمة المسجد الجامع في قرطبة، حيث أصبحت صغيرة مقارنة مع سعة المسجد الجامع بعد زيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط.

ثم عمل الخليفة الناصر عام (346 هـ/ 960م) على تجديد واجهة المسجد

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 228؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص389- 390؛ بدر، المرجع السابق، ص147.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 83؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، القاهرة، مكتب الثقافة الدينية، 1995: 1/ 506.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 228؛ العبادي، في التاريخ، ص418.

(4) قرطبة: 1/ 334.

الجامع واللاطات الأحد عشر وجدد القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة للأذان، وهو من أعجب البنيان[1]. وربط بين طرفي السقيفتين الجانبيتين للصحن بعد مدهما شمالا بسقيفة جوفية بحيث اصبح الصحن محاطاً كله بسقائف وفي ذلك يقول ابن خلدون[2] (ت 808هـ/ 1405م) ان الخليفة الناصر أمر: ((بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس))، وتقع هذه الظلة قبالة بيت الصلاة، وما زالت اللوحة التي تنوه بما قام به الخليفة الناصر من تجديد واجهة الجامع قائمة الى اليوم في مكانها في الجانب الأيمن من بابه الرئيس المسمى (باب النخيل) وقد كتب عليها ما يلي:

((بسم الله الرحمن الرحيم. أمر عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله عمره، ببنيان هذا الوجه، وأحكام اتقانه تعظيما لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الاجر، وجزيل الذخر، مع بقاء شرف الاثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ستة واربعين وثلث مائة على يد مولاه ووزيره صاحب مبانيه عبد الله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب))[3].

ثم زاد ابنه الخليفة الحكم المستنصر زيادته المشهورة في المسجد الجامع

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 228- 229، 231.

(2) العبر: 4/ 144، وتعني كلمة الظلة سقيفة جوفية على نحو الظلة الشمالية لمسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة. ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 366.

(3) عنان، دولة الإسلام: 2/ 445- 446.

بقرطبة، إذ أصدر مرسوما منذ اليوم الثاني لتوليه الخلافة يامر فيه بتوسيع المسجد الجامع، وقلد ذلك حاجبه وسيف دولته الأمير جعفر بن عبد الرحمن الصقلي. وذلك لأربع خلون من رمضان سنة (350هـ/ 961م). ويذكر ان المسجد الجامع ضاق على الناس بسبب تزايد عدد سكان قرطبة فازدحم بهم ولم يعد يتسع لجموع المصلين فبلغ الناس بذلك التعب فشرع الخليفة الحكم المستنصر بالعمل على زيادة المسجد وتوسيعه[1].

وعمل الخليفة الحكم المستنصر على حشد البنائين وتجهيز الصخور للبناء والاستعداد لها بكل الالات ومواد البناء والفعلة[2]. فزاد من الشمال الى الجنوب 95 ذراعا[3]، ويذكر انه زاد في طوله مائة ذراع وخمسة اذرع فكمل الطول ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعا[4].

وفي سنة(354هـ/ 965م) أتم الخليفة الحكم المستنصر بناء قبة المحراب[5]

---

(1) المراكش، المصدر السابق، ص457؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 233-234؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 483؛ العبادي، في التاريخ، ص422-423؛ حسين مؤنس، المساجد، الكويت، 1981، ص195-196؛ احلام حسن النقيب، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1988، ص181.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 234؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 339.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 234؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 345.

(4) العذري، المصدر السابق، ص123؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص297؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 73.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ ص337؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص392.

حيث عهد الى كل من محمد بن تمليح[1] واحمد بن نصر وخالد بن هشام ومطرف بن عبد الرحمن الكاتب بالنظر في هذه الزيادة واسمائهم في الزيادة ظاهرة على حائط المحراب في المسجد[2].

وفي السنة نفسها، أمر الخليفة الحكم المستنصر بتزيين جدران المحراب وزخرفتها بالفسيفساء التي بعثها إمبراطور الدولة البيزنطية رومانوس الثاني (333هـ/ 944م- 348هـ/ 959م) إلى الخليفة الحكم المستنصر. وكان الخليفة قد كتب له في إرسال صانع في تنزيل الفسيفساء وربما اقتدى بذلك بما فعله الخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ/ 705م- 96هـ/ 714م) في بنيان المسجد الجامع بدمشق[3].

وأنشاء أيضا المخزن المتصل بالمقصورة يسار المحراب، وهو مخصص لحفظ أموال الاحباس[4] وادوات المسجد مثل العدد والطسوت الذهبية والفضة

(1) محمد بن تمليح: هو عالم في الطب من أهل قرطبة وقد خدم الخليفة الناصر في صناعة الطب وكان قد ولاه الخليفة الناصر خطة الرد وقضاء شذونة وولاه الخليفة الحكم المستنصر بنيان زيادته في المسجد الجامع. وتوفي سنة (361هـ/ 971م). ينظر ابن جلجل، المصدر السابق، ص108؛ ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص491؛ ولم عثر على تراجم أسماء بقية المشار إليهم في أعلاه.

(2) ابن جلجل، المصدر السابق، ص180؛ ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص491؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص392؛ مؤنس، رحلة الأندلس، ص100–101.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 237–238؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص42؛ وينظر: عنان، الآثار الأندلسية، ص21.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 81؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 342.

والحسك[1] الخاص بوقيد الشمع ليلة الـ 27 من شهر رمضان ويحفظ فيه أيضا المصحف العثماني[2] الموضوع على كرسي خاص به يوضع عليه[3].

وفي سنة (355هـ/ 965م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ونصب في قبلة زيادته مقصورة من الخشب منقوشة طولها 75 ذراعا وعرضها 22 ذراعا وارتفاعها الى الشرفات 8 أذرع وارتفاع كل شرفة 3 اشبار (63سم) واحاط بها خمس بلاطات من زيادته وجعل لها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النقش[4].

ويشير ابن غالب[5] الى ان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب 56 ذراعا، ومن الشرق الى الغرب 24 ذراعا وكان الباب الرئيس للمقصورة من الذهب.

كما هدم الخليفة الحكم المستنصر في سنة (356هـ/ 966م) الميضأة القديمة

---

(1) الحسك: من أدوات الحرب، يتألف من قطع حديدية ذات شعب، تطرح حول المعسكرات أو أمام الخيل لعرقلتها أثناء العدو. وكان للحسك شان في الحروب ويعرف اليوم بالاسلاك الشائكة، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1/ 636؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة الميسرة، بيروت، دار القلم، 1959، ص717.

(2) المصحف العثماني: وهو مصحف الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وكان في جامع قرطبة وصار الى بني عبد المؤمن من الموحدين وهو مخطوط بخط يده (رضي الله عنه) وله شأن عظيم عند أهل الأندلس. ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 84.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص457؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 73.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 75؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 343.

(5) فرحة الأنفس، ص297.

في فناء المسجد الجامع وبنى بدلاً عنها أربع ميضأت على جانبي الصحن من جهته الشرقية والغربية وأجرى إليها المياه في قنوات حجرية متقنة البناء في جوفها أنابيب من الرصاص تحفظها من كل دنس وأحواض هذه الميضأت من الرخام[1].

كذلك تم تجديد المنبر القديم بأخر جديد في مدة ما بين سبعة الى ثمانية سنوات بحدود سنة (365هـ/ 975م) والذي وصف بانه كان مصنوعا من الصندل الأحمر والأصفر والانبوس والعود الرطب والعاج العود الهندي والمرجان وأوصاله من فضة مثبتة[2]. وكان عدد درجاته تسعاً[3].

وتميزت زيادة الخليفة الحكم المستنصر دون غيرها من الزيادات التي توسع بها الجامع اذ اشتملت على أربعة قباب توزعت على البلاط الأوسط من الزيادة الحكمية منها قبة على مدخل الزيادة وتعرف بالقبة المخرمة الكبرى، وقبة بأعلى الاسطوان الذي يتقدم المحراب مباشرة وهي القبة المعروفة بقبة المحراب ثم قبتان تكتنفانها بأعلى الاسطوانين المجاورين شرقا وغرباً[4]. وبذلك حقق مهندسو الحكم المستنصر تاثيرا جماليا من التناسق والانسجام في بلاط المحراب، مقلدين بذلك نظام المحراب والبهو كما في جامعي القيروان والزيتونة بتونس[5].

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 340؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 78- 79؛ وينظر: العبادي، في التاريخ، ص422- 423؛ النقيب، المرجع السابق، ص168.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص298؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 250؛ سالم، قرطبة: 1/ 343- 344.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص298؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 76؛ سالم، قرطبة: 1/ 344.

(4) سالم، قرطبة: 1/ 359- 360.

(5) المرجع نفسه: 1/ 360.

وبعد ان أنتهى الخليفة الحكم المستنصر من زيادته روي أن ((اجتنب الناس الصلاة فيها أياماً، فبلغ ذلك الحكم، فسأل عن علته، فقيل له إنهم يقولون: ما ندري هذه الدراهم التي أنفقها في هذا البنيان من اين اكتسبها فاستحضر الشهود والقاضي ابا الحكم المنذر بن سعيد البلوطي... واستقبل القبلة وحلف باليمين الشرعية التي جرت العادة بها أنه ما أنفق فيه درهما إلا من خمس المغنم، وحينئذ صلى الناس فيه لما علموا بيمينه))[1]. وبلغ حجم الأموال المنفقة في هذه الزيادة ما يقارب الـ 539 و561 الف دينار[2].

وفي عهد الخليفة هشام بن الحكم عمل حاجبه المنصور بن ابي عامر على الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة إذ ابتدأ العمل فيها منذ سنة (377هـ/ 987م)[3]. وذلك بعد تزايد عدد السكان وازدحام قرطبة نتيجة لتواجد قبائل البربر وبشكل كبير فيها.

ويصف ابن عذاري[4] حالة قرطبة وازدحام سكانها بقوله ((فلما زاد الناس بقرطبة وانجلب إليها قبائل البربر من العدوة وأفريقية، وتناهى حالها في الجلالة، ضاقت الارباض وغيرها، وضاق المسجد الجامع)).

وعلى الرغم من الزيادة الحكمية للمسجد الجامع إلا ان مساحة بيت

---

(1) المراكش، المرجع السابق، ص457.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص299. ويذكر ان حجم النفقة كان ما يقارب 561.537 الف دينار فربما حصل تصحيف في احد الرقمين. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287.

(3) المصدر نفسه: 2/ 287؛ وينظر ابن زيدون، المرجع السابق، ص331. ويذكر صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة: أن الحاجب المنصور ابتداء بالبناء في سنة (381هـ/ 991م)، ينظر: ص174.

(4) البيان المغرب: 2/ 287؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 347.

الصلاة ضاق عليهم ولم يستطيع ضم جموع المصلين الأمر الذي دعى الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر الى الشروع بالعمل في الزيادة من الجهة الشرقية لتعذر الزيادة من الجهة الغربية بسبب قيام القصر الخلافي المقابل للجامع[1]، وكانت هذه الجهة عامرة هي الأخرى بالدور والمستغلات فاستلزم الأمر هدم المنازل مما دعى الحاجب المنصور بن ابي عامر لتعويض الناس فدفع لأصحابها تعويضا باهضا[2]. وعمل بنفسه في هذه الزيادة[3]، واستخدم الأسرى من النصارى الأسبان في البناء[4].

وعهد امر الزيادة الى صاحب الشرطة عبد الله بن سعيد بن محمد بن بن تبرى (ت سنة 401 هـ/ 1010م)[5]، فزاد الحاجب المنصور ثمانية بلاطات

(1) البكري، جغرافية الأندلس، ص102؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 347.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ وينظر: هونكة، المرجع السابق، ص487.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 73.

(4) ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص64؛ وصف جديد لقرطبة، ص174؛ ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص44- 45؛ ويذكر انه استخدم نواقيس النصارى وابواب الكنائس وترابها في بناء زيادته للمسجد الجامع. ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 181؛ سالم، قرطبة: 1/ 348.

(5) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 250؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 575- 576، وعبد الله بن سعيد بن محمد بن تبرى هو صاحب الشرطة بقرطبة الذي ولاه الحاجب المنصور بن ابي عامر أمر الزيادة في المسجد الجامع، وكان من أهل الأدب والفهم والكرم. ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 250.

أخرى على الأحدى عشر بلاطا فأصبح عدد بلاطات المسجد تسعة عشر بلاطا[1].

كما عمل الحاجب المنصور على إقامة جب (بئر) كبير في صحن المسجد الجامع تعويضا عن الميضأة التي هدمت أثناء الزيادة في البلاطات[2].

وبلغ المسجد الجامع بقرطبة درجة عظيمة من الزيادة في حجم البناء حتى بلغ عدد العاملين فيه من الخطباء والائمة والمؤذنين والخدم ما يقارب الـ 300 رجل منذ عهد الخليفة الناصر الى نهاية عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر[3]، وكان لهم من الرواتب كل شخص 800 دينار في الشهر[4].

واعتبر أهل الأندلس هذا الجامع مركزا دينيا مهما الناس، حيث كانت تعقد فيه مشاهد ليلة القدر في كل عام، فكان بليلة القدر يكسى الجامع بمشاهد الابتهاج والاحتفال وتستوقد فيه الثريات الضخمة وتشعل السرج في كافة جوانب المسجد وكان ينفق فيه حجم هائل من الزيت للوقيد ويقوم على ذلك أشخاص لأبقاء هذه السرج منيرة طيلة الليل[5].

---

(1) البكري، جغرافية الأندلس، ص102؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ وصف جديد لقرطبة،ص175؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 73؛ وينظر: مورينو، المرجع السابق، ص188؛ سالم، قرطبة: 1/ 348.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 287؛ مورينو، المرجع السابق، ص193؛ سالم، قرطبة: 1/ 349.

(3) ذكر بلاد الأندلس، ص39؛ وصف جديد لقرطبة، ص177؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 76.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص299.

(5) الونشريسي، المصدر السابق: 2/ 79؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 76- 77؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 196؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 196-197.

وبقي المسجد الجامع بقرطبة على حاله بعد الزيادة الأخيرة للحاجب المنصور بن ابي عامر طوال العهد الإسلامي بالأندلس، ولما سقطت قرطبة سنة (634هـ/ 1236م) حول المسجد الى كنيسة سميت بكنيسة سانتا ماريا الكبرى[1].

ولا يزال المسجد الجامع بقرطبة معلماً حضارياً شاخصا يبرهن على ما ابدعه العرب المسلمون في فنون العمارة والبناء في ذلك الوقت، الأمر الذي يدل على استمرارية المسجد في هيكله المعماري على حقبة طويلة.

## ب. المسجد الجامع في الزهراء

يعتبر هذا المسجد الجامع من مستحدثات فن العمارة الدينية في قرطبة في القرن الرابع الهجري، وذلك عندما ابتنى الخليفة الناصر مدينة الزهراء سنة (325هـ/ 936م)[2]، وأمر ببناء المسجد الجامع فيها[3]، وكان أقل حجماً واتساعاً من المسجد الجامع بقرطبة[4].

وشرع الخليفة الناصر العمل في بناء المسجد الجامع بالزهراء في الثالث من

---

(1) سالم، قرطبة: 1/ 350؛ عبد البديع، المرجع السابق، ص184.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص212؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص58؛ ذكر بلاد الأندلس: 1/ 162؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 233؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص303.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108.

رجب سنة (329هـ/ 940م)[1]، وعمل فيه من حذاق الفعلة كل يوم الف عامل منهم ثلاثمائة بناء ومائة نجار وخمسمائة من الأجراء وسائر الصناع[2].

وكان بيت الصلاة فيه يتألف من خمسة بلاطات عجيبة الصنعة، البلاط الأوسط منه كان اكثر اتساعا من الآخرين حيث كان اتساعه من الشرق الى الغرب 13 ذراعا أما الأربعة الآخرين فكان أتساع كل واحد منهم 12 ذراعا. وطول المسجد كله من الشمال الى الجنوب ما عدا المحراب 97 ذراعا، وطول الصحن من الشرق الى الغرب 59 ذراعا، ومن الشمال الى الجنوب 43 ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب 41 ذراعا، أي ان طول البلاط الواحد يصل الى 54 ذراعا، وكان الصحن مكسو بالرخام الخمري وفي وسطه فوارة ينبثق منها الماء[3].

وللمسجد الجامع بالزهراء صومعة، ارتفاعها يبلغ 40 ذراعا وعرض قاعدتها 10اذرع[4]، ويحدد عبد العزيز سالم[5] موقعها أنه كانت تقوم في منتصف الواجهة الشمالية للمسجد.

كما أمر الخليفة الناصر باتخاذ منبر بديع الصنعة للمسجد، وبنيت حوله

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 85؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 246.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 84؛ ازهار الرياض: 2/ 265؛ وينظر:عنان، دولة الإسلام: 2/ 438؛ فكري، المرجع السابق، ص215.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 84- 85؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص215- 216؛ سالم، قرطبة: 1/ 246؛ زيدون، المرجع السابق، ص338.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 85.

(5) قرطبة: 1/ 246.

مقصورة من الخشب وكان موضعه في بيت الصلاة[1]، وانتهى العمل في المسجد في الثالث والعشرين من شعبان سنة (329هـ/ 940م)[2].

ولما كمل البناء في المسجد الجامع بالزهراء صلى فيه الخليفة الناصر يوم الجمعة وكان الأمام القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي عيسى[3] (ت 398هـ/ 1007م) أول من خطب فيه[4].

واعتاد الخليفة الناصر شهود صلاة الجمعة في المسجد الجامع في الزهراء وكان يؤمه آنذاك القاضي المنذر بن سعيد البلوطي أحد أبرز الخطباء في هذا المسجد، وكان له عدة حوادث مع الخليفة الناصر كما سبق ان أوضحنا ومنها على سبيل المثال مواجهته للخليفة بسبب تعطل الخليفة عن شهود صلاة الجمعة ثلاث أسابيع نتيجة لشغفه بالبناء وانشغاله به[5].

وقد استمر القاضي المنذر بن سعيد البلوطي في الأمامة بهذا المسجد الجامع أيام الخليفة الحكم المستنصر حتى نهاية ولايته للقضاء بقرطبة سنة (355هـ/ 965م)[6].

وفي سنة (362هـ/ 972م) أمر الخليفة الحكم المستنصر الأمام محمد بن

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص445- 446؛ المقري، أزهار الرياض: 2/ 266.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 85؛ ينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(3) عن ترجمته ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص118- 120.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 86.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص303؛ ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص245؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144.

(6) الخشني، قضاة قرطبة، ص120.

يوسف بن سليمان الجهيني الخطيب المعروف بالقبري (ت 372هـ/ 987م) الذي كان الخليفة الناصر قد اتخذه إماما للصلاة والخطبة في المسجد الجامع بالزهراء[1] القيام بصلاة الاستسقاء نتيجة للقحط الذي أصاب البلاد[2].

ولا تسعفنا المصادر التاريخية المتوفرة كثيرا في تبيان الأنشطة و الفعاليات في هذا المسجد الجامع على امتداد القرن الرابع الهجري، سوى ما تورده كتب التراجم الأندلسية مشيرة الى عدد من الشخصيات التي تولت وظائف الخطبة والإمامة بهذا المسجد الجامع أمثال الفقيه إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي من ساكني مدينة الزهراء ويذكر انه كان يفتي في الجامع وتوفي سنة (387هـ/ 997م)[3]. والعالم احمد بن موفق بن نمير بن أحمد الأموي يكنى ابا القاسم (ت 396هـ/ 1005م)[4]. وقد أحرق المسجد سنة (401 هـ/ 1010م) على يد البربر[5].

ونتيجة للاكتشافات الأثرية التي أجريت في موقع مدينة الزهراء سنة 1964م، فقد ثبت موقع المسجد الجامع بالزهراء يقع في شرقي المدينة الوسطى

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 2/ 86.
(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص101
(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 28.
(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 12.
(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 107.

من الزهراء[1]، ويتصل بها ساباط يوصـلها الى سـطح القبلـة في المـسجد الجـامع على غرار الساباط الموجود في المسجد الجامع بقرطبة[2].

### ج. المسجد الجامع في الزاهرة

بـرزت شخـصية الحاجـب المنـصور بـن ابـي عـامر أيـام حكـم الخليفـة هشام بن الحكم المستنصر سنة (366هـ/ 976م)، الذي قام بتقليد خلفاء بني أميـة في بناء المدن الملكية، فأبتني لنفسه مدينة في شرق قرطبة عرفت باسم الزاهرة[3].

وقد أنشا فيها مسجدا جامعاً[4]، بقي قائما الى ان اندثرت أثار المدينة نتيجة لأعمال التخريب التي تعرضـت لهـا المدينـة بعـد سـقوط الدولـة العامريـة سـنة (399هـ/ 1008م)[5].

وعندما قام المنصور بن ابي عامر ببناء مدينة الزاهـرة أراد اتخـاذ مـسجدها الجامع الى جانب المسجد الجامع بقرطبة، فأستشار كبار الفقهاء في مسالة التجميع

---

(1) مورينو، المرجع السابق، ص72؛ فكري، المرجع السابق، ص213.

(2) المرجع نفسه، ص213؛ نجلة إسماعيل العزي، قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، مديريـة الاثـار العامة، وزارة الإعلام، 1977، ص76–77، 92.

(3) ابن الفرضي، المصدر الـسابق: 1/ 7؛ الـضبي، المـصدر الـسابق، ص19؛ ابـن عـذاري، المـصدر السابق: 2/ 249، 275؛ النـويري، المـصدر الـسابق: 22/ 65؛ ابـن الخطيـب، أعمـال الإعـلام، ص43- 44؛ ينظر عنان، دولة الإسلام: 3/ 83- 85؛ وسيأتي الكلام عنهـا مفـصلا في الفـصل الرابع من الرسالة.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 485؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 260.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 38- 39؛ النويري، المـصدر الـسابق: 22/ 68؛ وينظـر: عنـان، دولة الإسلام: 3/ 143.

فلم يوافقه أكثرهم بحجة أنه لا يجمع في مصر واحد بين جامعين لاسيما وان المسافة بينهما على ابعد الطرق لا تتجاوز الفرسخ او نحو ستة كيلومترات[1].

ويمكن ان يكون بناء الحاجب المنصور بن ابي عامر لهذا المسجد بسبب تزايد عدد السكان بقرطبة وتوسعها في القرن الرابع الهجري، فأصبحت قرطبة على حد قول الأدريسي[2] ((خمس مدن يتلو بعضها بعضا)).

ولا تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن عمارة هذا المسجد الجامع، وتكتفي بذكره كاحد المساجد البارزة في ضواحي قرطبة. وبقي دوره فعالا طيلة مدة الدولة العامرية (366هـ/ 976 م- 399هـ/ 1008م) كذلك أشارت كتب التراجم الى عدد من الفقهاء والمقرئين الذين كانون يرتادونه ومنهم على سبيل المثال المقرئ محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد الأموي المعروف بابن العطارت (399 هـ/ 1008م) الذي سمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر[3] ويقول ابن بشكوال[4] إن الحاجب المظفر بن ابي عامر نقل الفقيه المقرئ ابو محمد مكي بن ابى طالب (ت 437هـ/ 1045م) من مسجد النخيلة في قرطبة الى مسجد الزاهرة.

وبهذا يمكن القول ان قرطبة وضواحيها كان فيها ثلاث مساجد جامعة

---

(1) النباهي، المصدر السابق، ص77؛ محمد عبد الوهاب خلاف، القضاء في قرطبة الإسلامية، مجلة المناهل، العدد 31، الرباط، وزارة الشؤون الثقافية، 1984، ص302.

(2) نزهة المشتاق، ص208.

(3) ابن بشكواك، المصدر السابق: 2/ 485.

(4) الصلة، 2/ 633.

رئيسة طوال القرن الرابع الهجري هي في قرطبة والزهراء والزاهرة، وهذا يعكس التوسع العمراني والازدحام السكاني الذي شهدته المدينة ودور الدولة في تلبية حاجة المجتمع و متطلباته.

## ثانيا: المساجد العامة

وهي تلك المساجد التي بناها العلماء والزهاد والاتقياء والصالحين وأصحاب البر والاحسان في المجتمع الأندلسي. وتعتبر كتب التراجم الأندلسية خير معين لذكر هذه المساجد وأصحابها، وكان الدافع وراء بناء المساجد وتعميرها هو أقتداءا بما ورد في الكتاب والسنة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[1]، وقيل في فضل بناء المساجد كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله (ﷺ) **«من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة»**[2].

كذلك كان أقبال أهل الأندلس على بناء المساجد لأهتمامهم بالعلوم الشرعية وأعمال البر والإحسان حيث كانت المساجد ملاذا لها[3]. ومع اتساع حجم السكان والحاجة الى المزيد من المساجد فقد ابتنى أهل الخير عدداً كبيراً

(1) سورة الجن، آية (18).

(2) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، اعتنى به: محمد بن الجميل، القاهرة، 2002: 1/ 110؛ مسلم، المصدر السابق: 1/ 378؛ ابو عبد الله احمد بن شعب بن علي النسائي، سنن النسائي، ضبط: احمد شمس الدين، نشر: محمد علي بيضون، لبنان، 2002، ص120؛ وينظر: محمد إبراهيم الجناتي، المساجد واحكامها في التشريع الإسلامي، النجف، مطبعة القضاء، 1386هـ/ 1948 م، ص 8- 10.

(3) الشقندي، المصدر السابق، ص52؛ ابن عبدون، المصدر السابق، ص27؛ الحميري، المصدر السابق، ص33.

منها[1]، حتى ان الارقام التي تذكرها بعض المصادر وان كان فيها بعض المبالغة أحياناً فهي تؤكد ظاهرة الاندفاع وحب الخير والعمل في هذا الاتجاه أيضا، فظهرت المساجد في كل رقعة من قرطبة وضواحيها، ففي كل ربض او قرية كان هناك مسجد أو أكثر، ولم تخلوا حتى المقابر من المساجد[2].

واهتم أهل الأندلس من الخاصة والعامة في هذا المجال، فقد أسهم الخلفاء والأمراء وكبار موظفي الدولة ومن مختلف فئات المجتمع الاندلسي من العلماء وغيرهم في بناء عدد كبير من المساجد داخل قرطبة وضواحيها[3].

وتواجهنا في دراسة المساجد العامة في قرطبة وضواحيها أمران:

الأول: يتعلق بأعداد المساجد المختلفة تقديراتها بين الكتاب والمؤرخين ونلاحظ أنقسام هؤلاء المؤرخين حول أعدادها الى قسمين القسم الأول يقدم ارقاما ليست كبيرة وتبدو أكثر قبولا كما في رواية ابن حوقل[4] إذ يشير الى وجود 490 مسجدا في قرطبة وضواحيها، ويؤيدهذا الرقم تقريبا كل من العذري[5] والبكري[1] بـ 491 مسجدا.

---

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص295؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 34.

(2) عياض بن موسى بن عياض السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب، مطبعة الفضالة، 1968: 4/ 114؛ ابن بشكوال ، المصدر السابق: 1/ 304؛ ابن الابار، التكملة: 1/ 345.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 249؛ ابن الابار، إعلام نساء الاندلس مستلة من كتاب التكملة، دراسة وتحقيق: منجد مصطفى بهجت، مجلة المورد، عددا، مج19، العراق، بغداد، 1990، ص105، 108، 109.

(4) صورة الأرض، ص108.

(5) نصوص عن الأندلس، ص124.

أما القسم الثاني من المؤرخين فارقامهم كبيرة وبعيدة عن الواقع منها رواية ابن حيان اذ يشير الى وجود 1600 مسجد[2]. في حين تذكر رواية ابن عذاري[3] 3000 مسجدا. وربما يعود هذا الاختلاف الى تدخل أرقام مساجد قرطبة وضواحيها مع مساجد باقي الاندلس. أما الأرقام التي ذكرها كل من ابن غالب[4] المحدد بـ 1836 ألف مسجد، وصاحب وصف جديد لقرطبة[5] 13877 ألف مسجد. فيعلق على الرقم الخير السيد حسين مؤنس[6] بقوله اذ ذلك وهم منه، وربما وقع في خلط مع اعداد الدور. وقد وردت هذه الرواية ايضا عند المقري[7] بحذف الرقم الأول فيصبح الرقم عنده هو 3877 مسجدا، وهو تقدير أقل بكثير من الأول ويبدو أكثر قبولاً.

أما الأمر الأخر الذي نلاحظه في دراسة المساجد العامة هو ندرة ذكر تواريخ بناءها ومواقعها أحيانا مما قد يخلط الأمر علينا بين المساجد التي تم أنشاها قبل مدة البحث، والتي إنشات حديثا. وقد تم تذليل عدد من الصعوبات في هذا

=

(1) جغرافية الاندلس، ص104؛ وينظر: الحميري، المصدر السابق، ص157.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 67.

(3) البيان المغرب: 2/ 232.

(4) فرحة الأنفس، ص296.

(5) وصف جديد لقرطبة، ص169.

(6) المصدر نفسه والصحفة؛ نقلاً عن هامش رقم (1).

(7) نفح الطيب: 2/ 68.

المجال من خلال ملاحظة بعض القرائن التي تدل على حداثة بناءها ومما قد يفهم من السياق.

اهتم خلفاء بني أمية في مدة البحث، وبشكل واضح في تشجيع الناس على البناء[1]، ولاسيما في بناء المساجد حيث كان الخليفة الناصر لدين الله كلفاً بذلك[2]، فيذكر أنه في سنة (324هـ/ 935م) وقع حريق في سوق قرطبة، فأحرق جميع مجالس الخط، واتصل الحريق بمسجد أبي هارون الواقع بالقرب من حوانيت الصوافين بالسوق مما ادى الى تداعية، فأمر الخليفة الناصر بعد انجلاء الحريق بإعادة بناء هذا المسجد الى ما كان عليه قبل الحريق، فأحسن بنيانه وأتقن صناعته[3].

وكانت أحدى جواري الخليفة الناصر (السيد مرجانة) التي لم يلحقها أحد من نساء الخليفة الناصر ((بصدقات افشتها وزلفات قدمتها ومساجد ابتنتها وأحباس في سبيل الله وقفتها))[4]. مما كان له الدور الكبير في بناء عدد من المساجد حيث كان أشهرها المسجد المنسوب اليها والذي يقع بالربض الغربي من قرطبة قرب دار القاضي المنذر بن سعيد البلوطي[5]. وكان أوسعها عمارة

(1) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383؛ ابن خاقان، مطمع الأنفس، ص245؛ ذكر بلاد الأندلس: 1/ 163- 164.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص13.

(5) المصدر نفسه، ص13- 14؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 383، 446؛ المقري، ازهار الرياض: 2/ 295.

وأحسنها بناءا، يتكفل بمصالحها وأحواضها وسدنتها ووفودها وقف جليل وقفته عليه وعلى غيره من مساجدها من حقولها العظيمة الوافية الغلة بطرف قرطبة الغربي وكان الإنفاق مستمر عليه على مدار السنين[1].

ومن المساجد العامة مسجد طاهر الذي سكن بالقرب منه طبيبا الخليفة الناصر، الطبيب أسحق، والطبيب أصبغ بن يحيى[2]. ومسجد أبان الذي كان أمامه الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية المولود سنة (313هـ/ 925م) وسكن بمقبرة مومرة[3]. ومسجد ابي علامة الذي كان بقرب باب الحديد بالربض الشرقي[4]، وأدب فيه المؤدب عبد الله بن نصر الصوفي الى ان توفي سنة (315هـ/ 927م)[5]، كما سكن الإمام عبد الله بن سليمان بن وليد بن طالب بن عبيدة الجذامي المولود سنة (321هـ/ 933م) بالقناطر وكان إماماً بمسجد القلاسين[6].

وفي داخل قرطبة وعند مسجد الزجاجين، كان يسكن المحدث يحيى بن عمر بن عبد عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري المولود سنة (322هـ/ 933م)[7]، كما بنى قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة فيها احمد بن بقي بن مخلد (ت

---

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص13-14.

(2) ابن حلجل، المصدر السابق، ص97، 108.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 496.

(4) المصدر نفسه: 2/ 334؛ خلاف، قرطبة الإسلامية، ص49.

(5) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 262.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 248.

(7) المصدر نفسه: 2/ 661.

324هـ/ 935م) مسجدا له فيها[1]. ومسجد غالب إمامه كان المقرئ عبد الله بن خلف بن عطية الازدي المولود سنة (327هـ/ 938م) وكان يقع بزقاق الشبلاري بالربض الشرقي من قرطبة[2]. ومسجد لوا المعروف بمسجد الزيتونة الذي يقع شمال قرطبة وكان يقعد الشروط فيه الامام عبد الملك بن أسد بن عبد الملك اللخمي المولود سنة (330هـ/ 941م)[3]. كما سكن الأمام احمد بن عبد الله بن أيوب بن سليمان بن احمد بن محمد الذهبي المولود سنة (333هـ/ 944م) عند مسجد فخر بقرطبة الواقع بالربض الغربي من قرطبة[4] وسكن المحدث نعمان بن عاصم بن فدون الأموي المولود سنة (333هـ/ 944م) في مسجد حلم بقرطبة[5].

ويشير المحدث احمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التاهرتي (ت 395هـ/ 1004م) أنه قدم قرطبة وبداء بالاسماع بمسجد سريج سنة (334هـ/ 945م)[6]. وبغدير ثعلبة في قرطبة يقع مسجد مكرم الذي أدب فيه المقرئ اصبغ بن ناصح الذي أتخذه الخليفة الناصر مؤدبا لأبنة المغيرة، كما كان يؤدب العامة في المسجد المذكور[7]. وارتاد هذا المسجد المحدث احمد بن زكريا بن عبد الكريم ابن علية المصري المولود سنة (340هـ/ 951م) للصلاة فيه عندما

(1) الخشني، اخبار الفقهاء، ص20.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 248؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص50.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 357.

(4) المصدر نفسه: 1/ 18.

(5) المصدر نفسه: 2/ 639.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 84.

(7) ابن الابار، التكملة: 1/ 205.

سكن قرطبة[1]. وبمسجد ياسر الواقع بالربض الغربي كان مسكن وصلاة المحدث محمد بن احمد بن اليسع بن محمود الانصاري سنة (345هـ/ 956م)[2]. كما يقع مسجد الأمير بمقبرة العباس بالربض الشرقي من قرطبة والذي كان يصلي فيه المحدث عبد الله بن سعيد بن خيرون بن محارب المعروف بابن المحتشم (ت 403هـ/ 1012م)[3]. والى الطريق الأخذ الى مدينة الزهراء بقرطبة بقرب منية الخياطين كان يؤدب الزاهد أبو اسحاق الربي بمسجد هناك ويتعبد فيه[4].

وهناك إشارة الى مسجد يعود الى (مزنة) أم الخليفة الحكم المستنصر يقع بالربض الجوفي من قرطبة، وكان إمامه الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري الزهراوي (ت 600هـ/ 1203م)[5]. وعلى الرغم من بعد سنة الوفاة للشخصية المذكورة إلا ان اسم المسجد يعود الى فترة حكم الخليفة الحكم المستنصر أو قبله ومن الممكن ان يكون هذا المسجد قائما الى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

ومن المساجد الأخرى مسجد الوزير عبد الله بن عيسى بن ادريس المكنى أبا عثمان (ت 352هـ/ 963م)[6]. كما بنى الزاهد احمد بن عفيف بن عبد الله بن مريوال بن جراح مسجدا بحوانيت الريحاني بالربض الغربي من قرطبة وعلم فيه

---

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 84.

(2) المصدر نفسه: 2/ 496؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص49.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 259.

(4) ابن الابار، التكملة: 1/ 193.

(5) ابن الابار، التكملة: 2/ 876.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 294.

القرآن وكان يعض الناس فيه، ويذكر أنه بداء بالاسماع سنة (359هـ/ 969م)[1] وتوفي سنة (420هـ/ 1029م)[2].

ومسجد المؤمن الذي يقع بمقبرة الرصافة والذي دفن فيه العالم المحدث يحيى بن مالك بن عائذ بن كيسان سنة (375هـ/ 985م)[3]. أما مسجد مهران فكان يصلي فيه المقرئ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت 930هـ/ 999م)[4]. وبمسجد النخلية بالرقاقين عند باب العطارين بالربض الغربي بقرطبة نزل المقرئ مكي بن ابي طالب (ت 437هـ/ 1045م) عندما قدم قرطبة من القيروان سنة (393هـ/ 1002م) واقرأ به[5]. ويقع مسجد ابن طوريل بالربض الغربي من قرطبة وجلس فيه للاسماع الإمام المحدث احمد بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي (ت 396هـ/ 1005م)[6].

ومن المساجد الأخرى مسجد القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت 402هـ/ 1011م) وكان يملي الحديث على الناس في مسجده المذكور الذي بناه وعاش فترة الدولة العامرية وتولى قضاء الجماعة سنة

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 185.

(2) المصدر نفسه: 1/ 38.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 2/ 192.

(4) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 499.

(5) المصدر نفسه: 2/ 633؛ ابو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، اعد فهارسه: رياض عبد الله عبد الهادي، بيروت، دار احياء التراث، 1997: 3/ 139.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 12.

(396هـ/ 1005م)[1]. ومسجد رحلة الشتاء والصيف فكان يقع في مقبرة مرمرة سكن عنده المحدث احمد بن محمد بن احمد بن سيد ابيه بن نوفل (ت 398هـ/ 1007م)[2].

كما بنى المقرئ احمد بن وليد بن هشام بن ابي المفوز مسجدا له كان يقرأ فيه الى ان توفي سنة (399هـ/ 1008م) وكانت سكناه بمقبرة ابي العباس بزقاق الشبلاري[3]، وكان مسجد الأمير هشام بن عبد الرحمن يصلي فيه الأديب المحدث عبد الله بن محمد بن نصر بن ابيض (ت 399هـ/ 1008م) الواقع بزقاق دحيم بمقبرة ابي العباس بالربض الشرقي من قرطبة[4] وبنى الأمام يوسف بن خلف بن سفيان الغاني المكتب (ت 400هـ/ 1009م) مسجدا يعلم القرآن فيه بنفسه[5].

ومن المساجد الأخرى مسجد متعة الواقع شمال مدينة قرطبة[6]. ويتعبد فيه المحدث الزاهد خلف بن علي بن ناصر بن منصور البلوي (ت 400هـ/ 1009م)[7]. ومسجد فائق بالربض الشرقي من قرطبة [8]، وارتاد

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 310.
(2) المصدر نفسه: 1/ 13.
(3) المصدر نفسه: 1/ 15.
(4) المصدر نفسه: 1/ 249.
(5) المصدر نفسه: 2/ 275.
(6) ابو بكر بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، 1973، ص290؛ خلاف، قرطبة الإسلامية، ص50.
(7) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 177.
(8) المصدر نفسه: 2/ 334.

ابن حزم الاندلسي (ت 456هـ/ 1063م) مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة لسماع الحديث سنة (401هـ/ 1010م)[1]. وتردد الزاهد ابو سلمة الزاهد ابو سلمة الزاهري (ت 403 هـ/ 1012م) مسجد عين طار الذي يقع داخل مدينة قرطبة للتعبد والصلاة[2]. وكان يؤذن في مسجده بقرطبة القاضي احمد بن محمد بن مبشر الى ان توفي سنة (403هـ/ 1012م)[3]. وبمسجد الليث بالزقاق الكبير كانت صلاة الامام راشد بن إبراهيم بن عبد الله بن راشد (ت 404 هـ/ 1013م)[4]. ومسجد سعيد بن عامر فكان إمامه المحدث سليمان بن بيطير بن سليمان (ت 404 هـ/ 1013م) وكان هذا المسجد بسويقة القومس بقرطبة[5]. كما بنى قاضي الجماعة بقرطبة يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي مسجدا يؤذن ويقيم الصلاة فيه الى ان توفي سنة (404 هـ/ 1013م)[6].

أما مسجد اليتم فكان يقع بالنشارين بالربض الشرقي وهو أحد احياء قرطبة وكان امام هذا المسجد الشيخ الراوي خلف بن يحيى بن غيث الفهري (ت 405 هـ/ 1014م)، كما كان له مسجد خاص به يختم فيه القرآن ثلاث ختمات فقط في رمضان من كل سنة[7].

---

(1) ابن حزم، طوق الحمامة في الالفة والالاف، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق، دار البيان، 2002، ص66.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 232.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 27.

(4) المصدر نفسه: 1/ 186.

(5) المصدر نفسه: 1/ 197.

(6) المصدر نفسه: 2/ 663.

(7) المصدر نفسه: 1/ 163.

وبربض الزجاجلة[1] كان يقع مسجد منظر الذي يتعبد فيه القاضي سليمان بن خلف بن عمرو بن عبد ربه (ت 408 هـ/ 1017م)[2]، اما مسجد ابن وضاح فكان يصلي فيه الفقيه عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن سهل بن حويبل (ت 409 هـ/ 1018م) وهو الذي قدمه بن فطيس الى مجلس الشورى سنة (395 هـ/ 1004م) وكان سكناه بحومة القوق بمنية جعفر[3]. كما كان الشيخ المقرى احمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي (ت 410هـ/ 1019م) ملتزما في مسجد الغازي بقرطبة لإقراء الناس عن شيوخ لقيهم بالمشرق[4].

والى جانب هذه المساجد المذكورة اتخذ البعض مساكنهم كمساجد في قرطبة للتعبد والتعليم، ومن أمثلة هؤلاء النساء أخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، وتدعى أم الحسن وكانت مقيمة في فحص البلوط وكان يقصدها الى مسجدها صالح النساء للذكر والتفقه في الدين ودراسة سير الغابرين[5].

اما حجم وشكل هذه المساجد فلا تسعفنا المصادر التاريخية بالإشارة الى ذكر شيء من هذا القبيل إلا ان مسجد السيدة الكبرى (مرجانة زوجة الخليفة

---

(1) الزجاجلة: تسمية أطلقت على سلالة محمد بن سعيد الكاتب الوزير وهم شلالة مشهورة بقرطبة كان لهم أدوار متميزة في قرطبة بكافة العصور، ففي عصر الخلافة أتخذ الخليفة الناصر منهم وزيرا وصاحبا لخطة العرض، وسمي ربض بقرطبة باسم هذه السلالة ويقع بين باب عامر وباب اليهود، فضلا عن تسمية مقبرة باسمهم ومتنزه مشهور لهم كان يعرف بـ (حير الزجالي). ينظر: ابن حيان، تحقيق: محمود علي مكي، ص176؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 137.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 198.

(3) المصدر نفسه: 1/ 316.وينظر: خارطة رقم (2)

(4) المصدر نفسه: 1/ 32.

(5) ابن الابار، أعلام النساء، ص114.

الناصر) بالربض الغربي كان أوسع مساجد قرطبة بناءا وأحسنها عمارة حيث كان يعمل فيه عدد كبير من السدنة والعاملين عليه مما يدل على سعة مساحته[1].

وزينت هذه المساجد شوارع وأرباض قرطبة آنذاك بجمالها وعمارتها ولم يتبقى منها اليوم سوى ثلاث مآذن هي اليوم أبراج كنائس في سان خوان وسانتا كلارا وسانت ياجو[2].

وفضلا عن المساجد المذكورة اعتاد الناس بقرطبة على إقامة بعض صلواتهم في ساحات فسيحة يجتمع فيها عدد كبير من الناس وعرفت هذه الأماكن بالمصلى او المصليات وكانت تقام فيها صلاة الاستسقاء أيام القحط والجفاف وصلاة العيدين[3]. واتخذوا لذلك عدة أماكن للصلاة منها مصلى المصارة الذي يقع بفحص المصارة بغربي قرطبة ويعرف بالمصلى العتيق واهتم الخليفة الناصر بهذا المصلى حيث أقام له محرابا جديدا سنة (306هـ/ 918م) وبناه بالصخر والشيد[4] وأتقن في بنيانه وإحكامه[5].

(1) ابن حيان ،تحقيق شالمتيا، ص13-14.

(2) سالم، تاريخ المسلمين، ص310.

(3) ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956 ، ص80-81؛ سالم، قرطبة: 1/ 207.

(4) الشيد: مادة تطلق بها الجدران ويذكر بأنها كل ما طلي به الحائط من حصى او البلاط وتشيد البناء هو أحكامه، والبناء المشيد هو المعمول بمادة الشيد. ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 392.

(5) Leve Provencal , Emilio Garcia Gomes , una cranica Anomima De Abd al–Rahman III AL–Nasir , Madrid , Granada , 1950 , P. 57

والى جانب هذا المصلى كان هناك مصلى أخر اقيم بربض شقندة وعرف بمصلى الربض وبه برز سنة (302هـ/ 914م) صاحب الصلاة بقرطبة الفقيه محمد بن عامر بن لبابة (ت 314هـ/ 926م)[1]، واستسقى بالناس خمس مرات في أيام مختلفة وذلك عندما توالى القحط وعم الجفاف في هذه السنة[2].

وفي اخر عهد الخليفة الناصر قحط الناس فأمر القاضي المنذر بن سعيد البلوطي بالبروز والاستسقاء واجتمع الناس حتى غصت بهم ساحة المصلى[3].

ومن منشآت العمارة الدينية المستحدثة في القرن الرابع الهجري دار الصدقة التي ابتناها الخليفة الحكم المستنصر بغربي المسجد الجامع بقرطبة وذلك لتفريق الصدقات على الفقراء والمحتاجين في قرطبة[4]. وهذا يدل على مدى التكافل الاجتماعي في الأندلس واهتمام الحكومة المتواصل بالرعية والمساعدة على تحسين أوضاعهم.

وهكذا نرى ان العمارة الدينية أخذت اهتماماً واسعاً من الدولة والرعية على حد سواء في قرطبة. ويظهر الكم الكبير من العمائر الدينية على مدى الاهتمام والرعاية من الطرفين فكان دالة على العصر واهتماماته.

---

(1) عن ترجمته ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص76؛ الضبي، المصدر السابق، ص101.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 166؛ سالم، قرطبة: 1/ 207.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص304–305؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 90–91؛ سالم، قرطبة: 1/ 208.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص19؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 79.

# الفصل الثالث

# العمارة العسكرية

# الفصل الثالث
# العمارة العسكرية

يعتبر تحصين المدينة في الإسلام من مكونات إقامة المدينة الإسلامية والعنصر المهم في استتباب الأمن، والركيزة الأساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر ويعكس ذلك بوضوح دعوة أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) لربه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[1] فسبق الدعاء بالأمان الدعوة بطلب الرزق مما يؤكد أهمية هذا العنصر في تكوين المدينة عند المسلمين[2].

وكان السبب في تكوين التحصينات العسكرية في المدينة لحمايتها إما من الأخطار الخارجية المتمثلة بالغزوات التي كانت تتعرض لها المدينة[3] أو الأخطار الداخلية المتمثلة بالفتن والاضطرابات الداخلية[4] او عمليات السلب والنهب الداخلي في المدينة نفسها حيث اشتهر الشطار في الأندلس بكثرة شرهم وأعبائهم في أمور التلصص فكان لابد من حماية السكان من هذه الأخطار[5].

واعتبر الإسلام بناء الحصون وإقامة الأسوار والأبراج والقلاع والحصون

(1) سورة البقرة، الآية (126).

(2) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، الكويت، بصدرها المجلس الوطني للفنون والآداب، 1988، ص147.

(3) المصدر نفسه، ص147.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 85.

(5) المقري (برواية ابن سعيد)، نفح الطيب: 1/ 180؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص305.

من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، وعملت الدولة على وقف الاحباس عليها لترميمها وتقويتها وإلزام العامة على المشاركة في ذلك ما دامت تحقق مصلحتهم خصوصا إذا احتاجت الدولة لذلك فضلا عن تكفل الدولة بنفسها بتحصين المدن وتقوية أسوارها[1].

ومن الملاحظ انه كلما ازداد الخطر على المدينة كثرت وسائل الدفاع عدة وعددا ولذلك كانت تحصينات الثغور تحصينات حربية كاملة كما في مدن الثغور القريبة من حدود الزوم والمدن الساحلية في الأندلس بينما المدن الداخلية كانت تصفف فيها التصحينات ولا تظهر أحيانا إلا في أوقات الفتن والحروب[2].

وكان تخطيط المدن الإسلامية له اثر كبير على تحصينها، فقرطبة كانت من المدن التي امتد تخطيطها خارج أسوارها بحيث شكلت ارباضاً تحيط بها فبنيت لها أسواراً خاصة بها وكانت تربطها بأسوار المدينة سبل اتصال كالطرق والأبواب وبذلك شكلت حولها طوقاً أمنياً واسعاً للدفاع عن المدينة[3].

وبحسب النصوص المتوفرة لدينا، لم يظهر لي أن مدينة قرطبة كان لها بناءاً

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص388- 389؛ وينظر: عثمان، المرجع السابق، ص135-136.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 99؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 11؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171.

(3) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص103؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 11؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171؛ عثمان، المرجع السابق، ص147.

خاصاً للربط، ربما لكونها مدينة داخلية لا تحتاج لذلك واقتصر ظهور الربط على مناطق الثغور والمدن القريبة من الحدود الشمالية للأندلس أي مناطق الجهاد[1].

وكان اهتمام خلفاء الأمويين في الأندلس بتحصين قرطبة بالدرجة الأساس باعتبارها مقراً وعاصمة لدولتهم[2]. ولما تولى الخليفة الناصر مهام الحكم كانت الأندلس كما وصفها المؤرخون نار تحتدم[3]، مما دفعه الى الاهتمام بتحصين الأندلس عامة وقرطبة خاصة فكان له عمال مختصين في بناء الحصون من مهندسين أمثال محمد بن وليد بن فشتيق وهو كبير المهندسين في قرطبة بعصر الخليفة الناصر وعدد كبير من النجارين والبنائين ولهم من الآلات الخاصة ببناء الحصون والمعاقل ليس فقط بقرطبة بل بكافة بلاد الاندلس[4].

أما الخليفة الحكم المستنصر فقد أهتم بالتحصين وذلك بإقامة العديد من

---

(1) ومنها مدينة سالم التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر عام (335هـ/ 946م) بالثغر الأوسط الشرقي المواجه لقشتالة شمال الأندلس وتتعرض هذه البلاد للكثير من الحروب التي شنها النصارى الأسباب عليها. فأحكم الخليفة الناصر بناءها، ونقل إليها البناءون وانتشرت فيها الربط. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 214؛ الحميري، المصدر السابق، ص483؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص320.

(2) ابن بسام، المصدر السابق: 1/ 33؛ المراكش، المصدر السابق، ص31؛ ابن شباط، المصدر السابق، ص141.

(3) ابن القواطية، المصدر السابق، ص131- 132؛ أخبار مجموعة، ص153؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 157- 158؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص388- 389.

الحصون في كافة الأندلس وفي قرطبة خاصة، فقد قام حصن سمي بحصن عقبة البقر وسيأتي ذكره لاحقا[1].

كما عمل الحاجب المنصور بن ابي عامر على تحصين قرطبة وذلك من خلال تحصين أسوارها وأبوابها ونشر الحراس والآلات حولها وذلك لدفع الأخطار عن العاصمة قرطبة[2].

ويشتمل هذا النوع من العمارة في قرطبة على الحصون وما يرافقها من حفر للخنادق والأسوار المحيطة بالمدن والأبواب والأبراج وايضا إنشاء القلاع او المدن الملكية، وما أدخل عليها من تحسينات تدعم النظم الدفاعية للمدينة.

وتحتفظ المدن الأندلسية ومنها قرطبة في وقتنا الحاضر على تراث ضخم من الأسوار والقلاع الإسلامية التي تنطق حقا بالدور الكبير الذي قامت به، كما تعبر عن الجهاد المرير الذي قام به المسلمين في الأندلس للحفاظ على وطنهم وأمنهم وسلامة بلادهم.

## أولا: الاقاليم والحصون

تعتبر قرطبة مدينة محصنة جغرافيا بحكم موقعها على سهل مرتفع، يتراوح ارتفاعه ما بين 100- 123 متر فوق مستوى سطح البحر في سفح جبل العروس. وهو أحد جبال سيرامورينا شمال قرطبة[3].

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص414؛ النقيب، المرجع السابق، ص176.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275، 278.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ الادريس، المصدر السابق، ص208؛ الحميري ، المصدر السابق، ص456؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 15؛ عنان، الآثار الاندلسية، ص18.

ولغرض إيضاح مواقع الأقاليم والحصون واعدادها لابد من التنكير بالحدود الجغرافية لقرطبة وضواحيها. فهي تقع من جهة الجنوب على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير[1]، ويحدها شرقا مدينة جيان ومن الغرب مدينة أشبيلية[2]، ومن الشمال جبال سرامورينا[3]. وكان مجرى نهر الوادي الكبير متعرجاً يجعل المسالك الى قرطبة أكثر مناعة مما يعين الدفاع عنه[4].

وكانت تتبع قرطبة العديد من الاقاليم التي شكلت درع حصين لحماية قرطبة عسكريا أثناء التعرض للخطر. فاعبرت قرطبة مدينة محصنة جغرافيا.

أما مصطلح الاقليم فليس هنالك اتفاق بين الكتاب على وصفه، وهو اصطلاح يطلق على كل قرية كبيرة جدا مع ما يحيطها من مناطق. وقد يبدو أكبر من ذلك بكثير فبحسب وصف العذري[5]، أن لمدينة سرقطة على سبيل المثال

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ وصف جديد لقرطبة ن ص166؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 15.

(2) المراكش، المصدر السابق، ص30؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص175- 177؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219.

(3) الادريسي، المصدر السابق، ص208؛ الحميري، المصدر السابق، ص456.

(4) الجيوسي، المرجع السابق: 2/ 184.

(5) نصوص عن الأندلس، ص23- 24، 96؛ الحميري، المصدر السابق، ص101؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص204؛ وبحسب رواية ياقوت الحموي عن الاقاليم في الاندلس يقول: ((فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح الا خواصهم.. فاذا قال الاندلسي انا من أقليم كذا فانما يعني بلدة او رستاقا بعينه)). ينظر، معجم البلدان: 1/ 39.
=

أقاليم تمتد أربعين ميلا. وهكذا يظهر أن الأقاليم تختلف في حدودها ومساحتها من مكان لأخر[1].

وبالنسبة لمدينة قرطبة فقد احتوت على العديد من الاقاليم، وكان عددها ما يقارب الـ 15 إقليما[2] ويحتوي كل واحد منها على العديد من القرى المحصنة المحيطة بها وهذه الاقاليم هي حسب رواية صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة[3]. اقليم المدور ويحوي على 90 قرية، واقليم القصب 87 قرية واقليم لوره 67 قرية، اقليم الصدف 28 قرية، أقليم بني مسرة 17 قرية، اقليم منياية 26 قرية، أقليم كرتش 60 قرية وأقليم القشتل 48 قرية واقليم الهزهاز 73 قرية واقليم الملاحة 84 قرية واقليم الشعر 90 قرية واقليم السهلة 102 قرية و اقليم اولية 86 قرية اما اقليم الوادي فله 11 قرية وأخيرا اقليم مريم 113 قرية.

في حين يشير المقدسي[4] الى ان لقرطبة 13 إقليما وهي: ارجونة، قسطلة، شوذر، مارتش، قنبانش، فج ابن لقيط، بلاط مروان، حصن بلكونة، الشنيدة، وادي عبد الله، فريش، المائدة، جيان. وكل واحدة من هذه الاقاليم تتبعها العديد من القرى، وكانت محصنة حيث اعتبرت فريش درع قرطبة الحصين، وهي تقوم

=

ويعلق حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص579 على قول ياقوت بقوله وهذا تعريف واضح يدل على ان الاندلسين يعنون بالاقليم القرية الكبيرة او البلدة وحوزها المتصل بها طبعا فالاقليم في الاندلس بلدة تتبعها أرض وفي المشرق أرض تتبعها بلاد.

(1) المرجع نفسه، ص204.

(2) العذري، المصدر السابق، ص122؛ وصف جديد لقرطبة، ص180؛ ذكر بلاد الاندلس: 1/ 33- 35، 43- 45.

(3) مؤلف مجهول، ص180-181.

(4) احسن التقاسيم، ص223-224.

الى الشمال الغربي من العاصمة قرطبة[1]. وقد ذكر ابن غالب[2] اسماء خمسة من اقاليم هي ((إقليم لواتة وإقليم المرج وإقليم السند وإقليم قسطانية وإقليم موالي موسى)).

وعلى الرغم من اختلاف الكتاب في ذكر أعدادها ومحتوياتها من القرى والحصون والأبراج، فان أهميتها في العمارة العسكرية تنبع من كون ان مساحتها الكبيرة وتحصيناتها المهمة شكلت بعضها كما يقول حسين مؤنس[3] ((درع قرطبة [فريش] فهي بأقاليمها الواسعة تقوم الى الشمال الغربي من العاصمة، وتمتد أقاليمها شمالها وشمال شرقها.. فهي اذن في عداد الثغور، ولهذا ظل حكمها حكم الثغور واعتبرت مدينة)).

وكما حصل تباين في تعريف الاقليم بين الكتاب، فكذلك الحال فيما يخص مصطلح الحصن، الذي يراه البعض انه المدينة المحصنة التي تقع على مكان مرتفع وكان لها حوزها الخاص بها. وربما وجدت حصون أخرى في مواقع منخفضة. وذكرت حصونا لا تشبه المثالين السابقين وهي مدن محصنة كان لها قرى عديدة ومصادر طبيعية غنية. وسميت هذه بالمدينة تارة وبالحصن تارة أخرى. وربما كانت لبعض الحصون ولايات وقرى. وأخيرا هناك حصون أخرى أساسها قواعد رومانية او قوطية وتحتوي على العديد من الاثار. وعندما يتوسع الحصن ويصبح أكبر حجما يطلق عليه اسم القلعة[4].

---

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص569.

(2) فرحة الأنفس، ص290.

(3) فجر الاندلس، ص569.

(4) طه، الفتح والاستقرار، ص205- 206.

وبحسب رواية اوردها لنا صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة[1] كان فيها 148 حصنا منتشرا في أقاليمها ومنها على سبيل المثال: إقليم القصب 7 حصون، واقليم لورمر 3 حصون، واقليم الصدف 8 حصون، واقليم بني مسرة 13 حصنا، واقليم منيانة 4 حصون، واقليم كرتش 10 حصون، وفي اقليم القشتل 3 حصون، واقليم الشعر20 حصناً، واقليم السهلة 26 حصنا أما اقليم أولية فله 6 حصون واقليم الوادي 17 حصنا، وأخيرا اقليم مريم فله 12 حصناً.

والى جانب هذه الحصون وردت في كتب التراجم والجغرافين أسماء أخرى من الحصون المنتشرةحول قرطبة دون تحديد تاريخ بناءها فربما بعضها يعود تاريخه الى مدة سابقة للبحث ولا يستبعد تعميرها وترميمها لاحقا، والقسم الاخر محدث في القرن الرابع الهجري.

- حصن مراد: الذي يقع غرب مدينة قرطبة، وسمى بمراد نسبة الى بني مراد الذين سكنوا في هذه المنطقة من قرطبة[2]، وهو حصن مشهور ومهم في قرطبة[3] وينسب إليه الشاعر والأديب عبد الملك بن سعيد الخازن[4].

- حصن المدور: يقع هذا الحصن على جبل يبلغ ارتفاعه 155 مترا في الطريق

(1) مؤلف مجهول، ص180-181.

(2) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 232؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219؛ وينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص227؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص478.

(3) الادريس، المصدر السابق، ص207؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 92؛ ابو الفداء ، المصدر السابق، ص175؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219.

(4) وينظر في ترجمة: الحميدي، المصدر السابق، ص285؛ الضبي، المصدر السابق، ص367.

ما بين قرطبة واشبيلية غربي قرطبة وبالتحديد في الجزء الجنوبي من فحص البلوط[1]. ويعتبر هذا الحصن من الحصون المنيعة حيث يحتوي على أسوار وأبراج ضخمة ومجهزة بكافة الآلات والتجهيزات العسكرية[2]. كما امتاز أهل هذا الحصن بالشجاعة والصلابة في محاربة الأعداء والغرباء[3].

- حصن غافق: وهو حصن أخر من حصون قرطبة يقع الى الشمال الغربي من قرطبة، على نحو مئة وأربع كيلومترات من قرطبة في المنطقة السهلية الحصنية لفحص البلوط[4]. وهو حصن منيع وأهله أهل حزم وجلد وعزم ولهم العديد من المواقف مع الاعداء الذين كانوا يغيرون على اراضيهم[5]. وينسب إليها الغافقيون الذين يعود نسبهم الى عبد الرحمن الغافقي والي الاندلي (112هـ/ 730م- 114هـ/ 732م)[6].

- حصن بطروش: حصن بالقرب من فحص البلوط، وهو حصن كثير

---

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص207؛ ياقوت الحموي، معجم البدان: 5/ 77؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219؛ وينظر: سالم، العمارة الحربية بالأندلس، مقال منشور بدائرة معارف الشعب، عدد 64، القاهرة، مطابع الشعب، 1959، ص159-160.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص207؛ ابن الخطيب، الإحاطة: 1/ 509؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219؛ وينظر: سالم، العمارة الحربية، ص160.

(3) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 227.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 183؛ الانصاري، المصدر السابق، ص242؛ طه، الفتح والاستقرار، ص220.

(5) الادريسي، المصدر السابق، ص213؛ الحميري، المصدر السابق، ص426-427.

(6) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص154.

العمارة حصين اهله أهل صمود ورهبة على الأعداء[1]، وبينه وبين حصن غافق 7 أميال (11.263كم)[2].

- حصن مسطاسة: حصن يقع في الجوف من قرطبة من أعمال فحص البلوط وسمي باسم قبيلة من قبائل البربر[3].
- حصن بريانة: من حصون قرطبة أيضا ذا سور من حجارة منيع حصين[4].
- حصن فرنجولش: يقع في حوز فرنجولش غرب قرطبة قرب حصن المدور[5].
- حصن القصير: ويقع في شرق قرطبة على نهر الوادي الكبير وله العديد من الكور التي تنسب إليه[6].
- حصن بلكونة: من الحصون المهمة أيضا بقرطبة ويحيط به سور من الحجارة ويمتاز بكثرة العيون وأشجار الزيتون[7].
- حصن بطروح: ويقع في الجوف من قرطبة وهو حصن من اعمال فحص البلوط[8].

---

(1) الادريسي ،المصدر السابق، ص213؛ الحميري، المصدر السابق، ص93.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص213.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 126.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص233.

(5) الادريسي، المصدر السابق، ص207؛ الحميري، المصدر السابق، ص440.

(6) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 226؛ القلشندي، المصدر السابق:5/ 219.

(7) المقدسي، المصدر السابق، ص234.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 447.

- حصن أبلية او المهدومة: هو أيضا من حصون قرطبة[1].

- حصن آبال: يقع شمال قرطبة وهو مشهور أيضا بمعدن الزئبق[2].

- حصن لك: وهو من أعمال قلعة أوريط[3] غرب قرطبة[4].

- حصن عقبة البقر: وهو الحصن الذي يقع على الطريق الموصل بين قرطبة وفحص البلوط وهو من ما تبقى من عصر الخليفة الحكم المستنصر[5].

- حصن غرماج: وهو الحصن الذي بناه قواد الخليفة الحكم المستنصر غالب بن يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون سنة (354هـ/ 965م)، ويقع في وادي دويرة غرب قرطبة. ويعتبر من الحصون الدفاعية المهمة في قرطبة[6].

---

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 294؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 303. ولم توضح المصادر موقعه بالنسبة لقرطبة.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص213.

(3) قلعة اوريط: تقع في قرطبة في فحص البلوط وفيها العديد من المعادن وينتشر فيها شجر البلوط الحلو المذاق. ينظر: ابن غالب، المصدر السابق، ص289؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 279.

(4) الانصاري، المصدر السابق، ص242.

(5) سالم، تاريخ المسلمين، ص414؛ النقيب، المرجع السابق، ص176؛ زيدون، المرجع السابق، ص340.

(6) المقري، نفح الطيب: 1/ 360؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص414.

ومن الحصون الأخرى حصن الحرب[1] وحصن البلوط[2] ولم يتم معرفة مواقعها بالضبط من قرطبة.

ومن خلال دراسة مواقع الحصون المارة الذكر نلاحظ إنها استقرت في جهة الغرب من قرطبة دون جهاتها الأخرى مما يشير الى ضعف في التحصين من ناحية الشرق والشمال والجنوب منها. وربما لأنها كانت محصنة جغرافيا من تلك الجهات.

ويمكن القول ان هذه الحصون وغيرها في قرطبة، شكلت خطاً دفاعياً وأمنياً للمدينة حماها من الاعداد. ويضيف بيرتون بيج[3] ان هذه الحصون ببساطتها ودقة تناسبها تختلف من حصن لأخر في معظم الأحيان.

## ثانيا: الخنادق

يعتبر الخندق بمثابة أول عائق أساس لمن يهاجم المدينة ومن المعروف أن هذه الفكرة استخدمت في عهد الرسول (ﷺ) في المدينة وذلك عندما أراد تحصينها قبيل معركة الخندق سنة (5 هـ/ 626م) مع مشركي مكة، فأشار عليه الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه) ببناء خندق حول المدينة[4].

---

(1) الانصاري، المصدر السابق، ص242.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981، ص43

(4) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط5، القاهرة، دار المعارف، 1960: 2/ 566؛ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج =

ويعد حفر الخندق حول مدينة قرطبة، تحقيقاً لتلك الغاية وكان هذا الخندق يحيط بجميع أرباض قرطبة، ويبلغ طوله حوالي 23 ميلا (37.007كم)[1]. وأشار ابن حيان الى انه لم يتخذ في الإسلام أعظم من هذا الخندق وكان يكس كله من جميع نواحيه أيام الحرب سلاحا وعدة ورجالا[2].

وثم حفر خندق حول قصر الخلافة بقرطبة من قبل الحاجب المنصور بن ابي عامر وذلك عندما أراد تحصين قصر الخلافة لما استتب له الأمر[3].

وفي عصر الفتنة وتحديدا عصر الخليفة محمد بن هشام الملقب بالمهدي (17 جمادي الآخر سنة 399هـ/ 6 فبراير 1009م- 8 ذي الحجة سنة 400هـ/ 23 يوليو 1010م) اتبنى خندقا حول محلة فحص السرادق بالطرف الشرقي من مدينة قرطبة وهي محلة البربر كما عمل (عام 400 هـ/ 1010م) على حفر خندق أخر يحيط بكافة قرطبة وأقيم وراءه سور للدفاع عن المدينة وتحصينها من الأخطار التي كانت تتعرض لها آنذاك من قبل البربر[4].

وبذلك تعتبر الخنادق من الخطوط الدفاعية المهمة في قرطبة وكان بناءها مهما للدفاع عن المدينة.

---

الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة النصرية،2:1988/ 215؛ وينظر: عثمان، المرجع السابق، ص141.

(1) ابن غالب، المرجع السابق، ص296.

(2) برواية ابن غالب، المصدر نفسه، ص296.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(4) المصدر نفسه: 3/ 99؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص103؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 11؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 646- 649.

## ثالثا: المدن الملكية

((وهي تلك المدن التي كان تخطيطها بتوجه أساساً لحماية الحاكم الذي يتخذها مقرا له ويظهر في هذه المدن الأثر الواضح بين تحصيناتها القوية التي اهتم ببنائها اهتماماً خاصاً لتأمين الحاكم والسلطة، وكان تخطيط شوارعها وتكويناتها الأساسية ممثلة في المسجد الجامع والقصر او دار الإمارة والدواوين وكذلك تكويناتها الثانوية المتمثلة في المنازل الخاصة بالأعوان من القادة والجند وكذلك الأسواق والحوانيت والمرافق الفرعية الأخرى التي تكفل حياة مستقرة في هذا النوع من المدن))[1].

وإذا لاحظنا تخطيط مدينة قرطبة لوجدنا ان تخطيطها في عصر الخلافة كان قائما على أساس وجود ثلاث مدن ملكية الأولى هي المدينة الوسطى او القصبة التي كانت مركزا مهماً لثكنات الجند، كما سميت بالمدينة العتيقة[2]. وكانت هذه المدينة محصنة تحصينا كاملا بالأسوار والأبراج والقلاع أي القصور التي تحمي الحاكم ودواوين الدولة وأموالها ومرافقها الحكومية من أي اعتداء خارجي. ويمكن الإطلاع على تفاصيل وسائل التحصين هذه في الفقرات القادمة.

وفضلا عن تحصين المدينة الوسطى فكان القصر الخلافي الواقع الى الجنوب الغربي داخل القصبة قرطبة محصنا تحصينا كاملا حيث كان القصر فسيحا ذا

(1) عثمان، المرجع السابق، ص155.

(2) ابن الخطيب ، أعمال الإعلام، ص103؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 163.

سور حصين وابراج عالية[1]. ويبلغ محيطه 1100 ذراع[2]. وكان سور يحتوي على أبواب محصنة وعددها ستة[3].

كما كان القصر الخلافي يطل على فحص السرادق الواقع الى الجنوب من نهر قرطبة بالطرق الشرقي من المدينة المخصص للفعاليات العسكرية التي يقوم بها الجند ويراقبهم الخليفة عن كثب سواء اكانوا ماضين للحرب او عائدين منها[4].

كما عمل الحاجب المنصور بن ابي عامر على تحصين القصر الخلافي وذلك من خلال رفع الأسوار وحفر خندق حول القصر وذلك لتأمين وحماية الخليفة ومنع وصول الصقالبة المتآمرين ضد الحاجب[5].

ويتبين لنا من خلال ذلك ان القصر الخلافي كان محصنا تحصينا عسكريا يحمي الخليفة ويعكس لنا الحس الأمني للبلاد آنذاك.

أما المدينة الثانية فكانت مدينة الزهراء التي بناها الخليفة الناصر سنة (325هـ/ 936م)، رغبة منه في إقامة مدينة ملكية خاصة به أو دارا للخلافة التي اقامها لتكون مقرا لمقابلة الوفود التي تقاطرت على قرطبة أيام الخليفة الناصر

---

(1) أخبار مجموعة، ص93؛ وينظر: سالم، قرطبة:1/ 188.

(2) العذري، المصدر السابق، ص122- 123؛ ذكر بلاد الاندلس، ص32؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5.

(3) العذري، المصدر السابق، ص122- 123؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10. وسوف نتكلم عن هذه الأبواب الستة في فقرة الأبواب لاحقا.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(5) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

حيث مثل عصر مجد وازدهار لقرطبة[1]. فعمل على تحصينها وتامينها ليليق بمكانته ومجده. وكان بناءها قائما على أساس مدرج، حيث كان مكونا من أجزاء، الجزء الأعلى منها يضم قصر الخليفة أما الجزء الأوسط فيضم الرياض والبساتين، والجزء الثالث فكان يحوي على دور العامة والأسواق وغيرها من المرافق، وكل جزء منها كان مسورا بسور حصين[2] فيه 300 برج[3]. وفتح فيه عدة أبواب[4].

وروعي في تخطيطها نظام المدينة الكاملة لتستوعب أجهزة الحكم ورجال الحاشية والجيش. حيث اشتملت المدينة على دور خاصة بالجند وحراس الخليفة وبلغ عددهم بمدينة الزهراء فقط حين وفاة الخليفة الناصر ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين رجلا[5]. وعمل الخليفة الناصر على إنشاء دارا لصناعة الآلات والسلاح للحرب[6] فيها وأصبحت بذلك مدينة قادرة على حماية الدولة والخليفة ومرافق الحكومة من أي مكروه.

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 213، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 143؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 298- 299.

(2) الادريسي، المصدر السابق، ص212.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص47.

(4) المقري، ازهار الرياض: 2/ 287؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 242.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 232؛ وينظر: عبد الواحد ذنون طه، دراسات في التاريخ الاندلسي، الموصل، مطابع جامعة الموصل، 1987، ص45؛ بيضون، المرجع السابق، ص314.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 438، شلبي، موسوعة التاريخ: 4/ 100؛ سالم، مقالة بعنوان الاندلس، دائرة معارف الشعب، مدريد، مطابع الشعب، عدد 61، 1959، ص28.

أما المدينة الثالثة فهي الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (368هـ/ 978م) بعد ان استطاع التحكم بشؤون الدولة والسيطرة على زمامها[1]. وجعلها مقرا له بعد ان خاف على نفسه من أنصار الخليفة هشام المؤيد من جند وحاشية[2]، وتوسع في خطتها وبنائها وعمل على تحصينها حمايتاً لنفسه، وذلك من خلال المبالغة برفع الأسوار[3] وتوثيق الأبواب[4] ومنها باب السباع والجنان[5] وباب الفتح[6].

كما نقل إليها الدواوين وأموال الدولة وشحنها بذلك بالأسلحة وحصنها تحصينا كاملا للحفاظ على أمنها. كما اقطع ما حولها من الأرضي لقواده وحاشيته وبذلك ضمن حمايته من الاعداء[7].

وهكذا يتضح لنا ان بناء هذه المرافق المدنية (المدن) لا تخلو من وسائل التحصين، مما يدل على الحس الأمني العالي للدولة ليس فقط على مستوى الأمن الداخلي وإنما حتى الخارجي وكأن الدولة صممت لنفسها أبنية محصنة لتواجه بها الاطماع والاختراقات بكل ألوانها ومصادرها.

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275؛ الحميري، المصدر السابق، ص283.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275.

(3) الحميري، المصدر السابق، ص284؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 95.

(4) الحميري، المصدر السابق، ص284.

(5) النويري، المصدر السابق: 22/ 129؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 259.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 62.

(7) المصدر نفسه: 2/ 275- 276؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 536؛ سالم، قرطبة: 1/ 259.

## رابعا: الأسوار والأبواب

تعتبر الأسوار من الوسائل الدفاعية المهمة وبناءها من المعايير الحضارية لبناء المدن. فقرطبة عند الفتح الإسلامي كانت تتكون من مركزين عمرانيين (قسم شرقي وقسم غربي) يفصل بينهما سور حاجر كما سبق أن الحنا وهذا السور يعود بناؤه الى العصر الروماني وعند الفتح الإسلامي لقرطبة سنة (92هـ/ 710م) كانت قرطبة مسورة إلا انه كان مثلما في بعض أجزائه ولعله السور الغربي بحيث استلزم الأمر قيام الوالي السمح بن مالك الخولاني بترميمه بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ/ 717م-101هـ/ 719م) بإعادة بناءه من اللبن أي الاجر[1].

ولما اصبحت قرطبة حاضرة للإمارة الأموية في الاندلس سنة (138هـ/ 756م) استلزم الأمر في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل بناء سور حصين نتيجة للظروف والاخطار التي كانت تحيط بقرطبة وخاصة من الداخل. حيث استطاع ابن الوالي السابق عبد الرحمن بن يوسف الفهري[2] سنة (139هـ/ 756م) ان يغير على قرطبة ويحاصر والي قرطبة ابا عثمان عبد الله بن

(1) اخبار مجموعة، ص24؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 163؛ فكري، المرجع السابق، ص169- 170.

(2) عبد الرحمن بن يوسف الفهري، يدعى ابو زيد وهو ابن الوالي يوسف الفهري (129هـ/ 746م-138هـ/ 756م) قتل على يد عبد الرحمن الداخل عام (142هـ- 759م) وهو في معتقله بعد قتل والده. ينظر: ابن الابار، الحلي السيراء: 2/ 341؛ اخبار مجموعة، ص92-93؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 51؛ عنان. دولة الإسلام: 1/ 159؛ مؤنس، معالم المغرب، ص747- 748.

عثمان[1] في صومعة الجامع التي في القصر اثناء غياب الأمير عبد الرحمن الداخل دون عائق[2]

ولذلك عمل الأمير عبد الرحمن الداخل على بناء سور حصين يحيط بقرطبة سنة (150هـ/ 767م)[3]. وقد بني من الحجارة [4] ويؤكد ابن حوقل[5] هذا الأمر بقوله إن قرطبة ((حصنية السور وسورها من حجر)).

في حين يشير كل من عبد العزيز سالم[6] واحمد فكري[7] الى ان اعمال الأمير عبد الامير عبد الرحمن الداخل، اقتصرت على إعادة بناء الجزء الذي تهدم منذ الفتح الإسلامي لقرطبة والذي تولى السمح بن مالك ترميمه باللبن، فبناه الأمير عبد الرحمن الداخل بالحجارة.

ويذكر الادريسي[8] إن قرطبة عبارة عن ((مدن خمسة تيلو بعضها بعضا، بين المدينة والمدينة سور حاجز)).

---

(1) ابا عثمان بن عبيد الله بن عثمان هو الذي ولاه عبد الرحمن الداخل على قرطبة عندما خرج الأمير عبد الرحمن الداخل لقتال يوسف الفهري والصميل بن حاتم عام (139هـ/ 759م). ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 48.

(2) أخبار مجموعة، ص93.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 123؛ ينظر: عنان، دولة الإسلام: 1/ 200.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 324؛ ابو الفداء، المصدر السابق، ص175؛ القلقشندي، المصدر السابق: 5/ 219؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 166.

(5) صورة الأرض، ص108.

(6) قرطبة: 1/ 166.

(7) قرطبة الإسلامية، ص170.

(8) نزهة المشتاق، ص212.

ومن الملاحظ ان ابن حوقل[1] ذكر حين زيارته لقرطبة سنة (337هـ/ 977م) في عصر الخليفة الناصر ان القصبة وحدها تختص بالسور دون ما يحيط بها من الارباض والمباني فهي كانت قائمة خارجها نتيجة لتزايد عدد السكان آنذاك.

وبذلك يمكن القول ان مدن قرطبة الخمس التي ذكرها الادريسي لم يكن مسورا منها سوى قصبة قرطبة وكان شكل هذا السور يقرب الى المتوازي الأضلاع ويمتد احد جانبيه على الضفة اليمني لنهر الوادي الكبير مسافة تصل حوالي الى 1600 ذراع[2] ويبلغ محيط السور بأكمله 33000 ذراع[3] بحيث استطاع ابن حوقل[4] ان يطوف حوله في قدر ساعة كما صرح بذلك، كما يؤكد من جانب أخر حصانة هذا السور المبني من الحجارة.

ويجمع المؤرخون العرب وجغرافيوهم على ان سور قرطبة كان يفتح فيه سبعة أبواب[5].

في حين يشير المقدسي[6] المتوفي (380هـ/ 990م) ان ((للمدينة خمسة أبواب هي باب الحديد، باب العطارين، باب القنطرة، باب اليهود وباب عامر)).

---

(1) صورة الأرض، ص108.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 6؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 167.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 167؛ فكري، المرجع السابق، ص173.

(4) صورة الأرض، ص108.

(5) المصدر نفسه، ص108؛ ابن غالب، المصدر السابق، ص296؛ وصف جديد لقرطبة، ص167؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

(6) أحسن التقاسيم، ص233.

ويشير عبد العزيز سالم[1] أنه من الممكن ان تكون أبواب مدينة قرطبة خمساً في عصر الإمارة وأصبحت سبعاً منذ عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر.

حيث أمر الخليفة الناصر سنة (303هـ/ 915م) بفتح باب في سور قرطبة الغربي عرف بباب عامر القرشي لتيسير الاتصال الى مقبرة قريش وكان مغلقا قبلها[2].

كما اهتم الخليفة الناصر اهتماماً كبيراً بتحصين أبواب مدينة قرطبة من خلال بناء أبواب داخلية توازيها سنة (301هـ/ 913م) لتسهيل الدفاع عنها ولمضاعفة الحراس على الأبواب الداخلية والخارجية[3]. وقد كانت أبواب قرطبة القديمة تتألف من فتحة واحدة في السور، وبهذا العمل جعل لها فتحتان او مدخلان وعمل على وضع مصاريع حديدية تغلق بها هذه الأبواب. والهدف الرئيسي من ذلك كان المبالغة في أحكام إغلاق هذه الأبواب[4].

وأبواب قرطبة السبعة المفتوحة في سورها بالقرن الرابع الهجري موزعة على أربعة جهات هي[5].

- الجهة الشمالية: يفتح فيها باب واحد وسمي بخمسة تسميات هي الباب

---

(1) قرطبة: 1/ 170.

(2) Provencal L. comes , O.P , P. 51 ; وينظر: سالم، قرطبة: 1 / 170.

(3) العذري، المصدر السابق، ص122؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171؛ Provencal. comes , O.P , P 48.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171؛ سالم، العمارة الحربية، ص152.

(5) سالم، قرطبة: 1/ 172- 175.

الجوفي[1] لوقعة في جوف قرطبة أي في السور الشمالي منها، وهو أيضا باب اليهود او باب الهدى وسمي كذلك لقربه من حي اليهود[2]، وعرف أيضا بباب ليون أو باب طلبيرة وسمي كذلك لأنه يفتح على الطريق المؤدي الى طلبيرة[3].

- الجهة الجنوبية: وفيها أيضا باب واحد له ثمانية تسميات هي باب القنطرة نسبة الى قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادي الكبير ويعتبر أكبر أبواب قرطبة[4].

وكذلك سمي بباب الجسر نسبة لقنطرة قرطبة الواردة في أعلاه[5]، كما سمي أيضا بالباب القبلي لوقوعه في جنوب قرطبة، وباب الشكال أو باب الصورة وسمي كذلك نسبة لتمثال قديم يمثل العذراء صاحبة قرطبة[6]، كما أطلق عليه اسم باب الوادي لوقوعه على نهر الوادي الكبير[7]، كما

---

(1) العذري، المصدر السابق، ص122؛ الحميري، المصدر السابق، ص458.

(2) العذري، المصدر السابق، ص122؛ وصف جديد لقرطبة، ص167؛ المقري، نفح الطيب. 1/ 137؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 174.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 174.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص209؛ الادريسي، المصدر السابق، ص208؛ أخبار مجموعة، ص10، 11، 21؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 13.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 74؛ سالم، قرطبة: 1/ 172.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 56؛ وسمي أيضا باب الصورة نسبة لنفس التمثال المذكور وقد أصابه واسقطه عمر بن حفصون في عهد الأمير عبد الله بن محمد، وهي صورة وضعها أقادم حكام قرطبة على باب القنطرة. ينظر: أخبار مجموعة، ص11-15؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 14.

(7) ابن غالب، المصدر السابق، ص295؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

سمي أيضا بباب الجزيرة لأنه ينفتح على الطريق المؤدي الى الجزيرة الخضراء[1]، وأيضا يدعى باب المحجة لمرور المحجة العظمى منه[2].

- الجهة الشرقية: ولهذه الجهة من سور قرطبة بابان.

1- الباب الأول: وله تسميتان هما باب الجديد[3] وسمي بهذا الاسم لأنه فتح في العصر الإسلامي وبالتحديد في عصر الحكم الربضي[4]. وسمي أيضا باب سرقطة لأنه ينفتح على الطريق المؤدي الى هذه المدينة[5].

2- الباب الثاني: وله ثلاث أسماء الأول باب عبد الجبار نسبة الى عبد الجبار بن خطاب بن نذير مولى معاوية بن هارون[6]، وقيل مولى مروان بن الحكم[7] وعبد الجبار هو من طالعة بلج بن بشر[8] وسمي بذلك

---

(1) أخبار مجموعة، ص21.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص209.

(3) ابن حيان، المصدر نفسه، ص209، 213؛ ويكتب أيضا باسم باب الحديد، ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: التهامي الراجي الهاشمي، الأبواب بالأندلس، الرباط، مطبعة فضالة، 1979، ص26- 27.

(4) بروفنسال، الإسلام في المغرب، ص60؛ سالم، قرطبة: 1/ 173.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 10، وسرقسطة. مدينة تقع شرق الأندلس تسمى أيضا المدينة البيضاء وهي من قواعد الأندلس الواسعة الديار وحسنة الأسواق والشوارع وهي مدينة محصنة وذات جسر عظيم: للمزيد ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص317.

(6) العذاري، المصدر السابق، ص122؛ سالم، قرطبة: 1/ 173.

(7) ابن الابار، التكملة: 2/ 561؛ وصف جديد لقرطبة، ص167.

(8) العذري، المصدر السابق، ص15، بلج بن بشر بن عياض القشيري المتوفي سنة (124هـ/ 742م) وهو قائد عربي شجاع دمشقي، كان على رأس الفرسان الشاميين في الجيش الذي سيره الخليفة =

باسمه ويذكر العذري[1] ان هذا الباب كان مغلقا في أيامه حيث طمس أيام الفتنة بالصخر.

وسمي أيضا بباب طليطلة بسبب مرور السكة العظمي المؤدية الى الطريق الأخذ الى طليطلة عبر هذا الباب[2]، وسمي أيضا باب رومية بسبب مرور السكة العظمي أيضا منه وتنتهي بروما وكانت تتشعب منه الطرق الثلاثة التي تخترق أسبانيا من قادس الى اربونة ثم الى روما[3].

- أما الجهة الغربية: فينفتح فيه ثلاثة أبواب هي:

1- باب عامر القرشي وسمي بهذا الاسم نسبة الى عامر بن عمر والذي نزل بمنية تقع غرب قرطبة قريبة من هذا الباب[4].

ويذكر عبد العزيز سالم[5] أنه استحدث في زمن الخليفة عبد الرحمن

=

هشام بن عبد الملك سنة (123هـ/ 741م) لقتال البربر بقيادة كلثوم بن عياض (عم بلج) الى أفريقية، للمزيد ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص233؛ خير الدين الزركلي، الإعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت: 2/ 73؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة (بلج): 4/ 77- 78.

(1) نصوص عن الأندلس، ص122.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 173.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 173.

(4) العذري، المصدر السابق، ص122؛ أخبار مجموعة، ص63؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وعامر القرشي هو عامر بن عمرو بن وهب بن مصعب بن ابي عزيز بن زرارة بن عمير بن هشام بن عبد مناف يدعى بالعبدري وكان يلي المغازي في جيش يوسف الفهري، سكن قرطبة وقتل عام (38هـ/ 658م) وسمي الباب بأسمه. ينظر: العذري، المصدر السابق، ص122؛ ابن الابار، الحلة: 2/ 344- 346؛ وصف جديد لقرطبة، ص167.

(5) قرطبة: 1/ 170، 174.

الناصر تسهيلا للاتصال بين مدينة قرطبة وبين المقبرة الواقعة خلف السور الغربي من تلك الجهة، وتدعى بمقبرة قريش[1].

2- باب الجوز[2] وله تسميتان سمي كذلك نسبة الى شجرة الجوز التي كانت مغروسة في خارجه[3]. وقد شاهدة العذري[4] مغلقا زمن الفتنة، ويعرف أيضا باسم باب بطليوس لانفتاحه على الطريق المؤدي الى بطليوس[5].

3- باب العطارين[6] عرف بهذا الاسم لوقوعه في سوق العطارين بقرطبة ويذكر ابن حزم[7] ان هذا المكان كان مجمع النساء.

كما سمي أيضا بباب اشبيلية وعرف بذلك لانفتاحه على الطريق المتجهة لمدينة اشبيلية[8].

ولم يقتصر إقامة الأسوار على القصبة الوسطى لقرطبة فقط بل عندما

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 72؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 141؛ ابن الابار، الحلة: 2/ 344.

(2) العذري، المصدر السابق، ص122؛ وصف جديد لقرطبة، ص167.

(3) سالم، قرطبة: 1/ 174-175.

(4) نصوص عن الأندلس، ص122.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر التهامي، المرجع السابق، ص25.

(6) وصف جديد لقرطبة، ص167؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

(7) طوق الحمامة، ص44.

(8) أخبار مجموعة، ص12؛ ذكر فتح الأندلس، ص9؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 175.

قام الخليفة الناصر ببناء مدينة الزهراء سنة (325هـ/ 1936م)[1] بنى حولها سور متين[2].

كما حصن الحاجب المنصور بن ابي عامر سور القصر الخلافي في قرطبة ونشر حوله الحراس وادار حوله الخندق[3] كما سبق وان ذكر. وبعد ان بنى الحاجب المنصور بن ابي عامر مدينة سميت بالزاهرة سنة (370هـ/ 980م) بالغ في رفع أسوارها وحصنها تحصينا مثاليا بالأسلحة والاجناد[4].

وفي عصر الفتنة بني الخليفة محمد المهدي سور يدور حول ارباض قرطبة حتى لا تتعرض للهجوم بشكل مفاجئ[5]، ويذكر أنه فتح في هذا السور ثلاثة أبواب منها باب الحديد جنوبي السور الشرقي للشرقية[6]، وباب الفرج الواقع بين السكة العظمي وطريق الرملة، وأخيرا باب عباس الذي تمر منه السكة العظمي بعد خروجها من باب عبد الجبار[7].

وبذلك كانت للأسوار وأبوابها دور كبير في فن العمارة العسكرية بقرطبة للحفاظ على أمن وسلامة ثكنات الحكومة ومرافقها من أي اعتداء قد يؤدي

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص108؛ الادريسي، المصدر السابق، ص212.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(4) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(5) المصدر نفسه: 3/ 99؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص103؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 11.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 2/ 65؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 81؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171.

(7) ابن الابار، التكملة: 2/ 561؛ وصف جديد لقرطبة، ص167؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 171.

بالتالي الى سقوط الدولة بأكملها وبذلك كانت الأسوار إحدى أسس العمارة العسكرية المهمة في المدن الإسلامية.

## خامسا: الأبراج

عرفت أسوار مدينة قرطبة وحصونها أبراجاً متعددة وهي جزء أساسي من نظام الدفاع لكشف الأخطار القادمة قبل وصولها، وامتازت الأبراج بقرطبة كونها أبراج مربعة او مستطيلة الشكل متقاربة الأبعاد ولا يبرز فيها بروز كبير واستخدام في بناءها الأحجار وأكثرها الحجار المأخوذة من المباني القديمة[1].

ويتالف البرج المربع من ((نصفين: نصف ادنى مصمت ونصف، علوي تشغله غرفة وينفتح شطه مع سور الممشى و تعلوا جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى تخصص عادة للحامية، وتزود جدران البرج في العادة بمنافذ للسهام تنفتح فيه وتغطي الغرفة في معظم الأحيان قبوات نصف كروية))[2].

---

(1) بيج، المرجع السابق، ص40-41؛ وتعريف البرج وجمعها أبراج هنا يختلف عن مصطلح البرج الذي ذكر عند مؤلف مجهول لكتاب ذكر بلاد الأندلس، والذي ربما قصد به القرى الاستيطانية العسكرية القوطية، والتي كانت تسمى باللاتينية (Burgus) (Burgo بالقشتالية)، وتعني هذه الكلمة قرية او مستوطنة تعتمد على مستوطنة أكبر منها. ينظر: طه، الفتح و الاستقرار، ص206.

(2) عبد العزيز سالم، العمارة العربية الإسلامية، مجلة عالم الفكر، العدد 1، بلا. م، 1977، مجلد 8، ص128.

ويذكر بيج ان المهندس المعماري القرطبي استلهم عمله في الأبراج من الأبراج المدعمة التي تفصل أسوار الجامع الكبير في قرطبة[1].

وتمتاز هذه الأبراج المنتشرة في أسوار قرطبة بوجود مسافة بين كل برج وأخر بحيث لا يحصل ازدواج بينهم وهي منتظمة في سور قرطبة وعددها حوالي 207 برجاً[2].

كما حوت أسوار القصر الخلافي في داخل قرطبة أبراجاً امتازت بعلوها وقيل ان الأمير عبد الرحمن الداخل استخدم احداها أثناء بناءه للمسجد الجامع سنة (170هـ/ 386م) كمئذنة للصلاة[3]، واحتوى سور مدينة الزهراء 300 برج امتازت بعلوها وارتفاعها الشاهق[4].

وكان لاقاليم قرطبة وحصونها المنتشرة حولها أبراجاً متعددة بلغت ما يقارب 343 برجا[5].

---

(1) البرج في العمارة الإسلامية، ص41.

(2) ابن غالب، المصدر السابق، ص296.

(3) أخبار مجموعة، ص93؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 188.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص47.

(5) وصف جديد لقرطبة، ص179-181؛ وهذه الأبراج هي:

- إقليم القصب 87 برجا، إقليم لومر 16 برجا
- إقليم الصدف 20 برجا، إقليم بني مرة 16 برجا.
- إقليم منيانة 13 برجا، إقليم كرتش 20 برجا.
- إقليم القشتل 7 ابراج، إقليم الهرهار 16 برجا.

=

ويشير ابن عذاري[1] الى احد أبراج قرطبة وذلك في حوادث سنة (334هـ/ 945م) حيث تعرضت قرطبة لسيل عظيم ((فبلغ الماء في البرج المعروف ببرج الأسد، فهدم في أخر القنطرة، وثلم الرصيف)). ويقع هذا البرج من خلال النص على الجهة الجنوبية من قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير[2].

واعتبرت بذلك قرطبة من المدن المحصنة من خلال دور كل خليفة في تحصين قرطبة من بناء الحصون وحفر الخندق وبناء الأسوار والأبراج وذلك لحمايتها من خطر الأعداء الطامعين خصوصا بعد ان أصبحت هذه المدينة من أعظم مدن الأندلس في عصر الخلافة وكانت مركزا لجميع الفعاليات التي تقام في الدولة الأموية في الاندلس.

=

- إقليم الملاحة 17 برجا، إقليم الشعر 40 برجا.
- إقليم السهلة 35 برجا، إقليم اولية 20 برجا.
- إقليم الوادي 30 برجا، إقليم مريم 16 برجا.
- ما عدا إقليم المدور لم يذكر له أية أبراج.

(1) البيان، المغرب: 2/ 213.

(2) المصدر نفسه: 2/ 213.

# الفصل الرابع

# العمارة المدنية

# الفصل الرابع
# العمارة المدنية

لقد أصبحت قرطبة في القرن الرابع الهجري على درجة عالية من الرقي والابهة والرفاهية مما ادى بدوره الى تزايد عدد السكان حتى بلغ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ما يقارب النصف مليون نسمة[1]. ونتيجة لظروف الاستقرار والامن النسبي السياسي والاجتماعي والاقتصادي فقد اهتم الخلفاء والحجاب والوزراء وحتى العامة من الميسورين وغيرهم بالبناء والتشييد، حيث بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (325هـ/ 936م) على سبيل المثال مدينة الزهراء[2]، ودعى العامة الى البناء فيها فتسارع الناس من كل صوب الى البناء في الزهراء[3]. كذلك بنى الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (368هـ/ 978م) مدينته الزاهرة[4].

كما اهتم الخلفاء ببناء وإعمار المرافق العامة التي توفر الخدمات والراحة لسكان قرطبة كالشوارع والطرقات والأرصفة ومشاريع المياه وبناء دور العلم والمكتبات ودور الصناعة وغيرها من المنشات الخدمية، وفيما يلي تفصيل لكل ما تم بناءه وتجديده من أعمار في كافة المجالات المدنية في قرطبة وضواحيها.

---

(1) مصطفى، المرجع السابق: 2/ 34.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ ذكر بلاد الاندلس، ص162.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275؛ الحميري، المصدر السابق، ص284.

## أولا: القصور

### أ. القصر الخلافي

يقع القصر الخلافي في القسم القبلي الغربي أي الجنوبي الغربي داخل قصبة قرطبة او المدينة الوسطى[1]، واصل هذا القصر بناء روماني قديم اتخذه المسلمين دارا للإمارة منذ الفتح الإسلامي سنة (92هـ 710م) ثم اتخذه الولاة منذ ولاية أيوب بن حبيب اللخمي[2] (رجب 97هـ/ مارس 716م- ذي الحجة 97هـ/ آب 716م) مقراً لهم الى ان قامت الإمارة الأموية (138هـ/ 755م- 316هـ / 928م) فوسع فيه الأمراء وشيدوا القاعات و المجالس والقصور واتقنوا في تزيينها حتى بلغت الغاية من الفخامة[3].

ولما كان الخليفة عبد الرحمن الناصر محبا للبنيان ومولعا به لم يترك قصر الإمارة دون ان يصنع فيه لمسة من عصره، فبداء بتجديده وتزيينه[4]، وقد انشأ داخل أسواره قصرا لسكناه أسماه دار الروضة[5]، نسبة لمقبرة أمراء بني أمية التي

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص208؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ ويشير احمد بدر الى ان القصر الخلافي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة المسورة. ينظر: تاريخ الاندلس، ص149.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 25؛ زامباور، معجم الإنساب والاسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن بك وآخرون، بيروت، دار صادر، 1980، ص85.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 9، 30، 95؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 187؛ سالم، العمارة المدنية بالأندلس، دائرة معارف الشعب، عدد 64، مدريد، 1959، ص125- 127؛ العبادي، دراسات، ص506.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 224؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 189.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 95؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 435- 436.

تقع داخل القصر[1] ويقع دار الروضة بجانب القصر الزاهر[2]، الذي استقبل فيه الخليفة عبد الرحمن الناصر سفير بيزنطة سنة (338هـ/ 949م)[3]. كما أسس الدار المعروفة بدار الرخام داخل القصر[4].

وعمل الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (306هـ/ 918م) على الاستعانة برجال الهندسة والبناء الذين كانوا يعملون في بناء الزهراء بانشاء نافورة أمام باب العدل احدا ابواب القصر[5]. وبموجب ذلك أخذت المياه العذبة تتدفق الى القصر لملئ البحيرات والصهاريج وأحواض الرخام ذات النقوش العجيبة[6].

أما بالنسبة لأعمال الخليفة الحكم المستنصر في القصر الخلافي فلا تسعفنا المصادر التاريخية في ابراز انجازاته العمرانية فيه، إلا انه عثرت على ستة تيجان أعمدة نقش على ثلاثة منها ما يبين أنها عملت بأمر الخليفة الحكم المستنصر لغرف القصر، وحملت أربعة من هذه التيجان تاريخ سنة (353هـ/ 964م)[7].

---

(1) ابن حيان، تحقيق ملشور انطوانيا، ص3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 189.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 215؛ سالم، قرطبة: 1/ 189.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص193؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 189.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 174. وباب العدل هو أحد أبواب القصر حيث كان الأمير عبد الله بن محمد قد افتتحه في الجهة القبلية من سور القصر وسمي بباب العدل لأن الأمير عبد الله بن محمد كان يجلس فيه للناس يوما في الأسبوع للنظر في المظالم. ينظر: ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 153؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ سالم، قرطبة: 1/ 189.

(6) المقري، نفح الطيب: 2/ 9؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص180-181؛ سالم، قرطبة: 1/ 191.

(7) سالم، قرطبة: 1/ 190.

ويذكر ان الخليفة الحكم المستنصر كان يجلس في أحد مجالس القصر الخلافي وهو البديع أيام مرضه للتسلية وأخذ التهنئة من الوزراء والحجاب والعمال وغيرهم ايام المناسبات[1].

ولما استتب الامر للحاجب المنصور بن ابي عامر حفر خندقا حول القصر، وبالغ في رفع الأسوار محاولا بذلك تأمين القصر ومنع وصول الصقالبة الفتيان المتآمرين ضده الى الخليفة هشام المؤيد[2].

وكان القصر الخلافي فسيحا ذا سور حصين فيه أبراج عالية[3]، ويبلغ محيطه 1100 ذراع[4]. وتنفتح فيه ستة أبواب[5]، كأنه مدينة حصينة وهذا يعكس الحس الأمني والاهتمام بمقر القائم بأمور الخلافة.

ومن هذه الأبواب المهمة، باب السدة، وسمي أيضا باب السطح وبان الجنان وباب الوادي[6]. وهو ينفتح على رصيف قرطبة ويعتبر أحد الأبواب

---

(1) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص230؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 191.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 278.

(3)أخبار مجموعة، ص93؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 188.

(4) العذري، المصدر السابق، ص122- 123؛ ذكر بلاد الأندلس، ص32؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5.

(5) العذري، المصدر السابق، ص122- 123؛ ذكر بلاد الاندلس، ص32؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق:1/ 317؛ ابن حيان، تحقيق الحجي، ص26، 45؛ ويقول عبد العزيز سالم، بان هذه الأسماء الاربعة اسماء مختلفة لباب واحد هو الباب القبلي المطل على الوادي.

=

الرئيسة وأمامه كان يصلب الخارجين عن القانون وكان الخليفة يشرف من السطح على تصفية المتمردين أمام هذا الباب[1].

ومن أبواب القصر الأخرى باب العدل الذي يفضي مباشرة الى الرصيف من الجهة القبلية[2]، وفي هذه الجهة أيضا يقع باب الحديد الذي أمر الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (366هـ/ 976م) بسده بالحجر وذلك لتسهيل مراقبة الداخل والخارج من القصر ويمنع دخول أعداءه اليه[3]. هذا فضلا عن باب أخر يقع بالجهة الشرقية من سور القصر يعرف بباب الجامع وكان يستخدمه الأمراء للدخول منه على الساباط الى المسجد الجامع[4]. وكذلك كان للقصر الخلافي باب من الجهة الشمالية لسور القصر بقرطبة ويعرف بباب الصناعة وسمي كذلك لمجاورته لدار الصناعة بقرطبة ويعرف بباب قورية[5]. وورد ذكر أسم باب

=

وقد فتحه الأمير عبد الرحمن الأوسط في سور يمتد من سور المدينة لإغلاق الرصيف وقد كانت دفته من الحديد وبها حلق من الصفر يقال أنه جلب من مدينة أربونة التي تم فتحها في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن. ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ سالم، قرطبة:1/ 191.

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص116؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 192؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 192

(2) العذري، المصدر السابق، ص123؛ ذكر بلاد الاندلس، ص32؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 192.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 391؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 193.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ سالم، قرطبة: 1/ 193.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ سالم، قرطبة: 1/ 193.

أخر يعرف بباب الملك[1] ويقع أيضا في الجهة الشمالية من سور القصر الخلافي[2].

ويذكر ان هذا السور كان يحيط بالمباني أما الرياض والبساتين فكانت خارجة لا تحد بسور[3].

وفضلا عن القصور المذكورة في أعلاه ذكرت أسماء لقصور داخلية أخرى تقع داخل القصر الخلافي لكن دون الإشارة الى عصر معين لمنشأها، منها الكامل والمنيف والحائر والجدد والمبارك والرشيق والتاج[4] وقصر البستان بجوار باب العطارين ودار الخليل[5].

وقد تعرض القصر الخلافي للنهب والسلب والتخريب من قبل البربر أثناء الفتنة وذلك سنة (403هـ/ 1012م)[6].

هكذا ويظهر لنا ان القصر الخلافي يمثل أحد معالم قرطبة الرئيسة ومعلما للخلافة الأموية وقد شهد القرن الرابع الهجري ابها فخامته وروعته العمرانية.

---

(1) العذري، المصدر السابق، ص123؛ ذكر بلاد الأندلس، ص32.

(2) سالم، قرطبة: 1/ 193.

(3) العذري، المصدر السابق، ص122؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 5؛ وينظر: فكري، المرجع السابق ن ص179.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 10.

(5) أخبار مجموعة، ص144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 153؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 191؛ طه، دراسات، ص58.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 107.

## ب. القصور الخاصة

اشتهرت قرطبة بقصورها الفخمة[1]، والتي دلت على حالة الرخاء والعيش الرغيد آنذاك، فقد اهتم أهل قرطبة بإنشاء القصور سواء اكانوا خلفاء او وزراء او حجاب وحتى عامة الشعب من الميسورين بينما بقية الرعية فكان دورهم أقرب الى البساطة منها الى الفخامة. وقد اهتم الخلفاء باتخاذ قصور لهم ولأفراد أسرهم من الذكور، فالخليفة الناصر على سبيل المثال، اتخذ لكل ولد من أولاده الذكور قصرا يسكنه وضياع وعقار بداخل قرطبة كما فعل الأمراء من أجداده قبله[2]. ومنها دار الملك التي اتخذها لأبنه الحكم المستنصر، ودار أبي مروان الأكبر عبد الله بن الناصر، ودار ابي الاصبغ عبد العزيز، ودار ابي الوليد عبد الجبار بقرب باب عامر ودار ابي محمد عبد الله ابن الناصر ودار ابي مروان عبد الملك ودار ابي ايوب سليمان بن الناصر ودار ابي المطرف المغيرة بن الناصر ودار أبي الحكم المنذر بن الناصر، وأخيرا دار القاسم بن الاصبع بن الناصر[3]. وكل هذه القصور ابتاعها او ورثها الخليفة فمن قبله من الأمراء فدار ابي ايوب سليمان بن الناصر مثلا كانت في الاصل لبني عبادل واتباعها الخليفة الناصر لأبنه سليمان[4].

كما عرفت القصور في قرطبة باسم المنية[5] وغالبا ما تكون على نهر

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 107.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص15.

(3) المصدر نفسه، ص18- 20.

(4) المصدر نفسه، ص19.

(5) مصطلح المنية: بضم الميم وسكون النون، ومعناها قريب من معنى الضيعة او الفيلا في النظم الرومانية (( وتعني القصر الريفي الذي تحيط به ضيعة أو ضياع واسعة يملكها صاحب القصر.
=

الوادي الكبير[1]. واتخذ الخلفاء وكبار رجال الدولة العديد من المنيات الواسعة وعند دراسة تاريخ عمارة المنيات، نجد انفسنا أمام ثلاثة أصناف من المنيات:

1- القسم الأول: يعود تاريخه الى عصر الإمارة، وجرت عليه تحسينات وإضافات في عصر الخلافة.

2- القسم الثاني: غير واضحة التاريخ واستخدمت من قبل حكام الأندلس في القرن الرابع الهجري.

3- القسم الثالث: مستحدثة في مدة البحث في إطار التوسع العمراني الذي شهدته قرطبة وضواحيها. ومن هذه المنيات ما يلي:

- منية الناعورة: التي تقع على شاطئ نهر قرطبة بجوار فحص المصارة وقد أنشاها الأمير عبد الله بن محمد الذي اشترى أرضها وما حولها من الحقول أيام والده الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (253هـ/ 867) [2]. وانتقلت ملكية المنية بعده الى الخليفة الناصر فأقام بها قصر الناعورة[3]. وبنى جسرا على القناة المؤدية للمنية فجرت المياه العذبة من جبل قرطبة الى المنية واستغرق العمل فيها 14 شهرا وذلك سنة (329هـ/ 940م)[4].

---

= ومصطلح المنية الذي كان شائعا في الأندلس. فتعريف المنية عندهم قريب من تعريف الفيلا، ولكن هناك فرقا واضحا بين الضياع والمنيات، فالضياع قرى تصير الى ملك مالك كبير وربما أقام بها، في حين ان المنية ضيعة تنشا حول قصر ريفي ينشئه المالك الكبير ولكن كليهما من حيث الهيئة والوضع يقابل الفيلات الرومانية)). ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص593- 594.

(1) الحميدي، المصدر السابق، ص324؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 13؛ العبادي، دراسات، 385

(2) ابن حيان، نشر ملشور انطونيا، ص38 ؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 204- 205.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 95، 100؛ وينظر: بول، المرجع السابق، ص129.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ ازهار الرياض: 2/ 266- 267؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 205.

واصبحت هذه المنية المقر الآثير لدى الخليفة الناصر فكان يقيم فيها للراحة بعد غزواته، فيذكر ابن عذاري[1] أنه سنة (317هـ/ 929م) ((كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة مطالعا لببشتر، ومعاينا لما قام من البنيان بها، وما تم من ترتيبه منها، وكان خروجه من منية الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ونزوله بجبل ببشتر يوم الخميس لعشر بقين منه، فدخل المدينة وجال فيها واحكم ماله من قصة أمرها، ثم صدر عنها في اليوم الثاني، ودخل بالناعورة يوم الثلاثاء لأربع بقين من شوال)).

واستخدمت هذه المنية أيضا لاستقبال الوفود ففي عهد الخليفة الحكم المستنصر نزل فيها ملك ليون اردون الرابع عند قدومه الى قرطبة سنة (351هـ/ 962م)[2]. كما استخدمها الخليفة الحكم المستنصر كمقر له أثناء انتقاله من الزهراء الى قرطبة عندما أصيب بالفالج[3].

ومنية البنتلي[4] (البنتل، البنتي): التي تقع شرقي مدينة قرطبة وكان يقصدها الخليفة الناصر للتنزه[5]، وفي سنة (328هـ/ 939م) ورد على الخليفة الناصر محمد بن مدين بن موسى بن ابي العافية المكناسي من

(1) البيان المغرب: 2/ 201.

(2) المصدر نفسه: 2/ 235؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 302–303، 403.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص212؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص42؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 259.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص57؛ وترد هذه المنية أيضا باسم البنتي: وهذه الألفاظ أعجمية تعني الجسر (Al Puente) وتصغيرها (Al Pontiello) ينظر: ابن حيان، تحقيق الحجي، ص72.

(5) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص459.

العدوة المغربية فأنزله الخليفة الناصر بقصر البنتيل[1]، وفي سنة (361هـ/ 971م) وفد على الخليفة الحكم المستنصر رسول صاحب القسطنطينية، فأنزله الخليفة في هذه المنية[2].

- منية الرمان او الغراء: وتقع هذه المنية في وادي الرمان بقرطبة وكانت للفتى الكبير دري الخازن الصقلي وقد بالغ في الأنفاق عليها حتى جعلها مبلغ الغاية وعندما أكملها اهداها للخليفة الحكم المستنصر سنة (362هـ/ 972م) بجميع ما كانت تحويه من أراض وممتلكات داخلها وخارجها[3].

- منية ابن ابي الحكم القرشية: وتقع على نهر الوادي الكبير بمنطقة الشامات او الشاعات[4] وقد نزلها عيال علي بن الاندلس صاحب المسيلة[5] وعيال أخيه جعفر عندما وفدوا الى قرطبة سنة (360هـ/ 970م)، وقد كانت هذه المنية حصينة منيعة، وقد بالغ الخليفة الحكم المستنصر في حراستهم وذلك برفع أسوار هذه المنية لحمايتهم[6].

---

(1) المصدر نفسه، ص459.

(2) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص72.

(3) المصدر نفسه، ص106- 107؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص183.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص43؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 209-210.

(5) المسيلة: مدينة بالمغرب من بلاد الزاب، تقع على نهر يسمى نهر سهل وأسس المدينة ابو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة (313هـ/ 925م) والمتولي لبنائها كان علي بن حمدون الجذامي المعروف بأبن الأندلسي، وكان أميرها وخلفه أبنه جعفر. وهي بلاد عامرة كثيرة النخل والخيرات والعيون والمزارع. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص558.

(6) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص43؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 209- 210.

- دار الفتى فائق الصقلبي: صاحب البرد والطراز في عهد الخليفة الحكم المستنصر وكانت داره تقع في الجانب الشرقي من قصر الزهراء، ونقله الخليفة الحكم المستنصر سنة (361هـ/ 971م) الى دار جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي المتوفي سنة (360هـ/ 970م) وتقع في الجانب الغربي من قصر الخليفة الحكم المستنصر وذلك تقديرا له من الخليفة لحسن مكانته لديه(1).

- منية ابن عبد العزيز: وتقع في الصحراء الممتدة ما بين قرطبة ومدينة الزهراء غربي قرطبة، والزائر إليها يصل بعد ان يعرج على السدة والمصارة والعقبة وربض مسجد الشفاء ثم ربض حمام الالبيري او اللبدي، وهذه المنية نزل فيها يحيى بن علي صاحب المسلية واخوه جعفر في (27 ذي القعدة من سنة 360هـ/ 970م)(2).

- المنية المصحفية: وهي التي أقامها الحاجب الوزير جعفر بن عثمان المصحفي ايام خلافة الحكم المستنصر(3)، وتقع في غربي قرطبة بالمكان المسمى (بألش)(4)، والت هذه المنية فيما بعد الى الحاجب المنصور بن

---

(1) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص66.

(2)ابن حيان، تحقيق الحجي، ص45- 46؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 208.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 14؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 212.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258. والش: بضم اللام بقعة تقع شرقي مدينة قرطبة بنيت عليها مدينة الزاهرة أيام الحاجب المنصور بن ابي عامر وانت تحوي بئر لبنو في أرجاء تلك البئر المدينة، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص283.

ابـي عـامر بعـد ان قـضى علـى الـوزير جعفـر المـصحفى سـنة (367هـ/ 977م) بعد ان سخط عليه الخليفـة هـشام بـن الحكـم وأمـر بزجه بسجن المطبق بالزهراء[1].

- دار الحاجب المنصور بن ابي عامر: وهي تقع بربض الرصافة وقد بـالغ في بناءها وأتساعها عندما كان حاجبا ايام الخليفة هشام بن الحكم[2].
- المنية العامرية: التي تنسب الى الحاجب المنصور بن ابي عامر أسسها سنة (369هــ/ 979م) الى جانـب مدينـة الزهـراء[3]، وأحاطهـا بالريـاض والبـساتين واجـرى إليهـا الميـاه وكانـت تزهـر حـدائقها بـالنرجس والياسمين وأنشد فيها :

حَيْيتـكِ يـا قمـرَ العُـلاَ والمجلِـس    أزكـي تحيَّتهـا عيـونُ النَـرجس
زهـــر ثُريـــك بُحـــسْنها وبلونِهـــا    زُهـرُ النّجـوم الجاريـات الكُـنس[4]

وورد ذكر أسماء أخرى من المنيات في قرطبة كمنيـة نـصر الفتـى[5] ومنيـة

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 255- 256؛ ابن الخطيب، أعمـال الإعـلام، ص61، المقـري، نفح الطيب: 2/ 14؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص329-330.
(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258.
(3) المصدر نفسه: 2/ 277؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 97- 98.
(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 16؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 214.
(5) تعود هذه المنية الى الفتى نصر مولى الأمير عبد الرحمن الأوسـط، وكـان اكـبر الفتيـان في بـلاط الأمير، وتقع منيته في عدوه الربض تشرف على النهر بجوار مقبرة الربض العتيق، واصبحت هذه المنية للحكم المستنصر ايام الخليفة الناصر. للمزيـد ينظـر: ابـن حيـان، تحقيـق الحجـي، ص46؛ الحميري، المصدر السابق، ص548؛ المقري، ازهار الريـاض: 2/ 258؛ سـالم، قرطبـة: 1/ 208- 209؛ العبادي، دراسات، ص385.

عجب[1]، ومنية الجنة التي قصدها الخليفة الناصر سنة (300هـ/ 912م) للتصيد فيها وتقع شرقي مدينة قرطبة[2].

وقد جلس الشاعر غالب بن أمية الموردي سنة (389هـ/ 998م) على نهر قرطبة فأنشد في قصور قرطبة قائلا:

يـا قَـصرْكمُ الفْـت مِـنْ مِلـكِ   دارتْ عَلـيهمُ دوائـرُ الفُلـكِ

يـا قَـصرْكمُ قـد حَويـت مـن بقَـم   دارَت لُقى في عُـور أرض الـسكِكِ

أنِـف بمـا شِـئتَ كُـلُ مُتَخـذٍ   يَعـودُ يومـاً لحـالِ مُـترِك[3]

وفضلا عن هذه القصور حوت قرطبة على العديد من الدور الخاصة والرسمية كدار الرهائن المجاور لباب القنطرة[4]، ودار القومة التي كانت خاصة بقومة المسجد الجامع وتقع شمال المسجد الجامع بقرطبة[5]، وأما دار الوزراء فكانت خاصة بالوزراء وتقع في جانب من القصر الخلافي بقرطبة[6].

---

(1) وهي المنية المنسوبة الى جارية الأمير الحكم الربضي (180هـ/ 796م- 206هـ/ 821م)، وتقع في الربض القبلي في مواجهة السد والرصيف، ونسب اى هذه المنية العديد من الشخصيات القرطبية نتيجة لسكناهم فيها أمثال يوسف بن عمروس المني وخلف بن سعيد المني (ت 305هـ/ 917م). ينظر: الخشني، اخبار الفقهاء، ص383؛ الضبي، المصدر السابق، ص269.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص41.

(3) الحميدي، المصدر السابق، ص324.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص176؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 221.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص104؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 221.

(6) ابن القوطية، المصدر السابق، ص62؛ ابن حيان، تحقيق الحجي، ص25؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 221- 222.

## ثانيا: دور العامة (المنازل)

ان قرطبة في عصر الخلافة بلغت الغاية من العمران والتمصير كما أسلفنا، وقد احصيت دور قرطبة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر فكان عددها 077 /213 ألف دار العامة و6300 در للأكابر والوزراء والكتاب والاجناد[1]، وكان أهل قرطبة يسيرون في الطرقات ليلا على ضوء السرج والمصابيح العامة[2]، كما كادت الدور في هذا العصر ان تتصل بين قرطبة والزهراء والزاهرة[3].

وتتألف المنازل من جزئين أساسيين هما الواجهة الخارجية وداخل المنزل، فالواجهة الخارجية كان ذا مظهر متواضع لا يحوي على زخارف على العكس من داخل المنزل الذي بلغ الغاية من الزخرفة والتنميقات الرائعة التي تعكس حب أهل الأندلس للرفاهية[4] ويعكس هذا التوجه الأندلس بالرغبة في الاهتمام براحة الإنسان داخل المنزل وإضفاء الأجواء اللطيفة والمريحة لساكن المنزل.

وغالبية المنازل في قرطبة في القرن الرابع الهجري كانت تتألف من طوابق عالية يصعد إليها بسلالم ضيقة عالية ذا درجات غاية في الارتفاع[5]. كما كان

---

(1) ذكر بلاد الأندلس، ص33؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 67، 68؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص296؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 33.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 4.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107؛ الشقندي، المصدر السابق، ص55.

(4) سالم، العمارة المدنية، ص121.

(5) ليوبولدو توريس بلباس، الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة: علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، عدد 1، مدريد، 1953، ص127.

حجم المنزل يتحدد وفقا لعوامل منها مساحة الأرض المبني عليها المنـزل، وعـدد أفراد الأسرة. فتميزت بذلك المنازل بالخصوصية وبناءها البسيط فكانـت تحـوي على الأبواب و الصحن الذي يعتبر أساس المنزل في قرطبة وهو عبارة عـن فنـاء مكشوف يتوسط البناء، ويعتبر جـزءاً أساسيا مـن المنـزل لأن فيـه تقـوم المـرأة بأعمالها المنزلية ويعتبر مرتع للأطفـال وتـزرع فيـه الأشـجار والأزهـار، وجميـع المنازل في قرطبة كان يتوسط صحنها بركة للمياه أي الأحواض المائية الجاريـة[1]. حيث عمل الخلفاء على إيـصال الميـاه الى دور العامـة في قرطبـة[2]. أمـا النوافـذ فكانت تطل على الصحن لغرض التهوية والإنارة[3]، كمـا حـوت المنـازل علـى العديـد مـن الغـرف كغـرف النـوم وغرفـة المعيـشة وغرفـة الاسـتقبال الخاصـة بالضيوف وغالبا مـا تكـون بعيـدة عـن غـرف المنـزل الاخـرى وذلـك لغـرض خصوصيتها، والحفاظ على حرمة المنزل[4].

وأوردت كتب التاريخ والتراجم ذكر أسماء ومواقع عدد من الدور المنازل واصحابها ومواقعها ومنها:

- دار القاضي منذر بن سعيد البلوطي: التي تقع بجوار مسجد السيدة الكبرى بالربض الغربي من قرطبة[5].

---

(1) الونشريسي، المصدر السابق: 2/ 77؛ وينظر: بلباس، المرجع السابق، ص127؛ مصطفى، المرجع السابق: 2/ 50.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 78-79، 85-86.

(3) عثمان، المرجع السابق، ص336، ص340.

(4) المرجع نفسه، ص343.

(5) الضبي، المصدر السابق، ص451؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 383؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 290-293؛ ازهار الرياض: 2/ 295.

- الدار المنسوبة الى أولاد زكريا أخي نجدة الصقلي الذي أراده الخليفة الناصر لأحدى جواريه فرفض القاضي منذر بن سعيد بيعه لأنه مال ايتام ويقع هذا الدار بقرب النشارين في الربض الشرقي من قرطبة[1].

- دار الأمام محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية ولد سنة (313هـ/ 925م) الواقع بمقبرة مرمرة[2]، ودار الأمام عبد الله بن سليمان بن وليد بن طالب بن عبيدة الجذامي ولد سنة (321هـ/ 933م) الواقع بالقناطر في الجهة الجنوبية من قرطبة[3]. ودار الأمام عبد الله بن خلف بن عطية الازدي ولد سنة (327هـ/ 938م) الواقعة بزقاق الشبلاري بالربض الشرقي من قرطبة[4].

وفي فحص البلوط بقرطبة كان يقع دار أم الحسن اخت القاضي المنذر بن سعيد البلوطي، وكان دارها مقسما الى دار للسكن ودار للعبادة حيث كان يقصده النساء الاتقياء للعبادة والتفقه في الدين[5].

ودار محمد بن طرفة القريب من مقبرة عامر القرشي الواقعة خارج باب عامر[6]، وايضا دار ريان الوصيف الواقع بجوار منار الجامع[7]، ودار حبيب بن

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 191- 192.
(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 496.
(3) المصدر نفسه: 1/ 248.
(4) المصدر نفسه: 1/ 248.
(5) ابن الابار، أعلام النساء، ص114.
(6) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص200. وينظر: خارطة رقم 5.
(7) المصدر نفسه، ص200.

احمد الشطيري شاعر أدرك عهد الخليفة الحكم المستنصر (ت 430هـ/ 1038) ويقع بالقرب من بيعة شنت اجلج بقرطبة[1]، ودار الفقيه احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن الجسور (ت 401هـ/ 1010م) ويقع ببلاط مغيث بقرطبة[2].

ويظهر ان بعض هذه الدور، كانت مهياة لاستقبال الوفود الزائرة لدار الخلافة في قرطبة، مما يؤشر إمكانات أصحابها المادية وكونها بيوتا غير عادية قياسا الى بقية دور الرعية فعلى سبيل المثال تمت استضافة نساء جعفر بن الاندلسي في دار يوسف بن سليمان المعروفة بدار البياني الواقع داخل قرطبة[3]، كما اقامت نساء يحيى بن الاندلسي في دار قاسم بن يعيش داخل المدينة قرطبة في عهد الخليفة الحكم المستنصر[4].

## ثالثا: إنشاء المدن

### أ. مدينة الزهراء

تقع مدينة الزهراء في الجهة الغربية من قرطبة[5]، وتبعد عنها مسافة خمسة

(1) ابن جلجل، المصدر السابق، ص96؛ الحميدي، المصدر السابق، ص186- 187.

(2) المصدر نفسه، ص107.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص44.

(4) المصدر نفسه، ص44، 53.

(5) الادريس: المصدر السابق، ص212؛ العذاري، المصدر السابق، ص123؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 161؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ الانصاري، المصدر السابق، ص242؛ الحميري، المصدر السابق، ص295؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص201. وينظر خارطة رقم 2.

أميال (8.045 كم)[1]، في موضع يعرف قديما باسم قوقريط[2]، على سفح جبل العروس المعروف بكثرة زرعه وجمال رياضة وبساتينه[3].

وقد اجمع المؤرخون على ان سنة ابتداء الخليفة الناصر ببناء هذه المدينة كان في الأول من محرم سنة (325هـ/ 936م)[4].

أما بصدد الأسباب الكافية وراء بناء الزهراء، فقد تضاربت الروايات التاريخية ويمكن استعراض أهمها:

حيث يقال ان سبب بناء الخليفة الناصر لهذه المدينة جاء عقب وفاة جارية له تركت مالا كبيرا فأمر بأن يفك بهذا المال أسرى المسلمين في بلاد الافرنج إلا انه لم يكن هناك اسرى. فطلبت منه جاريته الأخرى التي تدعى الزهراء ان يبني

---

(1) الادريس، المصدر السابق، ص212؛ وقيل تبعد عنها مسافة ((اربعة أميال وثلثي ميل)). ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان: 3/ 15؛ وينظر: زيدون، المرجع السابق، ص337.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص478؛ العذري، المصدر السابق، ص123.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115- 116؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ سالم، قرطبة: 1/ 233؛ العزي، المرجع السابق، ص32.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 209؛ ذكر بلاد الاندلس، ص162؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص38؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص46-47؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص58؛ الحميري، المصدر السابق، ص95؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 55؛ ازهار الرياض: 2/ 269؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص416؛ سالم، قرطبة: 1/ 233؛ الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية، دمشق، دار الفكر، 1973، ص337؛ زيدون، المرجع السابق، ص338.

لها قصرا خاصاً بها، فاستجاب لرغبتها، وحقق لها رجاءها، وبنى مدينة الزهراء واتقن بناءها[1].

ويستبعد عبد العزيز سالم[2] هذه الرواية وخضوع الناصر لنزوة احدى جواريه لتفسير سبب بناء الزهراء، إذ انه لا يعقل ان رجلا في قوة الناصر وعظمة آنذاك ان يضعف أمام نزوة جارية يمتلكها كما يقول.

وتكمن الأسباب الرئيسة التي دفعت الخليفة الناصر الى هذا البناء وبحسب عدد لا بأس به من المؤرخين القدامي، رغبته في البناء والتشييد حيث مثل عصره الذروة العليا من الازدهار السياسي والاقتصادي والثقافي فأسس مدينة الزهراء إشباعاً لرغبته في البناء وتحقيقاً لمجده وعظمته وإظهارا لفخامة ملكه[3].

كما وجد الخليفة الناصر ان قصر الخلفاء داخل قرطبة لم يعد يتسع للمظاهر الكبرى التي تناسب عظمة دولته آنذاك، إذ تقاطرت الوفود على قرطبة

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 55؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص214؛ سالم، قرطبة: 1/ 233؛ هونكة، المرجع السابق، ص498. ويذكر ان الخليفة الناصر تعب نتيجة لخسارته في معركة الخندق سنة (325هـ/ 936م) وتأثر كثيرا فأشير عليه بان يعكس همه الى احب الأشياء عنده فكان البنيان فبنى الزهراء. ينظر: ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص437.

(2) قرطبة: 1/ 234.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص302؛ ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 179- 180؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 89؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 436؛ مرزوق، المرجع السابق، ص45.

في أيام الخليفة الناصر وما بعده حتى أواخر القرن الرابع الهجري الذي مثل عصر سيادة قرطبة ومجدها الزاهر[1].

أما سبب تسميتها بالزهراء فقيل أنه ((تانبث الازهر، وهو الأبيض المشرق والمؤنثة زهراء والازهر النير))[2]. وربما تيمناً باسم جاريته الزهراء كما مر بنا في اعلاه. وقد يكون كما يقول ابن غالب وغيره[3]، أطلق عليها هذه التسمية لكثرة ازهار بساتينها المحيطة بها فكانت الزهراء صفة لهذه المدينة.

وعهد الخليفة الناصر بناء المدينة الى العريف المهندس مسلمة بن عبد الله للنظر في بنيان الزهراء[4]، وساعده في ذلك ثلاث أمناءهم عبد الله بن يوسف عريف البنائين وحسن بن محمد وعلي بن جعفر الاسكندراني[5]، وكان المتولي والمشرف على هذا البنيان ابنه الحكم المستنصر[6]. ويشير ابن خلدون[7] أن الخليفة الناصر حشد لبناء الزهراء امهر المهندسين والصناع والفنانين من سائر الانحاء، ولاسيما من بغداد والقسطنطينية. فاستخدم في بناءها كل يوم من حذاق

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 213، 215، 218؛ ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 143؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 298- 299؛ وينظر: حمودة، المرجع السابق، ص192؛ حتى، المرجع السابق: 3/ 623- 624.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 161.

(3) فرحة الانفس، ص300؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 56؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 235.

(4) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ وينظر: العبادي، في التاريخ العباسي، ص416.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 88.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 88؛ وينظر: العبادي، في التاريخ العباسي، ص416؛ سالم، قرطبة: 1/ 238.

(7) العبر: 4/ 144.

البناة ثلاثمائة والنجارين مئتان ومن العمال والفعلة خمسمائة ما عدا من كان يشترك في البناء من النصارى الأسبان[1]. وقيل كانت عدتهم عشرة الاف رجل يتفاوت اجر الواحد منهم ما بين درهم ونصف وثلاثة دراهم من الفضة[2].

كما استخدمت مواد أولية كثيرة في البناء كالصخر المستعمل للتبليط فضلا عن الجير والجبس[3]، أما الرخام فاستخدم في البناء بمدينة الزهراء بكافة الوانه مما كان يجلب من داخل البلاد او خارجها حيث كان يتولى جلبه عريف البنائين عبد الله بن يوسف وعلى بن جعفر الاسكندراني من قرطاجنة وأفريقية وتونس[4]. كما استخدمت سواري الرخام المجلوبة من القسطنطينية وأفريقية وروما[5]. واعتمد على الخشب في صناعة الأبواب فبلغت عدد الأبواب في الزهراء ما يقارب الـ 15 الف باب[6]. وربما عدد الأبواب هنا مبالغ فيه نوعا ما.

وبهذا اقام الخليفة الناصر مدينته التي بلغت غاية من العظمة والرخاء

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص300.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 57؛ وينظر: الرفاعي، الإسلام في حضارته، ص362- 363.

(3) ابن غالب، المصدر السابق، ص300؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 57؛ ازهار الرياض: 2/ 269.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 88.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص300-301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ ذكر بلاد الاندلس، ص162؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 161؛ ابن الخطيب: اعمال الاعلام، ص38؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 86؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437؛ سالم، قرطبة: 1/ 239.

(6) ابن غالب، المصدر السابق، ص301؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 56.

ويقدم لنا الادريسي[1] وصفا لشكل بناءها فيقول إنها كانت ((في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية مدينة فوق مدينة سطح الثلث الأعلى يوازي على الجزء الأوسط وسطح الثلث الاوسط يوازي على الثلث الاسفل وكل ثلث منها له سور)).

فالجزء الاعلى من المدينة كان يضم قصر الخلافة وهو أول بناء إقامه عرفاء الخليفة الناصر[2] ويضم مجلسين هما المجلس الشرقي الذي يعرف بقصر المؤنس يشرف على الرياض وهو بيت المنام الخلافي[3]، ولهذا المجلس محراب كان يجلس فيه الخليفة الحكم المستنصر ويشرف على الرياض[4]، وهو مزين بحوض من الرخام الأخضر نصب في وسطه وحفرت عليه نقوش تمثل صورا أدمية مذهبة، كان قد جلب من قبل كل من احمد اليوناني وربيع الاسقف[5] من القسطنطينية وادير حوله اثني عشر تمثالا من النحاس مرصعة بالدر النفيس من صناعة قرطبة

---

(1) نزهة المشتاق، ص212.

(2) المصدر نفسه، ص212؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 115- 116؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 58، 86؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 239.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 58؛ ازهار الرياض: 2/ 270؛ وينظر: بول، المرجع السابق، ص134- 136؛ سالم، قرطبة: 1/ 239- 240.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص28.

(5) وهو ربيع بن زيد من نصارى قرطبة ويدعى (رسوموندو) وعمل سفيرا لدى الخليفة الناصر، وكان يتحدث الى جانب العربية اللاتينية بشكل جيد، ومثل كنائب في عدة سفارات للدولة الأموية في الأندلس كالسفارة التي أرسلت لإمبراطور الجرمان وايضا السفارة التي أرسلت الى القسطنطينية. ينظر: Arie , Op. cit, P.7.

وتمثل هـذه التماثيـل صـور الحيوانـات كالاسـد والغـزال والتمـساح والثعبـان والعقاب والحمامة والشاهين والطـاووس والدجاجـة والـديك والفيـل والحـداة والنسر ويخرج الماء من أفواهها[1].

أما المجلس الغربي والذي يسمى بالبديع[2] فكانت جدرانـه مـصنوعة مـن القراميد المذهبة بالرخام الملون وكسيت أرضيته بالرخـام الملـون الـصافي، وكـان يتوسط هذا المجلس اليتيمة التي جلبها ليون صاحب القسطنطينية[3]، وهو حوض مذهب كبير ملاه الخليفة الناصر بالزئبق وقيل ان الناصر اذا أراد ان يفـزع أحـدا من أهل مجلسه او صقالبته يحرك الزئبق فيظهر في المجلس لمعان كلمعان البرق من النور فياخذ بمجامع القلوب[4].

ويتوسـط هـذين المجلـسين بهـو اوسـط كـبير المـساحة، وجدرانـه مذهبـه

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ ذكر بلاد الاندلس، ص163؛ المقري، نفح الطيـب: 2/ 88؛ ازهـار الريـاض: 2/ 270- 271؛ وينظـر: عنـان، دولـة الإسـلام: 2/ 237- 238؛ الرفـاعي، الإسـلام في حـضارته، ص263- 364؛ لوبـون، المرجـع السابق، ص290؛ وينظر: Arie , Op., cit , P. 7 -8

(2) ابن غالب ن المصدر السابق، ص301؛ ابن عـذاري، المـصدر الـسابق: 2/ 232؛ وينظـر: سـالم، قرطبة: 1/ 240.

(3) ابن غالب، المصدر الـسابق، ص301؛ ابـن عـذاري، المـصدر الـسابق: 2/ 232؛ المقـري، نفـح الطيب: 2/ 58.

(4) ابي عبد الله محمد بن بكر الزهري، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمـارة ومـا في كل جزء من الغرائب والعجائب، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، منشورات المعهد الفرنـسي، 1970، ص87- 88؛ النويري، المصدر السابق: 22/ 116؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 58؛ وينظـر: لوبون، المرجع السابق، ص287؛ عنان، دولة الإسلام: 2/ 437.

أعدت خصيصاً للاحتفالات الكبرى واستقبال السفارات ومبايعة الخلفاء[1]، ففي هذا البهو جلس شانجة بن زدمير عندما وفد على الخليفة الناصر سنة 347هـ/ 958م)[2]، وجلس فيه أردون الرابع عندما قدم الى قرطبة ليستنصر بالخليفة الحكم المستنصر[3].

كما اشتمل القصر الخلافي في الزهراء على العديد من الدور كدار الجند الذي كان مخصصا لحرس الخلافة[4]. وقيل انه كان فيه 125 داراً ومخازن واهراء للزيت[5] وأيضا شمل على السجن الكبير[6].

واحيط القصر بالفصلات[7] كفصيل الكتاب وفصيل ابي العراض[8] واحيط القصر بسور[9] فتح فيه عدة أبواب منها باب المدينة المطل على الصحراء وباب الاقباء[10] وباب السدة الأعظم وعرف بباب الصورة الاعظم[11].

---

(1) المقري، نفح الطيب: 1/ 301.

(2) المصدر نفسه: 1/ 286.

(3) المصدر نفسه: 1/ 302–303.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص156، 197.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص301.

(6) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص104.

(7) مفرده الفصيل: ويعنى حائط مرصوف بالحجارة قصير دون سور المدينة او الحصن، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 2/ 1102.

(8) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص50–51.

(9) الادريسي، المصدر السابق، ص212؛ ويشير ابن حوقل الى ان سور مدينة الزهراء لم يكن تام البناء. ينظر: صورة الأرض، ص108؛ ويذكر الذهبي، ان سور الزهراء كان محاطا بثلاثمائة برج. ينظر: تاريخ الإسلام، ص47.

(10) المقري، ازهار الرياض: 2/ 287؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 242.

(11) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص49.

والى الشرق من القصر الخلافي في مدنية الزهراء كانت هناك الدور والقصور للوزراء وإشراف الناس وكبار رجالات الخدمة[1].

أما الطبقة الثانية من مدينة الزهراء فأشتملت على الرياض والبساتين الواسعة واتخذت في احدى جوانبها مسارح للحيوانات فجعل فيها ((محلات للوحوش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظللة بالشباك))[2]. واقام في جانبها الاخر حوضاً للسباحة وقد أشار الفتح بن خاقان[3] (ت535هـ/ 1140م) الى هذا الحوض في معرض حديثة عن القاضي منذر بن سعيد البلوطي عندما حضر مع الخليفة الحكم الى بركة السباحة.

وفي جانب أخر من الرياض أقيمت بحيرات للأسماك وأنواع الحيتان التي كان يخبز لها في كل يوم 800 خبزة[4] وقيل 12 الف خبزة[5] وهو رقم مبالغ فيه، وكان ينقع لها من الحمص الأسود ستة اقفزة كل يوم[6].

---

(1) ابن غالب، المصدر السابق، ص301.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 95؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 238؛ لوبون، المرجع السابق، ص290؛ سالم، قرطبة: 1/ 443؛ جودة هلال ومحمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، دار القلم، 1962، ص63.

(3) مطمح الانفس، ص255- 266؛ وينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 193 ؛وعن برك السباحة ينظر: المقري، نفح الطيب: 2/ 86.

(4) وصف جديد لقرطبة، ص170؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 244؛ وقيل ثلاثون خبزة في اليوم، ينظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد 9- 10، مدريد، 1961-1962، ص81.

(5) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص38؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 244.

(6) وصف جديد لقرطبة، ص170؛ ذكر بلاد الاندلس ن ص166. والقفيز يعادل قيمته 42 مدا من امداد النبي أي انه كان يكيل 44.16 لترا. وينظر: فالترهانس، المكاييل والأوزان الإسلامية =

أما الطبقة الثالثة من المدينة الزهراء فكانت تحوي دور العامة والأسواق والحمامات والخانات والمتنزهات والمسجد الجامع[1]، وقد شجع الخليفة الناصر الناس على البناء في مدينة الزهراء وذلك بان أعطى مكافئة تبلغ 400 درهم لمن يبني فيها فتسارع الناس للبناء، وامتد العمران فيها حتى كادت الابنية تتصل فيها بينها[2].

ولم يمضي أربع سنوات على إنشاء جامع الزهراء حتى احتفل الخليفة الناصر سنة (333هـ/ 944م) باستقبال محمد بن ابي العيش بن عمر بن ادريس بقصر الزهراء ((وقعد له أفخم قعود، فأوصله الى نفسه وابلغ في تكريمه))[3]. وفي العام التالي انتقل الى المدينة ببيته وحرسه وخدمة ورجال حاشيته، وفي سنة (336هـ/ 976م) نقل دار السكة من قرطبة الى الزهراء[4]، كما نقل إليها بيت المال والدواوين والسجن والخزائن[5]، وأقام فيها دارا لصناعة الآلات والحلي[6]، ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة الزهراء مركزاً للدولة وبلغت الغاية من الفخامة فقدر حجم ما انفق عليها في عهد الخليفة الناصر في كل سنة 300 الف دينار[7].

---

= وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1970، ص68.

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص212.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 212؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 215؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 247.

(5) ابن حوقل، المصدر السابق، ص107.

(6) المقري، نفح الطيب: 2/ 95.

(7) المصدر نفسه: 2/ 88؛ ازهار الرياض: 2/ 269.

واستمر العمل في مدينة الزهراء بعد وفاة الخليفة الناصر (350هـ/ 961م) وكمل البناء في عهد الخليفة الحكم المستنصر[1]، ويغلب الظن ان أعمال البناء بدأت في مدينة الزهراء منذ سنة (360هـ/ 970م) استنادا الى تاج من الطراز المركب مؤرخ في سنة (361هـ/ 971م) وتيجان تحمل اسم الخليفة الحكم المستنصر وثبت عليها تاريخ (361هـ/ 971م) تم اكتشافهم في إطلال المدينة[2]. كما ينسب الى الخليفة الحكم المستنصر إقامة دار الملك التي جعلها مكانا لجلوس ابنه الأمير هشام مع معلمه الفقيه احمد بن يوسف (ت367هـ/ 977م) للتعلم[3].

وبلغت مساحة مدينة الزهراء عند تمام بناءها من الشرق الى الغرب 2700 ذراع وعرضها من القبلة الى الجنوب 1500 ذراع[4].

وقد وصلت العناية بمدينة الزهراء، بناءا وجمالا أثارت عند الشعراء الحفيظة فجعلتهم يصفونها بأجمل الأوصاف ومن ذلك على سبيل المثال حيث قال الشاعر محمد بن شخصين[5] يصف الزهراء:

هَذي تباني أمير المؤمنينَ غدتْ

يُزري بها آخر الدَنيا على الأولِ

كذا الدراري وجَدْنا الشمسَ

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 95.

(2) سالم، قرطبة: 1/ 249.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص76-77؛ وينظر: النقيب، المرجع السابق، ص173.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 56.

(5) وهو محمد بن مظرف بن شخيص توفي قبل الأربعمائة. ينظر في ترجمته: الحميدي، المصدر السابق، ص91؛ الضبي، المصدر السابق، ص119.

قــدراً وان قــصُرت في العلْــو عــن

لقد جـلا مـصَنعُ الزهـراءِ عـن اثـرٍ

مُوحدِ القدر عـن مثـلٍ وعـنْ مثـلِ

فأنـــتْ محاســـنها مجُهـــودَ واصِـــفها

فـــالقولُ كالـــسكتِ والايجـــازُ (1)

وجاءت وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة (366هـ/ 976م) الحد الفاصل للزيادة والتوسع في بنيان مدينة الزهراء، وبقيت مدينة الزهراء مركزا للخلافة في عهد الخليفة هشام بن الحكم وكان الحاجب المنصور بن ابي عامر قد اتخذ له منية عرفت بالمنية العامرية الى جانب مدينة الزهراء سنة (369هـ/ 979م)[2]. وبعد ان استلم السلطة واستبد بها نقل مركز السلطة من مدينة الزهراء الى مدنيته الجديدة الزاهرة واصبحت المقر الأثير للحكم وبذلك سلب كل نشاط مدينة الزهراء الإداري والاقتصادي[3].

ولما اشتعلت نار الفتنة البربرية في الاندلس سنة (399هـ/ 1008م)[4] تعرضت مدينة الزهراء الى موجات من التخريب على يد البربر حيث أحرق مسجدها والقصر والدور وجميع المستغلات سنة (403هـ/ 1017م) وبذلك

---

(1) الكتاني، المصدر السابق: 1/ 73.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 97- 98.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275؛ وينظر: Arie , Op. cit , P. 12

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 38- 39؛ الحميري، المصدر السابق، ص295؛ وينظر: هلال، المرجع السابق، ص69.

اندثرت مدينة الزهراء نتيجة للخراب الذي لحقها[1]. وظل ذكراها يمثل معلماً للخلافة الأموية بالأندلس، ودلالة على النهوض العمراني والتقدم الذي شهدته البلاد آنذاك.

## ب. مدينة الزاهرة

تقع مدينة الزاهرة شرقي مدينة قرطبة على ضفة نهر الوادي الكبير بقرطبة في الموقع المعروف بألش[2].

بناها الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (368هـ/ 978م) بعد ان تمكن من الاستئثار بالحجابة والاستبداد بشؤون الدولة والسيطرة على زمامها[3] متمثلا بذلك بأمراء الديلم بالنسبة للخلفاء العباسيين في بغداد[4]. ومن الممكن ان الحاجب المنصور أراد ان يعبر عن مدى عظمته وقدرته وتمكنه من زمام الدولة بالبنيان تقليدا للذين سبقوه من خلفاء الأندلس ويعبر ابن خاقان[5] عن مثل هذا

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 107؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 251؛ بيضون، المرجع السابق، ص314- 315.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 258؛ الحميري، المصدر السابق، ص283- 284؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 235؛ سالم، قرطبة: 1/ 258؛ بيضون، المرجع السابق، ص351.

وألش: مضمومة اللام، وهي موضع يقع شرقي مدينة قرطبة، وكان بها بئر يعود لأبن بدر بني حوله مدينة الزاهرة أيام الحاجب المنصور ابي عامر، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص283.

(3) ذكر بلاد الاندلس، ص180؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275؛ الحميري، المصدر السابق، ص283.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 272.

(5) نقلا عن الحميري، المصدر السابق، ص283؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 95.

التوجه بقوله ((عندما تكامل واستفحل امره، واتقد جمره، وظهر استبداده... فسما الى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحل بأهله وذويه، ويضم إليه رياسته، ويتم به تدبيره وسياسة، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه)).

ويشير ابن عذاري[1] الى سبب اخر للبناء وهو ان الحاجب المنصور بن ابي عامر خشي على نفسه من الأعداء الجدد كأنصار حكم الخليفة الشرعي هشام المؤيد من جند وحاشية وحرس وموالين فامتنع الحاجب المنصور بن ابي عامر من الدخول الى القصر وبذلك شرع ببناء قصر جديد له ن وقد ابتدا سنة (368هـ/ 978م) في حشد العمال وجلب إليها الآلات والصخور والأخشاب وبداء في تسوية أرضها وبقعتها وتوسع في خطتها واحاطها بأسوار مرتفعة[2]، وقد فتحت فيها أبواب عديدة منها باب السباع والجنان[3] وباب الفتح الذي يقع شرق مدينة الزاهرة[4]، واقيمت فيها المنيات والمتنزهات والبساتين والرياض ومن منياتها وقصورها التي اقامها الحاجب المنصور بن ابي عامر والتي أجريت فيها المياه والغدران كذات الواديين وارطانية ومنية السرور[5]، واقام لأبنه المظفر قصرا خاصاً به الى جانب الزاهرة[6]. وقال صاعد الأندلس (ت 467هـ/ 1069م)[7]:

(1) البيان المغرب: 2/ 275.

(2) المصدر نفسه: 2/ 275؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 95.

(3) النويري، المصدر السابق: 22/ 129؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 259.

(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 5.

(5) المصدر نفسه: 2/ 298- 299؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 124.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 63.

(7) برواية ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 277.

يـا أيهـا المَلِـكُ المنـصورُ مـن يَمـنٍ … والمبُـتني نـسباً غـيرَ الـذي انتَـسَبا
بغــزوةٍ في قُلــوبِ الـشركِ رائِعــةٍ … بـين المنايـا تُنـاغي السُمرَ والقَـصُبا
أما تَرى العَينَ تَجري فَـوقَ مَرمرَهـا … زَهواً فتُجرى على أحـسائها الطربَـا
أجريتهــا فَطمــا الزاهــب بَحريتَهــا … كما طَموت فسُدتْ العُجم والعَربـا
تَخَــالُ فيــهِ جُنــودَ المــاء رافلــةً … مـستلئماتٍ تُريـكَ الـدّرع واليَلبَـا
تَحُفهــا مــن فُنُــون الأيْــكِ زاهِــرةً … قـد أورقـتْ فِـضةً إذ أثمـرت ذهبـا
بدَيعــةُ المُلْــكِ مــا يَنفْــكُ ناظِرهــا … يَتلُو علـى الـسَّمعِ منهـا آيـةً عجبـا
لا يحسنُ الـدَّهرُ أن يُنشي لهـا مَـثلاً … ولــوْ تَّعنــت فيهــا نَفْــسهُ طَلَبــا

واسـتغرق العمـل في بنـاء معظـم الزاهـرة عـامين وانتقـل إليهـا سـنة (370هـ/ 980م) فنزلهـا بخاصـته وعامتـه ((وشـحنها بجميـع اسـلحته وأموالـه وامتعته واتخذ فيها الدواوين وعمل في داخلها الأهراء وأطلق بـساحتها الارحـاء ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه، فابتنوا بها كبار الدور المفيـدة، والمنازه (المتنزهات) المشيدة وقامـت بهـا الأسـواق... وتنـافس النـاس بـالنزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، للدنو من صـاحب الدولـة وتنـاهى العلـو في البنـاء حوله حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة))[1].

كما عمـل الحاجـب المنـصور بـن ابـي عـامر علـى بنـاء المـسجد الجـامع فيهــا والــذي سـبق ذكـره في موضــوع المـساجد الجامعــة، وهكــذا حلــت

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275- 276؛ ويقـارن: المقـري، نفـح الطيـب: 2/ 96؛ وينظـر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 536؛ مصطفى، المرجع السابق: 1/ 218؛ سالم، قرطبة: 1/ 259.

الزاهرة محل الزهراء وأصبحت بحق مركزا للسلطة وقاعدة للحكم ففيها استقبل الحاجب المنصور ملك نافار وحاضرتها بنبلونة شانجة الثاني (359هـ/ 970م- 385هـ/ 994م) سنة (382هـ/ 992م)، وجلس على سريره وقد اكتنفه وزرائه وأعاظم رجال دولته، فبهت شانجة من عظمة المجلس وروعة الموقف مما عاينه من فخامة السلطة[1].

ويعد الخليفة هشام المؤيد من الشخصيات البارزة التي زارت الزاهرة في عهد المظفر بن ابي عامر سنة (398هـ/ 1007م) لأغراض النزهة والاستجمام، فسر الخليفة لهذه الزيارة[2].

وبقيت الزاهرة مركزا للسلطة حتى بعد وفاة الحاجب المنصور بن ابي عامر حيث استقبل المظفر بن ابي عامر سنة (394هـ/ 1003م) الملك شانجة بن غرسية (391هـ/ 1000م- 427هـ/ 1035م) الذي قدم قرطبة ليلتمس الصلح من المظفر[3].

ولم تطل حياة مدينة الزاهرة أكثر من ثلاثين عاما حيث داهمتها الفتنة البربرية بنارها فكانت أولى ضحاياها وهاجمها الثائرون في جمادي الأولى سنة (399هـ/ 1008م) فنقبوا سورها واقتحموا المدينة ونهبوا خزائنها وكل ما كان فيها، وهدموا مبانيها وبذلك طمست معالمها وتلاشى أمرها[4].

---

(1) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص88.

(2) المصدر نفسه، ص73- 74؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 260-261.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 10؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 328.

(4) ذكر بلاد الأندلس، ص181؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 103؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 262؛ هلال، المرجع السابق، ص76.

وهكذا شكل قرطا قرطبة الزهراء والزاهرة دليلا على عظمة الخلافة الأموية في الأندلس، المتمثلة بقوتها السياسية والاقتصادية في القرن الرابع الهجري، فقدمت بذلك إنجازات عمرانية كبيرة ظلت شاهدا على العصر.

## رابعا: الخدمات العامة

### أ. الارصفة والطرقات

كان المسلمون يطلقون اسم الرصيف على كل الطرق المرصوفة كالطرق الرومانية، ومن بينها المحجة الكبرى او السكة العظمي (Via Augusta) وهي الطريق الروماني المرصوف بالحجارة والذي يبدأ من ميناء قادس في الجنوب على المحيط الاطلسي وينتهي بمدينة اربونة شمالا داخل الأراضي الفرنسية مارا بقرطبة واشبيلية وسرقطة وطركونة[1]. وتتوسط هذه السكة المدينة العتيقة وتقطعها ابتدأ من باب القنطرة جنوبا مارا بين المسجد الجامع وقصر الإمارة الى باب اليهود شمالا، وكان يلتقي بهذا الطريق الأعظم طريقان أحدهما غربي يمتد من باب عامر والثاني شمالي يمتد من باب اليهود بحيث يتألف من تقاطع هذه الطرق الثلاثة شكل صليبي، وهذا التخطيط في الشوارع هو النظام الرئيسي في تخطيط المدن الرومانية قديماً[2].

ومن هذه الطرق الرئيسة كان يتفرع منها شبكة من الدروب والطرقات

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 10؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص302.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 10، وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص304- 305؛ وينظر: خارطة رقم 2 و5.

الفرعية وقد اهتم الخلفاء بانشاء الارصفة والدروب، ففي سنة (326هـ/ 937م) أمر الخليفة الناصر بعمل رصيف على ضفة النهر من الباب الجديد الى باب منية الناعورة تسهيلا للطريق والذي لم يكن مرصوفا مسبقا ونظر للأمر بنفسه فتم لـه ذلك وأخذ الناس منه منفعة كبيرة[1].

ومن الطرق المستحدثة أيضا في عهد الخليفة الناصر سنة (330هـ/ 941م) بنـاءه طريـق مـا بـين قـصره بالنـاعورة الى مدينـة الزهـراء، الـتي بناهـا سـنة (325هـ/ 936م)، وذلك تسهيلاً للطريق في تلك الجهـة فجمـع الأيـدي العاملـة والفعلة وتم انجازه في مدة شهر، فقدم خدمة كبيرة للسالكين[2].

وورد ذكر اسم درب متصل بقصر لزاهرة التي بناها الحاجب المنـصور بـن ابي عامر والذي كان متصلاً بالدرب الأخر من النهر (الوادي الكبير) الى الجانب الشرقي من قرطبة[3].

وتشير المصادر التاريخية الى اسماء العديد من الدروب والسكك في قرطبـة بعضها يعود الى عصر الإمارة والقسم الاخر الى القرن الرابع الهجري ومن هـذه الدروب درب أشار إليه الخشني[4] يعود الى ان جده عمر بن شـراحيل المعـافري كان يسكن بدرب الفضل بن كامل الواقع قبلي مسجد ابـي عثمـان أيـام الأمـير عبد الرحمن الداخل. وورد ذكر اسـم درب يعـود الى عهـد الأمـير عبـد الـرحمن

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص424.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص70-71.

(3) ابن حزم، طوق الحمامة، ص98.

(4) قضاة قرطبة، ص30.

الاوسط، اسمه درب بني شراحيل نسبة الى قاضي قرطبة محمد بن شراحيل المعافري[1].

وفي القرن الرابع الهجري ذكر لنا ابن الفرضي[2] اسم دربين اخرين بقرطبة الاول اسمه درب ابي اشهب، والاخر درب بني فطيس. واورد ابن بشكوال[3] اسم محجة عرفت بمحجة بيرا بن عبد الحميد الواقعة بالربض الغربي من قرطبة، وسكن فيها الإمام احمد بن نصر بن عبد الله البكري.

وكان يقوم بحراسة كل درب من هذه الدروب حارس يسمى درب مفرد درابون ومسلح تسليحا كاملا لحماية الأزقة من اللصوص وقطاع الطرق[4].

ويقدم ابن سعيد[5] وصفا لمشاهد الدروب في الاندلس واسباب العناية الامنية بما قاله عنها: أن ((بلاد الاندلس لها دروب باغلاق تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بائت فيه، له سراج مغلق وكلب يسهر، وسلاح معد، وذلك لشطارة عامتها، وكثرة شرهم وإعيائهم في امور التلصص، الى ان يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الاغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوفاً ان يقر عليهم، أو يطالبهم بعد ذلك)). ودروب قرطبة كانت مضاءة ليلا بضوء السرج المنتشرة

---

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص80؛ ابن حيان، تحقيق مكي، ص179.

(2) تاريخ علماء الاندلس: 1/ 181، 2/ 79؛ وينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق: 2/ 481.

(3) الصلة: 1/ 19.

(4) المقري، نفح الطيب: 1/ 180؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص305.

(5) نقلا عن المقري، نفح الطيب: 1/ 180؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص305.

في كل دروبها[1]، ومن هنا نلاحظ أهمية الدروب في حماية أهل قرطبة لأن الخروج من منفذ واحد يسهل الدفاع عنهم، فضلا عن كون هذه الدروب مضاءة مما يزيد الأمن والاطمئنان للمارة فيها.

وحافظت الدولة على حماية الطرق من الاقذار واصلاح الطرق المتضررة التي تحجر فيها المياه، كما كان كل شخص مسؤول عن إصلاح فناء داره لدفع الضرر عن الآخرين[2].

وكان المحتسب يمنع إشغال الطرق باي شيء يتسبب في ضيقها[3]، حتى تناسب حركة المواصلات ويسهل تحرك المارة داخل المدينة.

**ب. الأسواق**

كان بقرطبة سوقين كبيرين وهما يمثلان مركزا مهما للتجارة في قرطبة يقع احدهما في الجهة الشرقية وتحوي العديد من الحوانيت كحوانيت السراجين التي حبسها الخليفة الحكم المستنصر على المعلمين سنة (364هـ/ 974م) وأمرهم بتعليم أولاد الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة[4]، أما السوق الاخر فكان يقع باتجاه باب العطارين[5] وكان يحوي على العديد من الحوانيت كحوانيت

(1) الشقندي، المصدر السابق، ص55؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 4.

(2) ابن عبدون، المصدر السابق، ص37.

(3) المصدر نفسه، ص53؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص36.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص207؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 249؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 206.

(5) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

البزازين[1] وحوانيت الريحاني[2] والرقاقين[3]، كما وردت اسماء عدد أخر من الحوانيت لم يحدد بالضبط مواقعها كحوانيت الصوافين والنجارين والخراطين والمشاطين[4] وقد أشار صاحب كتاب وصف جديد لقرطبة[5] الى اعداد حوانيت قرطبة بانها بلغت ما يقارب 3452 حانوتاً، وقيل 80455 حانوتاً [6].

وضمت قرطبة قيساريات[7] كبيرة حوت العديد من الحوانيت ففي سنة (361هـ/ 971م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بإقامة حوانيت للبزازين بمكان دار البرد بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمي نتيجة لشكوى البزازين لضيق حوانيتهم وبذلك أصبحت دار البرد القديمة قيسارية للتجار توسعت بها السوق[8]. كما وجدت في قرطبة قيسارية الى الجنوب الشرقي من المسجد الجامع على خريطة يعود تاريخها الى سنة 1811م تحدد موضع هذه القيسارية[9].

---

(1)ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 38؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 206.

(3) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 15، وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 206.

(4) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص142.

(5) مجهول، ص169.

(6) المقري، نفح الطيب: 2/ 68.

(7) القيساريات: وهي تعريب للكلمة اليونانية اللاتينية (Kaisareie) وتعني السوق القيصري التابع للدولة، وهو عبارة عن بناء كبير على شكل مستطيل، بداخله طريق وتتوزع فيه الحوانيت على كلا الصفين. ينظر: سالم، العمارة المدينة، ص145.

(8) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص66؛ وينظر: سحر عبد العزيز سالم، دار الطراز في عصر دولة بني أمية، مجلة دراسات أندلسية، عدد 13، تونس، 1995، ص89.

(9) سالم، قرطبة: 1/ 181؛ مصطفى، المرجع السابق: 1/ 405.

وفضلا عن إنشاء القيساريات اهتم خلفاء بني أمية بتشيد الأسواق وتوسيعها والاهتمام بها، ففي سنة (324هـ/ 935م) أيام الخليفة الناصر شب حريق كبير بسوق قرطبة مما ادى الى حرق عدد كبير من حوانيت السوق، حتى وصل الحريق دار البرد فأمر الخليفة الناصر بإعادة بناء السوق وتوسيعه والاهتمام به[1].

كما نلاحظ توسعاً في سوق قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر واصبحت تمتد حتى الرصيف، وكانت حوانيت القصابين تصل في الامتداد الى النهر بحيث عرف الرصيف برصيف القصابين[2].

وفي سنة (361هـ/ 971م) أمر الخليفة الحكم المستنصر بتوسيع المحجة العظمى في سوق قرطبة لتوسيع السوق[3]، كما أمر بإقامة سوق نافقة للعلماء فيها الكتب وقد جلبت من كافة الأقطار[4]، حتى قيل انه ((اذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية))[5].

وأورد الخشني[6] اسم سوق عرف بسوق الحديد بقرطبة، وذكر اسم سوق

---

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص145.

(3) المصدر نفسه، ص71؛ وينظر: محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب الشرطة في الاندلس، مجلة الاوراق، عدد 3، مدريد، المعهد الأسباني الثقافي، 1980، ص75.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 146؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 300: 2/ 8.

(5) المصدر نفسه: 2/ 9؛ وينظر: سالم، تاريخ المسلمين، ص296.

(6) أخبار الفقهاء، ص181.

أخر يقع خارج أسواق قرطبة للدواب[1]، وأشار ابن عذاري[2] الى عدة أسواق منها سوق الخشابين والنشارين والصاغة والبيازرة، وسوق السرادق الواقع بالقرب من قنطرة قرطبة[3].

وعرفت العديد من الأرصفة باسم الأسواق التي وجدت فيها مثل شارع الخياطين ورصيف القصابين[4].

ووجدت في اسواق قرطبة العديد من اصناف المواد كالفواكه والخضروات واللحوم المذبوحة كما وجدت في أسواق قرطبة الأسماك الطازجة، والحلوى التي كان لها بائعين خاصين، وأيضا وجد الخناطون أي بائعي القمح والشعير والفول والعدس والحمص، فضلا عن بائعي الملح والخل[5].

وأخذت الدولة على عاتقها الاهتمام بنظافة الأسواق كما منعت الناس من الدخول الى القيساريات والأسواق على ظهور الدواب وذلك حفاظاً على نظافة الأسواق ومنع حصول أي ازدحام في الأسواق بالمارة[6].

### ج. الفنادق (الخانات)

تعد مدينة قرطبة من المدن الاندلسية التي انتشرت فيها مباني تدعى

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 138؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 182.

(2) البيان الغرب: 3/ 57، 107؛ وينظر: ابن خاقان، مطمح الانفس، ص252.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 80؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 182.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص71.

(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص44- 45 وما بعدها.

(6) احمد بن عبد الله عبد الرؤوف، رسالة في أداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955، ص111.

بالفنادق او الخانات[1]، وقد كتب أحد المؤلفين المجهولين ان مدينة قرطبة احتوت على نحو 1600 فندق وخان وكانت هذه الخانات امكنة صالحة لاستقبال التجار والمسافرين والأفراد الأجانب وغيرهم[2].

والى جانب وظيفتها في كونها مأوى للتجار والغرباء فقد كانت مخازن لتخزين المواد كالحبوب والفحم، وسميت بعض الفنادق باسم الاشياء التي تباع فيها[3].

أما نظام بناء هذه الفنادق فكان على العموم متواضعاً في المساحة وبني تقريبا من مخزن او مخزنين مرتفعين. ومخطط الطابق بسيط مؤلف من غرف صغيرة حول الفناء الداخلي الرئيس. ويمكن للتجار ان يقيموا في غرف الضيوف في الأعلى، في حين تبيت الحيوانات والبضائع في الطابق الأرضي بأمان حول الفناء[4]. وإذا كانت للفندق أهمية كبيرةفانه يشتمل على طابق أخر له نفس وظيفة الطابق السابق[5].

---

(1) الفندق: كلمة اعجمية تعني بلغة أهل الشام خان، وهو المكان الذي ينزل فيه الناس، وتكون موجودة في المدن. ينظر: ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجو اليقي، المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط2، بلا.م، مطبعة دار الكتب، 1969، ص287.

(2) وصف جديد لقرطبة، ص170.

(3) بلباس، المرجع السابق، ص118.

(4) كونستبل، المرجع السابق، ص189.

(5) بلباس، المرجع السابق، ص118.

وكان يعين خادم خاص على باب الفندق ويشترط ان يكون متقدما في السن وقوراً أميناً ولم يكن من المرغوب فيه ان يشغل الشباب او النساء هذه الوظيفة[1].

وبقي فندق أندلس وحيد حتى اليوم في غرناطة يعود للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ويطابق بناءه المخطط الأساسي للفنادق الاندلسية المبكرة. ويمكن مقارنته بها على نطاق واسع. ومساحة البناء 30×30م$^2$ تقريبا مع باحة رئيسية وثلاث طبقات يحتوي الاثنان الاخيران على نحو عشرين غرفة ضيوف في كل منها. وهي مفتوحة على ممشى على الغناء الرئيسي. ويبدو ان بالإمكان إيواء خمسين تاجرا ان لم يكن اكثر في هذا الفندق[2]. كما كانت الفنادق تخضع لفحص وتفتيش دقيق من قبل المحتسب للنظر في نظافتها وكيفية إدراتها من قبل صاحب الفندق[3].

### د. الخدمات الصحية

#### 1. مشاريع المياه

تعد المياه شريان الحياة للإنسان والحيوان على حد سواء وتواجدها في المدينة هو أساس تكوينها. ولما كانت قرطبة واقعة على نهر الوادي الكبير فقد أدى ذلك الاهتمام بمشاريع الري وإيصال الماء العذب الى مختلف الأبنية الخاصة والعامة وقد شهد القرن الهجري بناء العديد من المرافق الخدمية ومنها:

---

(1) المرجع نفسه، ص119.

(2) كونستبل، المرجع السابق، ص189.

(3) ابن عبدون، المرجع السابق، ص35.

أ. الأقنية: (قنوات الري)

اهتم حكام الاندلس بإنشاء الأقنية وقنوات الري لإيصال المياه العذبة الى القصور والدور والمتنزهات وبرك السباحة إذ بنى الخليفة الناصر سنة (306هـ/ 919م) أقنية لإيصال المياه العذبة الى القصر الخلافي. وانشاء ايضا نافورة في العام نفسه أمام باب العدل أحد ابواب القصر الخلافي وبذلك أخذت المياه تتدفق الى القصر لملئ الصهاريج والبحيرات بالمياه العذبة[1].

وفي سنة (329هـ/ 940م) أمر الخليفة الناصر بإيصال قناة أخرى من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربي قرطبة معتمدا بذلك على المهندسين والمعماريين الذين عملوا على الإبداع في الصنعة فأجروا المياه الى بحيرة عظيمة أقيم عليها أسد عظيم الصورة بديع الصنع يجوز الماء الى مؤخرته فيدفعه الى البحيرة وكانت تسقى فيه كافة جنان القصر ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال المدينة كفايتها[2].

وسار الخليفة الحكم المستنصر على نهج والده الناصر في الاهتمام بإنشاء قنوات المياه العذبة في قرطبة، حيث عمل سنة (356هـ/ 966م) على إنشاء قناة تجلب المياه من عين في جبل قرطبة الى المدينة وتمد سقايات المسجد الجامع

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 174؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 9، وينظر: فكري، المرجع السابق، ص180-181؛ Provencal , carcia , Op, cit , P57 , 59

(2) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 85- 86؛ ازهار الرياض: 2/ 266- 267؛ وينظر: أمير علي، المرجع السابق، ص438؛ شلبي، موسوعة التاريخ: 4/ 100.

والميضائتين الشرقية والغربية بمياه عذبة تجري عبر قناة طبيعية من الحجر وفي جوفها أنابيب من الرصاص تحفظ المياه من الدنس[1].

ويقول الشاعر محمد بن شخيص:

وقد خَرْقت بطون الأرْض عن نُطَفٍ
من أعذَب الماء نَحْوَ البَيْت تُجريهْا
طُهْرُ الجسُومِ إذا زالت طَهارتُها
رَيُ القُلوبِ إذا حَرَّتْ صَوَاديها
قَرنْتَ فَخْراً بأجْرٍ قَلَّ مَا اقْترَنا
في أمَة إنْتَ راعِيها وحِاميها[2]

وهكذا يلاحظ ان هذه القنوات تكون مصنوعة إما من الحجر أو الرصاص. أما الأحواض والصهاريج فكانت مصنوعة من المرمر او النحاس المنقوش، ونقش في بعض القصور عليها بالذهب والفضة[3]. وكان العرب مغرمين برؤية المياه وهي تجري في مختلف الأشكال سواء حول القصر او الرياض او حتى في وسط المنازل[4].

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 78- 79؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 2/ 628؛ المزروعي، المرجع السابق، ص140؛ النقيب، المرجع السابق، ص168.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 240؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 9، 85- 86؛ وينظر: مصطفى، المرجع السابق: 2/ 628.

(4) جوزيف ماك كيب، مدينة العرب في الاندلس، ترجمة: تقي الدين الهلالي، بغداد، مطبعة العاني، 1950، ص36؛ أمير علي، المرجع السابق، ص438.

## ب. القناطر والسدود والمنابر (الارحاء)

تشير المصادر التاريخية الى وجود قنطرتين بقرطبة: عرفت الأولى بعظمتها وحصانتها وتقع شمالي باب قرطبة الجنوبي على نهر الوادي الكبير وتصل مدينة قرطبة بربضها القبلي المعروف بشقندة[1]. وكانت هذه القنطرة من بناء الامبراطور الروماني اغسطس قيصر في القرن الأول قبل الميلاد، وظلت قائمة الى اواخر دولة القوط الغربين وتهدمت قبيل الفتح الإسلامي ولم يبقى منها سوى دعائمها الراكبة في النهر[2]، وبقيت كذلك حتى ولاية السمح بن مالك الخولاني الذي كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يستشيره في بناء هذه القنطرة من حجر السور فأمره الخليفة ببناء القنطرة سنة (101 هـ/ 719م)[3] فرمحها ترميما حسنا حتى أصبحت إحدى مفاخر قرطبة[4].

وقد تعرضت قنطرة قرطبة المذكورة لاصلاحات عديدة نتيجة لتعرضها لمد النهر والسيول ففي سنة (331هـ/ 942م) تثلمت قنطرة قرطبة بسبب مد

---

(1) ابن شباط، المصدر السابق، ص142؛ وصف جديد لقرطبة، ص165؛ الحميري، المصدر السابق، ص458؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 22؛ سالم، قرطبة: 1/ 197؛ وينظر خارطة رقم 5.

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 22؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 197.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 26؛ الرسالة الشريفية، ص211؛ وصف جديد لقرطبة، ص165؛ الانصاري، المصدر السابق، ص242؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 22.

(4) الادريسي، المصدر السابق، ص212؛ ابن شباط، ص142؛ وفيها يقول بعض علماء الاندلس:

| | |
|---|---|
| بأربع فاقت الامصار قرطبة | منهن قنطرة الوادي وجامعها |
| هاتان ثنتان والزهراء ثالثة | والعلم أعظم شيء وهو رابعها. |

ينظر: المقري، نفح الطيب: 1/ 135.

نهرها[1]، وفي سنة (334هـ/ 945م) تعرضت قرطبة لسيل عظيم مما أدى الى بلوغ الماد البرج المعروف ببرج السد فهدم من أخر القنطرة فأمر الخليفة الناصر باصلاحها[2]. وبعد عام من وفاة الخليفة الناصر أي سنة (351هـ/ 962م) اعيد ترميها من جديد من قبل الخليفة الحكم المستنصر[3].

وما زالت هذه القنطرة قائمة ويبلغ طولها 223 مترا وعرض سطحها قريب من 8 أمتار وارتفاع عقودها فوق الارجل قريب من 15 مترا وعدد أقواسها 17 قوسا[4].

أما القنطرة الثانية في قرطبة، فامر موقعها غير محدد بالضبط ولا يوجد لها أثر يدل عليها في الوقت الحاضر، ويقول عبد العزيز سالم[5]، أن المؤرخ الفرنسي ليفي بروفنسال يحدد موقعها في نقطة وصل الرصيف الى المصارة، وقد تكون هذه القنطرة التي يسميها بالعامرية نسبة لمؤسسها الحاجب المنصور بن ابي عامر مقامة من الجهة اليمنى من القنطرة الأولى لوجود بقايا دعائم في نهر قرطبة أيام جفافه.

وقد تسرع في بناءها الحاجب المنصور بن ابي عامر سنة (378هـ/ 988م)

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 210؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199؛ فكري، المرجع السابق، ص175

(2) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 213؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 236.

(4) الادريس، المصدر السابق، ص212؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 23؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص175–176.

(5) قرطبة: 1/ 201.

وفرغ من بنيانها سنة (389هـ/ 998م) وانفق عليها 140 الف دينار، وجاءت هذه القنطرة بمنفعة عظيمة لأهل قرطبة[1].

وفضلا عن بناء القناطر، فقد أمر الخليفة الحكم المستنصر سنة (360هـ/ 970م) على بناء سد محكم الصناعة من الصخور والرمال والطفل وذلك على ضفة نهر قرطبة ملاصق للقنطرة الأولى لصرف جريان المياه من هذه الجهة وذلك لكشف الارجل التي أثر فيها الماء[2]. وفي النصف من ذي الحجة في العام نفسه عمل الخليفة الحكم لمستنصر (سد المنعة) المعقود اسفل نهر قرطبة في الشرق لرفع جريان الماء عن اصول أرجل الحنايا التي ظهر وهي من أرجل القنطرة الأولى واقتلعت حجارة قنوات الرحى المصاقبة للرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الارجل فيتمكن من التوصل الى إصلاح أسسها وتقوية ضعفها بالخشب والحديد وشرعت الأيدي العاملة بالعمل والتحصين تحت إشراف الخليفة الحكم نفسه الذي كان يطل على الموقع ليشاهد كيف يسير العمل فيها وإذا لم ينزل الى المكان كان يرتقي الى سطح قصر قرطبة المطل على باب السدة ويشرف على العمل وفي يوم الاحد لأربع بقين من محرم سنة (361هـ/ 971م) انتهى العمل في السد والقنطرة وركبت الخليفة الحكم وإجاز النهر للنظر في القنطرة إذ كمل البناء واستقوى التحصين فسر الخليفة بذلك[3].

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 388؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص71؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص193- 194.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص58.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص64- 65؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 199- 200؛ النقيب، المرجع السابق، ص175.

وعلى هذا السد بنيت 3 بيوت ارحاء في كل بيت فيها 4 مطاحن[1]. ووردت في الكتب التاريخية اسماء للعديد من الرحى كرحى القنطرة[2] وارحاء ناصح[3]، ويعرف الارحاء باسم المنبر أيضا[4]. وربما لارتفاعها وتميزها عن حافة النهر.

**2. الحمامات**

كان الاهتمام ببناء الحمامات في بلاد الإسلام عامة، وفي الأندلس خاصة ذا أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية، فهي عادة متأصلة في نفوس المسلمين فالطهارة في الإسلام أمر ضروري يستوجب الاغتسال والعناية بنظافة الإنسان، فلا غرابة ان تشهد المدن الأندلسية الكبيرة بناء العديد من الحمامات في أحياءها، ولم تشذ عن ذلك حتى القصور والمنازل المهمة، فقد كان لها حماماتها الخاصة بها[5].

ويقدم عبد العزيز سالم[6]، وصفا لشكل وهيئة حمامات الأندلس في قوله: ((وكان الحمام الاندلسي يتألف عادة من مدخل يؤدي الى ثلاث قاعات أو أربع رئيسية مقباة، تضاف إليها ملحقات الحمام من الموقد والمرحاض الى اخره. وكانت هذه القاعات تتصل فيما بينها عن طريق فتحات او أبواب، وكانت تتخذ جميعها شكلا مستطيلاً، أو مربعاً بخلاف الحمامات المصرية في العصر الإسلامي،

(1) الادريسي، المصدر السابق، ص212؛ وقارن: الحميري، المصدر السابق، ص458، والرحى: هي الطاحون.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق: 3/ 337.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص68.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 20.

(5) بلباس، المرجع السابق، ص108، 109.

(6) سالم، العمارة المدنية، ص140-141؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص30.

اذ كانت تدور حول غرفة مركزية. ويؤدي مدخل الحمـام الى اسـطوان أو ردهـة صغيرة في شكل مرفق، يليه حجرة ضيقة مستطيلة تعلوها قبوه نـصف اسـطوانية بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين. ويفصل هاتين الخلوتين عن بقية القاعـة عقـدان يـستندان فيمـا بينهمـا علـى عمـود مركـزي. وتعـرف هـذه القاعـة باسـم (البيت البارد)، وتقابل القاعـة (Tepidarium) في الحمامـات الرومانيـة. وكـان المستحمون يخلعون فيها ثيابهم عند دخول الحمام، ويلبسونها عند خروجهم منه، وفي أركان الخلوتين مقاعد يستريح عليها المستحمون)).

واهتم أهل الأندلس ببنـاء الحمامـات والحفـاظ علـى نظافتهـا فـصهاريج الحمامـات كانـت تغطـى بغطـاء محكـم يـؤمن الميـاه مـن النجاسـة ويبقيهـا نظيفة وطاهرة[1].

ومن يتتبع كتب التاريخ يجـد ان عمـارة الحمامـات في قرطبـة وضـواحيها انتشرت بشكل واسع لاسيما مـع تزايـد أعـداد الـسكان فيهـا في القـرن الرابـع الهجري، فقد تزايد أعمار الحمامات بحسب أحدى الإحصائيات الـتي تنـسب الى عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ان أعـدادها بلغـت قرابـة 900 حمـام[2]، وفي كتاب ازهار الرياض[3]، ذكر رقما لا يخلو من المبالغة وهـو 3000 حمـام. ولكـن يبدو أن ما ذكره ابن غالب[4] وهو 700 حمام اقرب للتصديق بدلالة ما ذكره ابن عذاري[5] انه كان للنساء في قرطبة 300 حمام فيصبح للرجال بحدود 400 حمام.

(1) ابن عبدون، المصدر السابق، ص48.

(2) المقري، نفح الطيب: 2/ 67؛ وينظر: الجيوسي، المرجع السابق: 2/ 191.

(3) المقري: 2/ 272.

(4) فرحة الأنفس، ص296.

(5) البيان المغرب: 2/ 232.

ويذكر الادريسي[1] ان قرطبة في ذاتها خمس مدن في كل مدينة منها ما يكفيها من الحمامات وسائر المرافق الأخرى. ويشير المقري[2] الى وجود حمامين في مدينة الزهراء واحدة داخل القصر خاصة للخليفة والاخرى يقصدها العامة. حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود حمام الى الشرق من غرفة الاستراحة في قصر الخلافة في الزهراء وتتكون من غرفتين تنفتح الواحدة على الأخرى وقد جهزت بأنابيب تحمل المياه الى حوض الاستحمام وزينت سقوف الحمام برخام أبيض اللون[3].

ويظهر من بعض النصوص التاريخية ان إنشاء الحمامات لم يقتصر على الدولة فقط وإنما كان لعامة الناس دور في تشييدها فجاء ذكرها بأسماء الأشخاص القائمين عليها فعلى سبيل المثال أورد ابن جلجل[4] اسم حمام منسوب الى خالد بن يزيد النصراني، يقع قرب داره في بيعة شنت اجلج. وحمام باسم أولاد زكريا أخي نجدة الصقلي ويقع في الربض الشرقي قرب النشارين[5]، كما ورد اسم حمام ينسب الى رجل اسمه هشام دون ذكر تفاصيل عنه[6].

وكان العدد الأعظم من حمامات قرطبة يقع بالقرب من المسجد الجامع ولم

(1) نزهة المشتاق، ص208

(2) أزهار الرياض: 2/ 269؛ وينظر: نفح الطيب: 2/ 87.

(3) العزي، المرجع السابق، ص112- 113.

(4) طبقات الأطباء، ص96

(5) المقري، نفح الطيب، 2/ 191- 192.

(6) الخشني، اخبار الفقهاء، ص268؛ ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 340.

يتبقى منها سوى بقايا حمامين احدهما يقع في شارع الحمام والاخر شارع لاس كوميدياس، وكلاهما بالقرب من المسجد لجامع[1]، ويعود أسباب زوال أثار الحمامات الى تعرضها للتخريب والهدم على اثر حركة الاسترداد النصرانيه [2].

3. دور التطبيب

لم يظهر لدينا في الأندلس بحسب المصادر التاريخية المتوافرة أي ذكر لوجود المستشفيات او ما يسمى بالبيمارستانات كما في المشرق إلا انه كان في الاندلس في القرن الرابع الهجري دور خاصة للتطبيب وهذه الدور إما قامت بتوجيه من الدولة، أو كان إنشاءها من قبل الأطباء أنفسهم فعملوا على تطبيب الناس فيها، ففي قرطبة أمر الخليفة الحكم المستنصر بتولية الطبيب احمد بن يونس[3]- الذي كان طبيباً في القصر الخلافي في الزهراء- بعمل أو إقامة خزانة طبية بالقصر، وكانت هذه الخزانة واسعة يعمل فيها اثنا عشر عنصراً من الصقالبة لطبخ الاشربة والمراهم الخاصة بالتطبيب واعتبرت هذه الخزانة داراً للتطبيب للخاصة والعامة على السواء، وسمح للفقراء والمحتاجين بارتيادها دون مقابل، وكان يداوي فيها كافة الأمراض حتى أمراض العيون[4].

---

(1) سالم، تاريخ المسلمين، ص370؛ زيدون، المرجع السابق، ص342.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ: 4/ 99.

(3) ينظر في ترجمته: ابن جلجل، المصدر السابق، ص112- 113؛ ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ص487.

(4) ابن جلجل، المصدر السابق، ص112- 113؛ ولم تفصح المصادر المتوفرة عن طبيعة بناء هذه الخزائن ومعالمها العمرانية.

ولم يترك الخليفة الحكم المستنصر ذوي العاهات في حال سبيلهم فقد شملتهم رعاية الخلافة الأموية في الاندلس حيث عمل الخليفة الحكم على إنشاء مجلس للصمم خصص لكل عضو فيه راتباً شهرياً[1].

كما استخدم بعض الأطباء دورهم كمشافي للمرضى كالطبيب ابن ملوكه النصراني (الذي عاش في أول أيام الخليفة الناصر) حيث كانت داره فيها ما يقارب الـ 30 كرسياً لقعود الناس وكان يطبب الناس بالأشربة والأدوية التي يصنعها بنفسه[2]. وأما الطبيب يحيى بن اسحق الوزير وكان في صدر دولة الخليفة الناصر فكان يطبب الناس بداره عند باب الجوز[3]. والطبيب ابو الوليد الكتاني الذي خدم كل من الخليفة الناصر والحكم المستنصر وكان محبوباً لدى العامة والخاصة لسخائه بعمله[4]. ويظهر ان اتخاذ جناح في هذه الدور للتطبيب لا يشكل مظهرا معينا للعمارة بقدر ما هو لتسهيل خدمة إنسانية كان المجتمع بحاجة إليها.

### 4. المتنزهات السياحية

امتازت قرطبة بطبيعتها الخلابة واهتمام خلفاءها بالطبيعة و محاكاتها من خلال الاهتمام ببناء المتنزهات والنظر في نظافتها وهذه المتنزهات بدورها تنقسم

---

(1) مثنى فلفل سلمان، الحياة الاجتماعية في الاندلس خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، 1990، ص110.

(2) ابن جلجل، المصدر السابق، ص97؛ ابن ابي أصبيعة، المصدر السابق، ص486.

(3) المصدر نفسه، ص488.

(4) المصدر نفسه، ص491.

الى متنزهات بناها الخلفاء لأنفسهم كمنية الناعورة التي اتخذها الخليفة الناصر لراحته[1]. ومنية ارحاء ناصح التي كانت ملاذا للخليفة الحكم المستنصر[2]. والمنية العامرية التي اتخذها المنصور بن ابي عامر ملاذا له وأيضا[3]. والقصر الدمشقي الذي بناه بني أمية واتخذوه ميدان مرحهم ومضمار إنشراحهم[4].

كما عمل الخلفاء الأمويين على إنشاء المتنزهات العامة لسكان قرطبة واجروا إليها المياه[5] ومن أهم هذه المتنزهات:

- فحص السرادق وهو أحد معالم قرطبة المهمة[6] ويقع جنوبي نهر قرطبة بالطرف الشرقي من المدينة[7] وهو من المتنزهات المشهورة والتي يقصدها الناس للراحة والاستجمام، وقد سمي بفحص السرادق لأن خلفاء بني أمية اعتادوا على إقامة السرادق في هذا الفحص. ففي سنة (319هـ/ 931م) أبرز الخليفة الناصر السرادق الى هذا الفحص قبل مسيرة

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 201.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص68.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 277؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 97-98؛ وينظر: خلاف، قرطبة الإسلامية، ص25.

(4) ابن خاقان، قلائد العقيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد العتابي، تونس، الدار العتيقة، 1966، ص94؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 14. ولم تذكر المصادر في أعلاه تاريخه، هل يعود لعصر الإمارة أم الخلافة.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 436.

(6) المقري، نفح الطيب: 2/ 17- 18.

(7) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص43.

لغزو مدينة طليطلة[1] وفي سنة (362هـ/ 972م) أبرز السرادق القائد غالب بن عبد الرحمن عندما ذهب لحرب العدوة المغربية[2].

- أما القصر الفارسي والذي يعتبر من القصور المقصودة للفرجة والتنزه يقع في ظاهر قرطبة من الشمال وهو القصر الذي شهد حب ولادة بنت المستكفي والوزير ابو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون (ت 463هـ/ 1070م)[3].

- وحير الزجالي الذي يقع خارج باب اليهود بقرطبة[4] والذي ينسب الى بني الزجالي أصحاب المناصب العالية في الدولة الأموية ففي سنة (300هـ/ 912م) اتخذ الخليفة الناصر عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي خطة العرض[5] ثم الوزارة سنة (344هـ/ 955م)[6] وغيره من بني

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 204؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 210.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص102.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 16؛ وحول ترجمة الشاعر ابن زيدون. ينظر: الحميدي، المصدر السابق، ص130؛ ديوان ابن زيدون، شرح وتعليق: كرم البستاني، بيروت، دار صادر، 1964.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 137. والحير: هو تحير الماء أي اجتماعه، والمقصود به هنا هو الرياض الفنية بالأشجار وبحيرات صغيرة للمياه يقصدها العامة للتنزه، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق: 1/ 767.

(5) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 158. وخطة العرض: هي خطة في الجيش الاندلسي ويسمى من يتولاها من الرجال بالعارض، ويتولى المسؤول عن هذا التنظيم عرض الجند بين يدي الخليفة لإظهارهم واختبار أحوالهم وكان الخليفة الحكم المستنصر يستمتع بالتطلع إليهم اثناء قيامهم بالتدريب، ينظر: ابن حيان، تحقيق الحجي، ص193، 223؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 158، 159.

(6) المصدر نفسه: 2/ 220؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 211.

الزجالي، وكان هذا الحير من أجمل المتنزهات وأبـدعها في قرطبـة لحسنها ورياضها الجميلة المزينة بأنواع الأزهار والأشجار[1].

ومن متنزهات قرطبة الأخرى الرملة وهو يقع على طريق الزاهرة ويعرف بطريق الرملة، وهو من المتنزهات المشهورة في قرطبة يقصدها الناس للاستجمام والمتعة وهي كثيرة الجنان والبساتين[2].

أما المرج الذي يقع بين نهر الوادي الكبير ونهير صغير يتفرع منه عرف أيضا بالمرج النضير أمتاز بجماله ورونقه وبساتينه[3].

ووادي قرطبة يعتبر من أجمل المواضع التي يقصدها أهل قرطبة للتنزه فكان محفوفاً بالبساتين والدور والقصور والمنيات[4]، وذكر ان جريان مياهه كانت ساكنة وامنة[5]، وكان للحاجب المنصور بن ابي عامر زورق يركب فيه ويطوف النهر[6].

ويعد السد على نهر الوادي الكبير من متنزهات قرطبة التي يقصدها الوشاح والشعراء وقد بالغوا في وصفها وجمال رونقها[7].

---

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 137-138.

(2) ابن حزم، طوق الحمامة، ص96؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 3/ 31؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 222.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 16.

(4) المصدر نفسه: 2/ 21.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص295؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 22.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 21/ 299؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص80.

(7) المقري، نفح الطيب: 2/ 18؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 202.

وقد ورد ذكر اسم متنزه لا يعرف موقعه بالتحديد يعرف بوادي العقيق كان يقصده الناس للتنزه[1].

ز. دور العلم والمكتبات

شهدت قرطبة في عصر الخلافة نشاطاً علمياً وثقافياً بارزا، تمثل في الاهتمام بالعلم والعلماء، وإقامة دور العلم ومؤسساته نتيجة لتقدم الحركة العلمية[2]. فقد برز فيها عدد كبير من المعلمين والمؤدبين أمثال عبد الله بن سليمان بن منذر (ت 325هـ/ 936م)[3] وابا بكر محمد بن الحسن الزبيدي معلم الخليفة هشام المؤيد[4]، وابا القاسم حسين بن وليد المعروف بابن العريف (ت 390هـ/ 999م)[5] وغيرهم.

وقد أسهمت الخلافة الأموية في عهد الخليفة الحكم المستنصر في بناء أماكن لتعليم الصبيان (الكتاتيب)، اذ أمر الخليفة سنة (356هـ/ 966م) باتخاذ سبعة وعشرين مكتباً لتعليم أولاد الفقراء والمساكين 3 منها حول المسجد الجامع والباقي منتشرة في أرباض قرطبة واتخذ لهم المؤدبين وأجرى عليهم الرواتب

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 21.
(2) قارن: ابن بسام، المصدر السابق، ق1: 1/ 33.
(3) ابن الابار، التكملة: 2/ 778؛ وينظر: حسين، المرجع السابق، ص105.
(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص133.
(5) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 134- 135؛ الحميدي، المصدر السابق، ص194؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د. ت: 10/ 184.

لأبناء الفقراء والمساكين[1]. ولم توضح لنا المصادر المتوفرة معالم هذا العمران وهيئته ولكن يبدو أنه كان بسيطاً مكونا من عدة غرف لجلوس التلاميذ بشكل متقارب العدد وبما يؤمن سير العملية التربوية.

وكانت لهذه الدور دورا أساسي ومهم في انتشار العلم وبشكل واسع في قرطبة ورفع الجهل عن سكانها حتى غدت قرطبة آنذاك داراً للعلوم والعلماء[2].

والى جانب دور العلم بقرطبة ظهرت المكتبات والتي أولت الخلافة الأموية وسكان قرطبة اهتماماً كبيراً في بناءها، فكان أهل قرطبة بحسب بعض المصادر من أكثر الناس في بلاد الأندلس شغفاً في اقتناء الكتب والاعتناء بخزائنها[3].

وقد ظهرت في الاندلس بالقرن الرابع الهجري، نوعين من المكتبات أشهرها مكتبة القصر الخلافي بقرطبة والتي يمكن عدها ضمن المكتبات العامة، لأنها كانت مفتوحة لكبار العلماء والأدباء فضلا عن الخاصة من مسؤولي الدولة ومن يتصل بهم.

وهذه المكتبة يعود تأسيسها الى عصر الإمارة، ايام الأمير محمد بن عبد الرحمن، ضمن قصر الإمارة، أي أنها شكلت جانباً من القصر دون معرفة تفاصيل عمارتها وعدت مع مرور الزمن من أجل خزائن الكتب في الإسلام،

---

(1) ابن عذاري، المصدر السابق ك 2/ 240- 214.

(2) الشقندي، المصدر السابق، ص53- 54.

(3) المقري، نفح الطيب: 2/ 8.

ولاسيما في القرن الرابع الهجري[1]، إذ سهر على الاهتمام بها وتنظيمها الخليفة الحكم المستنصر حتى بلغت في عهده تضم 400 الف مجلد وعدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب ((أربع واربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر اسماء الدواوين فقط))[2].

واولى الخليفة الحكم المستنصر اهتماماً واسعا بالمكتبة فجلب إليها الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والتجليد والتزين والتنميق وكانوا يتقاضون أجوراً مجزية نظير عملهم[3].

وسار الحاجب المنصور بن ابي عامر وابنه المظفر على نهج الخليفة الحكم المستنصر في الاهتمام بالمكتبة الأموية بقرطبة فاتخذوا العلماء في تاليف الكتب وتصحيحها واستنساخها ووضع المكتبة تحت تصرفهم[4].

وظهر نوع أخر من المكتبات وهي المكتبات الخاصة التي كان يمتلكها العلماء والمتعلمون من رجال ونساء قرطبة سواء اكانوا أغنياء او فقراء. ومنها مكتبة ابي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (348هـ/ 994م- 402هـ/ 1011م) حيث حوت العديد من نفائس الكتب في

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق: 1/ 466، 467؛ كريم عجيل حسين، الحياة العلمية في بلنسية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1976، ص277؛ حازم حسين، المرجع السابق، ص146.

(2) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص100؛ وقارن، ابن الابار، التكملة: 1/ 235؛ الحلة السيراء: 1/ 203؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 307؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص277.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 114؛ المقري، نفح الطيب: 1/ 300؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص278؛ حازم حسين، المرجع السابق، ص148.

(4) ابن بسام، المصدر السابق، ق4: 1/ 79- 80؛ ابن الابار، التكملة: 1/ 384.

مختلف العلوم[1]. ويذكر لنا النباهي[2] (ت 776هـ/ 1374م) وصفاً بـديعاً لمكتبـة ابن فطيس الخاصة، قلما نجد له نظيرا في المصادر الأخرى اذ قال انـه ((كـان لـه بداره مجلس عجيب الصنعة، حسن الالة، ملبس كله بالخضرة: جدرانـه وأبوابـه وسقفه وفرشه وستوره ونمارقة وكل ذلك متـشاكل الـصفات، قـد مـلاه بـدفاتر العلـم ودواويـن الكتـب الـتي ينظـر فيهـا ويخـرج منهـا وبهـذا المجلـس كـان أنسه وخلوته)).

ولم يقتصر اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات على الرجال فقط بل شمـل هـذا المرأة القرطبية اذ اهتمت بجمع الكتب ونسخها أمثال عائشة بنت احمـد بـن قـادم (ت 4000 هـ/ 1009م) وكانت من ابرع نساء عصرها علماً وأدباً وشـعراً وكـان لها خزانة علم كبيرة حسنة الصنعة[3].

كما عرفت أنواع أخرى من المكتبات الخاصة يمكن تسميتها بمكتبات الهواة وهي ان يقتني الشخص الكتب ويسعى باذلال الأموال للحصول علـى نوادرهـا لا ليقرأها قراءة العالم وطالب العلم، بل ليـشبع رغبـة في نفـسه وهوايـة تـراوده وهي اقتناء الكتب فحسب ليزين به داره ويفاخر بها أصحابه حيـث كـان اقتنـاء الكتب عند أهل قرطبة من احدى سمات الرياسة والنفوذ[4].

وكانت عناية الهواة كبيرة في تنظيم مكتباتهم- على مـا يبـدو- مـن حيـث

---

(1) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 210- 213؛ وينظر: حازم حسين، المرجع السابق، ص145.

(2) تاريخ قضاة الاندلس، ص88.

(3) ابـن بـشكوال، المـصدر الـسابق: 2/ 962؛ وينظـر: لوبـون، المرجـع الـسابق، ص404؛ عنـان ، دولة الإسلام: 2/ 506- 507.

(4) المقري، نفح الطيب: 2/ 8؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص284.

اختيار المكان المناسب لها في الدار وتنسيق كتب المكتبة على الرفوف، وحرصوا على ان يكون الكتاب جيد الخط متقن الضبط حسن التجليد[1].

وقد استمرت نهضة قرطبة العلمية في العصور اللاحقة أيضا، وخير شاهد على ذلك أنه عندما استولي الأنصاري الأسبان على قرطبة احرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب فيها مما يزيد على المليون وخمسين ألف مجلد[2]، مما يدل على نمطه وغنى مكتبات قرطبة في عصرها الإسلامي الزاهر.

**هـ. دور الصناعة**

**1. دار السكة**

أن أول من أنشاء داراً للسكة في قرطبة وضرب الدراهم في عصر الإمارة الأمير عبد الرحمن الأوسط، ولم تكن في الأندلس دارا للسكة عند الفتح الإسلامي[3]. وكانت تقع الدار على تماس مع باب العطارين من خارج مدينة قرطبة العتيقة[4].

وفي سنة (319هـ/ 931م) أمر الخليفة الناصر ببناء دارا للسكة في داخل مدينة قرطبة لضرب الدنانير والدراهم الأندلسية وولى خطتها الى الوزير احمد بن موسى بن حدير، وخصصها لضرب العملات الذهبية والفضية الخالصة، وقد

(1) المقري، نفح الطيب: 2/ 8- 9؛ وينظر: كريم حسين، المرجع السابق، ص285.

(2) الرفاعي، الإنسان العربي، ص547.

(3) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 46؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 91؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 215.

(4) الهمذاني، المصدر السابق، ص88؛ سالم، قرطبة: 1/ 215.

كان الضرب معطلاً قبل عصر الخليفة الناصر لتدهور الأوضاع السياسية بالاندلس، وكان لهذا الإجراء اثر كبير في تثبيت العملة والاستقرار في التعامل[1].

وبعد ان اتخذ الخليفة الناصر مدينة الزهراء مركزا للخلافة وتحديداً سنة (336هـ/ 947م) نقل دار السكة من قرطبة الى مدينة الزهراء وقلد خطتها عبد الرحمن بن يحيى[2]. وبقيت كذلك طيلة فترة الخليفة الحكم المستنصر. إلا انه في عصر الحاجب المنصور بن ابي عامر نقلت دار السكة الى الزاهرة[3].

**2. دار البرد والطراز[4]**

وهي الدار التي أحدثها الأمير عبد الرحمن الداخل على حد قول ابن حيان[5]، واختصت منذ ذلك الحين بصناعة البرود الأميرية ولذلك عرفت بالدار البردية، ثم تطورت في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط فاتسعت مرافقها واتخذ

(1) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص243؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 198؛ وينظر: عنان، دولة الإسلام: 2/ 447؛ سالم، قرطبة: 1/ 215. ولم توضح المصادر المتوفرة لدينا عن هيئة وعمارة دار السكة شأنها شأن اماكن التطبيب و دور العلم والمكتبات وما شابهها.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص244؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 215؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 215.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 275- 276؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 92.

(4) البرد: من الثياب وجمعه برود أو برد وابراد والبردة كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الأعراب. ينظر: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979، ص47؛ والطراز: علم الثوب فارسي معرب وقد طرز الثوب تطريز أو الطرز والطراز الهيئة او الشكل. ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص390.

(5) شالميتا، تحقيق الحجي، ص66؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 215؛ سحر سالم، المرجع السابق، ص87؛ ويقول ابن عذاري: 2/ 136، ان الذي أحدثها هو الامير عبد الرحمن الأوسط.

دار الطـراز الـذي أقـيم الى جانـب دار الـبرد لنـسج الطـرز الاميريـة علـى أثواب وبرود الأمير وحرمه وخدمه[1]، وكان موقعها مصاقباً للقصر الخلافي مـن الجهة الغربية[2].

وفي سـنة (324هــ/ 935م) تعرضـت الـدار لحريـق فأتـت الـنيران عليهـا وعندئذ أمر الخليفة الناصر بتجديد عمارتها وإعادة دار البرد على رسمه، فـسما بناؤها ونصبت أبوابها[3]. وبذلك اتسع دار البرد والطراز أتساعاً كبيراً وشملـت العديد من المرافق كالحمامات والأسواق والمساجد[4].

كما اشتهرت المنسوجات في عصر الخليفة الناصر وقد أشار أبن حوقـل[5] الى شهرة قرطبة آنذاك في صناعة جيد الثياب والكسي من لبن الكتان وجيد الخز والقز. وقد تولى إدارة دار الطراز في عصر الخليفة الناصر الفتى خلف الكبير[6].

وفي عصر الخليفة الحكم المستنصر ونتيجة لاتـساع الـسوق الجـاور لقـصر قرطبة الخلافي وتوسع دار الطراز أمـر الخليفـة سـنة (361هــ/ 971م) بنقـل دار الطراز الى دار الزوامل (جمع زاملة وهي ما يحمل عليـه مـن الـدواب) بالمـصارة بالطرق الغربي من قرطبة ونقل دار الزاومل الى الدار الواقعة بالقرب من محـبس

(1) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 91؛ سالم، قرطبة: 1/ 215؛ سحر سالم، المرجع السابق، ص89.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص66؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص40؛ وينظر: سـالم، قرطبـة: 1/ 216.

(3) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص383.

(4) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص40؛ وينظر: سحر سالم، المرجع السابق، ص89.

(5) صورة الأرض، ص108.

(6) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 191؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 216.

القصر قرب قصر الناعورة[1]. واسند الخليفة الحكم خطتها الى الفتى فائق الصقلي[2].

وكان الحاجب المنصور بن ابي عامر يستدعي اجناد البربر الى الاندلس فيخلع على الرجل منهم بلباس الخز المطرز وغيره بدلا من لباسه القديم[3].

ولم يبقى من إنتاج دار الطراز بقرطبة سوى قطعة من النسيج الرقيق تعرف بطراز هشام المؤيد بالله تحفظ اليوم في الاكاديمية التاريخية بمدريد[4].

**3. دور صناعة التحف والآلات المعدنية وغيرها**

تحولت دار صناعة السفن في قرطبة والتي كان قد أنشاها الأمير عبد الرحمن الأوسط الى دار لصناعة التحف المعدنية والآلات في عصر الخليفة الناصر ومنها صنع اثني عشر تمثالا من البرونز مرصعة بالدر النفيس الغالي ووضعت في المجلس المؤنس بقصر الزهراء[5].

ونتيجة لتزايد أعمال البناء في قرطبة في القرن الرابع الهجري عمل الخليفة الناصر على بناء دار لصناعة الآلات والسلاح والحلي للزينة في مدينة

---

(1) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص66؛ وينظر: سحر سالم، المرجع السابق، ص89.

(2) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص66.

(3) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 279.

(4) سحر سالم، المرجع السابق، ص92.

(5) ابن غالب، المصدر السابق، ص301؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 231؛ ذكر بلاد الاندلس، ص163؛ المقري، نفح الطيب: 2/ 88؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 217.

الزهراء[1]، وقد عثر في حفريات الزهراء على قطع كثيرة من الأدوات الحديدية والتحف مما يؤكدا ازدهار قرطبة و صناعتها[2].

كما اشتهرت دار الصناعة في قرطبة بصناعة قطع الرخام المنقوشة فعثر على حوض من الرخام غير كامل محفوظ اليوم بمتحف الآثار الأهلي بمدريد نقش عليه تاريخ إنشائه في (عام 377هـ/ 987م) بأمر المنصور بن ابي عامر ليوضع في قصر الزاهرة[3].

وهذا يدل على مدى ازدهار الصناعة في قرطبة في الفترة المذكورة ودورها الأساسي في استكمال معدات البناء وازدهار الحركة العمرانية والبناء فيها.

و. السجن (المطبق)

ورد ذكر لفظة السجن والمطبق بالمصادر التاريخية في الاندلس بشكل مترادف ولن تشذ مدينة قرطبة عن غيرها من المدن الإسلامية كون بناء السجون كان واحدا من المستلزمات الضرورية لحفظ الأمن والنظام في الدولة.

وعلى حد قول ابن عبدون[4] (عاش في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) فان قرطبة كانت تحوي عدد من السجون يحبس فيها من تثبت عليهم التهم ولا يسجنون إلا بأمر من القاضي أو السلطان.

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق: 4/ 144؛ المقري، ازهار الرياض: 2/ 261؛ وينظر: سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص52.

(2) المرجع نفسه، ص53.

(3) سالم، قرطبة في العصر الإسلامي، ص55.

(4) رسالة في آداب الحسبة، ص20.

وقد ورد ذكر السجون منذ عصر الإمارة في قرطبة[1]، ولم يثبت لدينا ذكر رقم معين لأعدادها من قبل الكتاب والمؤرخين ولا شكل عمارتها سوى ما ورد فيها من ثنايا النصوص التاريخية. ومن هذه السجون في قرطبة ما يسمى بحبس الدويرة[2]، ويرجع تاريخه الى عهد الحكم الربضي واستمر هذا السجن حتى عصر الخلافة بدليل أنه سجن فيه جماعة من المخالفين للخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (300هـ/ 912م) وهم كل من محمد بن إبراهيم بن حجاج وحبيب بن عمروس بن سوادة وقاسم بن وليد الكلبي صاحب الشرطة بقرطبة وسجنوا معاً في هذا السجن[3].

وقد ورد اسم هذا السجن أيضا في ايام الخليفة الحكم المستنصر[4] وبسبب تقادم الزمن على هذا السجن لابد وان حركة الاعمار والتجديد والتطوير قد نالته وأحدثت فيه بناءا جديدا لكي ينسجم مع تزايد أعداد السكان وازدياد المخالفات تبعا لذلك.

وورد ذكر اسم سجن أخر بقرطبة وهو مطبق الزهراء في قصر الزهراء[5]، حيث سجن فيه عام (361هـ/ 971م) وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر جماعة

(1) القاضي عياض، المصدر السابق: 4/ 453؛ ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 50؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 218.

(2) ابن حيان، تحقيق شالميتا، ص90.

(3) المصدر نفسه، ص90؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 218.

(4) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص202.

(5) المقري، نفح الطيب: 2/ 11.

من مدينة الزهراء عرفوا (بعصبة البطراء) من أهل قرطبة المستخفين بالخلافة وطاعتها، فاستطاع صاحب الشرطة في مدينة الزهراء إلقاء القبض عليهم ورئيسهم يوسف بن هارون البطليوسي وأودعهم جميعاً في سجن الزهراء[1].

ومن السجون الأخرة بقرطبة الذي يعرف بالمطبق[2]، وهو السجن الذي حبس فيه الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي وقد عرف هذا السجن أيضا بسجن العامرية، ويقع داخل قصر قرطبة[3]. وكان هذا المطبق يحوي على العديد من الغرف او البيوت التي يحبس فيها الأشخاص والدليل على ذلك ان حبس جعفر بن عثمان المصحفي في بيت يعرف ببيت البراغبث داخل المطبق حتى مات فيه، ويمكن اطلاق لفظة السجن الانفرادي عليه والذي بموجبه يعزل المسجون الواحد بغرفة مستقلة عن السجناء الاخرين عقابا لهم أو زيادة في التعذيب[4].

وكانت هذه السجون المذكورة مخصصة للرجال، أما النساء اللاتي يثبت عليهن جرم معين فيسجن عند امرأة خيرة يعرف القاضي فضلها ويصرف لها راتبا شهريا من بيت مال المسلمين[5].

ي. المقابر (المدافن)

على الرغم من الازدحام العمراني في قرطبة، فان المخطط العمراني ومنذ

(1) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص75- 76.
(2) ابن سعيد، المصدر السابق: 1/ 72؛ ابن خاقان، مطمح الانفس، ص156، 159؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص134، 135.
(3) المصدر نفسه، ص110، وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 219.
(4) ابن عذاري، المصدر السابق: 2/ 270.
(5) ابن عبدون، المصدر السابق، ص19.

عهد مبكر لم ينسى ان يترك مساحات من الأراضي لتقام عليها المقابر والمدافن الكبرى لأهل قرطبة. وبسبب ذلك اشتهرت عدة مقابر منها في جنوب قرطبة ما يسمى بالمقبرة الكبرى المعروفة بمقبرة الربض وقد خصصت بعض المدافن فيها لقريش[1]، وكان يتردد عليها قاضي قرطبة محمد بن عبد الله بن ابي عيسى (ت 339هـ/ 950م)[2].

أما الجانب الشمالي من قرطبة فيقع فيها مقبرة بخارج باب اليهود تعرف بمقبرة ام سلمة[3] زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن وهي تقع في بداية زقاق الزراعيين[4].

أما من جهة الشرق فكانت هناك مقبرة تدعي بمقبرة البرج ويشير عبد العزيز سالم[5] بأنها نفس مقبرة العباس. الواقعة في الربض الشرقي بالقرب من باب عباس[6]، وهي المقبرة التي دفن فيها محمد بن احمد بن عبدون سنة (320هـ/ 932م)[7]. والشاعر احمد بن محمد بن عبد ربة سنة (382هـ/ 992م)[8].

---

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 68؛ ابن حيان، تحقيق الحجي، ص92؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص187؛ سالم، قرطبة: 1/ 226.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص119.

(3) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص92؛ الحميري، المصدر السابق، ص135؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 48.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 118؛ وينظر: فكري، المرجع السابق، ص187. وينظر خارطة رقم 5.

(5) قرطبة: 1/ 226.

(6) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 50؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 15، 33.

(7) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 63.

(8) المصدر نفسه: 1/ 50.

ومن جهة الغرب عرفت لها مقبرتـان: احـداهما مقـبرة عـامر القرشـي او مقبرة قريش[1] الواقعة خارج باب عامر القرشي[2]، وسميت أيـضا بمقـبرة بـاب عامر[3]، والمقبرة الثانية هي مقبرة متعة[4].

وكان للخلفاء اهتمام كبير بالمقـابر وتوسـيعها فقـد عمـل الخليفـة الحكـم المستنصر سنة (361هـ/ 971م) على سبيل المثـال علـى توسـيع مقـبرة أم سـلمة نتيجة لضيق المقبرة وتكاثر الدفن فيها وذلك بان ابتاع دور عدد من سـاكني هـذه المقبرة وهدمها وبذلك توسعت المقبرة[5].

وللخلفاء بقرطبة مقبرة خاصة بهـم تـسمى الروضـة تقـع داخـل القـصر الخـلافي[6]، ودفـن فيهـا كافـة خلفـاء بـني أميـة ومـنهم الخليفـة الناصـر سـنة (350هــ/ 961م)[7]، كمـا دفنـت في هـذه الروضـة نـساء الخلفـاء ففـي سـنة (389هـ/ 998م) دفنت والدة أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله[8].

---

(1) ابن القوطية، المصدر السابق، ص64؛ ابـن الفرضـي، المـصدر الـسابق: 1/ 72؛ ابـن بـشكوال، المصدر السابق: 1/ 141: 2/ 11.

(2) أخبار مجموعة، ص63.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 222؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص96.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 59.

(5) ابن حيان، تحقيق الحجي، ص92.

(6) المصدر نفسه، نشر ملشور انطونيا، ص3؛ وينظر: سالم، قرطبة: 1/ 189.

(7) المقري، ازهار الرياض: 2/ 288.

(8) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 210.

ووجدت في قرطبة مقابر باسم أسر سكنوا قرطبة كانت خاصة لدفن أفراد تلك الأسر، كمقبرة الزجاجلة التي دفن فيها أبناء الزجاجلة أمثال الفقيه عبد الله بن عبد الله الزجالي (ت 375هـ/ 985م)[1]، ومن هذه المقابر أيضا مقبرة بني فطيس التي دفن فيها الوزير القاضي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس سنة (402هـ/ 1011م)[2].

ووردت في كتب التراجم اسماء مقابر أخرى في قرطبة منها مقبرة مومرة[3] وفرانك[4] وكلع[5] والنجم وابن خازم ورحبة غويرة ومقبرة حلال وابن بشتين[6] دون تحديد لأماكنها.

وهكذا يظهر لنا أن يد العمران طالت كل مرفق حيوي في قرطبة بما فيها المقابر التي لا تخلو من لمسات عمرانية، وتجديد وتطوير تبعاً لتزايد أعداد السكان والحاجة لتوسيعها بما يخدم الصالح العام.

---

(1) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 279.

(2) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 312.

(3) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 66؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 253.

(4) ابن الفرضي، المصدر السابق: 1/ 134؛ ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 236.

(5) المصدر نفسه: 1/ 52؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان: 3/ 523.

(6) ابن بشكوال، المصدر السابق: 1/ 26، 138، 262، 306: 2/ 481.

# الخاتمة

# الخاتمة

نستنتج من هذه الدراسة ما يلي:

1- بالرغم من ان جذور العمارة في قرطبة تعود في بعض أجزاءها الى عهود قديمة قبل الفتح الإسلامي وكذلك ما بعد الفتح (لاسيما عصر الإمارة) فأن العمارة التي تحدثت او استجدت في مدينة قرطبة وضواحيها في ظل الخلافة الأموية (القرن الرابع الهجري) تشكل في مجملها كما ونوعاً أعظم ما شهدته الاندلس خلال الوجود العربي الإسلامي وشكل الأساس لما جرى من بناء وعمارة لاحقا.

2- من خلال دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأحداث القرن الرابع الهجري أتضح لنا ان الاستقرار السياسي والرفاه الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي شكل أرضية صالحة للتقدم في كافة مرافق الحياة ولاسيما الجانب العمراني في معظم مرافقه. حيث وفر لهذا الجانب المواد الأولية والأيدي العاملة والأموال وبذلك نشط العمران في مدينة قرطبة وضواحيها.

3- إن بناء المساجد الجامعة الكبرى في (قرطبة والزهراء والزاهرة) وبقية المساجد العامة والعمائر الدينية الأخرى كان دور الدولة والمجتمع على قدم سواء في السبق او التنافس في تعمير بيوت الله رغبة في الثواب أو الأجر وتشهد كتب التراجم والتاريخ وغيرها على ذلك.

4- بسبب الأوضاع والاخطار الداخلية والخارجية المحدقة بالأندلس عامة وقرطبة العاصمة خاصة لاحظنا ان اللمسات الأمنية والعسكرية لا تخلو منها العمائر الخاصة بالدولة وكذلك المنشات والمرافق العامة.

5- ان التنوع المعماري في قرطبة يعكس الاهتمامات الحضارية في كل مرافق الحياة فعلى سبيل المثال كان الاهتمام بالجانب الثقافي والعلمي دليلا على وجود أبنية وعمارات خاصة للعلم ومؤسساته ولاسيما في عصر الخلافة الأموية اذ شهد رعاية أموية من الدولة والمجتمع على حد سواء.

وأيضا اشتهرت مدينة قرطبة وضواحيها بجغرافيتها ومناخها المعتدل وجمال الطبيعة مما جعلها تتألف بروائع العمران من المتنزهات والقصور الرائعة الضخمة التي تغنى بها الشعراء في الأندلس عامة وقرطبة خاصة.

وبذلك أخذت مدينة قرطبة وضواحيها في عصر الخلافة تتألق وتزدهر بالعمران في كافة جوانبه الحيوية بما يفيد الدولة والمجتمع القرطبي على السواء.

# المصادر والمراجع

# المصادر والمراجع

## أولا: المصادر الأولية

### ـ القرآن الكريم

- ابن الأبار، ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي بكر (ت 658هـ/ 1259م)

1- إعلام نساء الأندلس (مستلة من كتاب التكملة)، تحقيق: منجد مصطفى بهجت، مجلة المورد، عدد 1، مج 19، العراق، 1990.

2- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عزت العطار الحسيني، بغداد، مطبعة السعادة، 1955.

3- الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1963.

- ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت 630هـ/ 1232م).

4- الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965.

- الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ/ 1164م).

5- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (قطعة بعنوان صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس)، نشر: رينهارت دوزي ودي غوية، ليدن، مطبعة بريل، 1968.

- ابن الازرق، ابو عبد الله محمد (ت 896 هـ/ 1490م)

6- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، لبنان، تونس، الدار العربية للكتاب، د. ت.

- الاصطخري، ابو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت 348هـ/ 959م)

7- المسالك والمالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، القاهرة، دار القلم، 1961.

- ابن ابي أصيبعة، ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ/ 1269م)

8- عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت، مكتبة الحياة، 1965.

- الانصاري، شمس الدين عبد الله محمد (ت 727هـ/ 1326م)

9- نخبة الدهر عجائب البر والبحر، طبع وتصحيح: فرين ومهرن، بطرسبورغ، مطبعة الاكاديمية، 1865.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/ 868م)

10- صحيح البخاري، اعتناء: محمد بن الجميل، القاهرة، 2002.

- ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ/ 1147م)

11- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1975.

- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد المالك (ت 578هـ/ 1182م)

12- الصلة، القاهرة، مطابع سجل القاهرة، 1966.

- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/ 1328م)

13- مراصد الإطلاع على أسماء الامكنة والبقاع (وهو مختصر لكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي)، تحقيق: علي محمد البجاوي، لبنان، دار المعرفة، 1955.

- البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/ 1094م)

14- جغرافية الندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1968.

15- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك )، نشر: دي سلان، الجزائر، 1957.

- ابن بلقين، عبد الله (ت 483هـ/ 1090م)

16- مذكرات عبد الله بن بلقين (المسمى بكتاب التبيان)، تحقيق: ليفي بروفنسال، مصر، دار المعارف، 1955.

- ابن جلجل، ابو داود سليمان بن حسان (ت 377هـ/ 987م)

17- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي، 1955.

- الجواليقي، ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد (ت 540 هـ/ 1145م)

18- المعرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط2، بلا. م، مطبعة دار الكتب، 1969.

- ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد الاندلسي (ت 456هـ/ 1063م)

19- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف، 1962.

20- رسالة في فضل الاندلس (منشورة بعنوان رسائل ابن حزم)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

21- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق، دار البيان، 2002.

- الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر (ت 488هـ/ 1095م)

22- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية، 1966.

- الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1494م)

23- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980.

- ابن حوقل، ابو القاسم محمد النصيبي (ت 380هـ/ 990م)

24- صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1979.

- ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حيان(ت 469 هـ/ 1076م)

25- المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، القاهرة، 1971.

26- المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: الاب ملشورم انطونيا، باريس، 1937.

27- المقتبس، تحقيق شالمتيا وكورنيطي، مدريد- الرباط، المعهد الأسباني العربي، 1979.

28- المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، بيروت، دار الرشاد، 1965.

- ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبد الله القبسي (ت 529هـ/ 1134م)

29- قلائد العقيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد العتابي، تونس، الدار العتيقة، 1966.

30- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.

- ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م)

31- المسالك والممالك، بغداد، مكتبة المثنى، 1889.

- الخشني، ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد (ت 361 هـ/ 971م)

32- أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا ابيلا ومولينا، مدريد، 1992.

33- قضاة قرطبة، مصر، الدار المصرية للتراث، 1966.

- ابن الخطيب، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد(ت 776هـ/ 1374م)

34- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1973.

35- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2، لبنان، دار المكشوف، 1956.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)

36- العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، 1979.

- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت 681هـ/ 1282م)

37- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، واعد فهارسه: رياض عبد الله عبد الهادي، بيروت، دار أحياء التراث، 1997.

- ابن خياط، خليفة (ت 240هـ/ 854م)

38- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، 1968.

- ابن ابي دينار، ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم (ت 1092 هـ/ 1681م)

39- المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)

40- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام (حوادث سنة 321هـ- 330هـ)، تحقيق: عبد السلام تدمير، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002.

41- دولة الإسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتون ومحمد مصطفى إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

- الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر (كان حيا عام 660هـ/ 1261م)

42- مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي، 1979.

- الزبيدي، ابو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ/ 989م)

43- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، 1973.

- الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أوسط القرن الثاني عشر الميلادي)

44- كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي، 1970.

- ابن زيدون، احمد بن عبد الله (ت 463هـ/ 1070م)

45- ديوان ابن زيدون، شرح وتعليق: كرم البستاني، بيروت، دار صادر، 1964.

- ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي (ت 685هـ/ 1286م)

46- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1964.

- ابن شباط، محمد بن علي بن محمد (ت 681هـ/ 1282م)

47- صلة السمط وسمة المرط (من كتاب تاريخ الأندلس، نصان جديدان)، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971.

- الشقندي، إسماعيل بن محمد (ت 629هـ/ 1280م)

48- رسالة في فضل الأندلس وأهلها (نشرت بعنوان رسائل ونصوص)، نشر: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1968.

ابن صاعد، صاعد بن احمد الاندلسي (ت 463هـ/ 1070م)

49- طبقات الأمم، النجف، المطبعة الحيدرية، 1967.

- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد (ت 599هـ/ 1202م)

50- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، ط3، مدريد، مطابع روخس، 1884.

- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م)

51- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط5، القاهر، دار المعارف، 1960

- ابن عبد الرؤوف، احمد بن عبد الله

52- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955.

- ابن عبد ربة، ابو عمر احمد بن محمد (ت 328هـ/ 939م)

53- العقد الفريد، تحقيق: احمد أمين وآخرون، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1962.

- ابن عبدون، محمد بن احمد التجيبي (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)

54- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، 1955.

- ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (كان حيا عام 712هـ/ 1312م)

55- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفي بروفنسال، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980.

- العذري، احمد بن عمر بن انس (ت 478هـ/ 1085م)

56- نصوص عن الاندلس (من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار) تحقيق: عبد العزيز الاهواني، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965.

- ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/ 1678م)

57- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الأفاق الجديد، د. ت.

- عياض، عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/ 1149م)

58- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن شريفة، المغرب، مطبعة فضالة، 1968.

- ابن غالب، محمد بن ايوب (ت أواسط القرن السادس الهجري/ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)

59- فرحة الانفس في تاريخ الأندلس، تحقيق: لطفي عبد البديع، القاهرة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1، ج2، 1955م- 1956.

- ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل عبد الملك الافضل (ت 732هـ/ 1331م)

60- تقويم البلدان، تحقيق: رنيود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840.

- ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت 403هـ/ 1012م)

61- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر وتصحيح: عزت العطار، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988.

- ابن الفياض، ابو بكر احمد بن سعيد (ت 459هـ/ 1066م)

62- نص أندلسي من تاريخ ابن فياض، نشر وتحقيق: عبد الواحد ذنون طه، دمشق، بيروت، دار العلم، 1976.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)

63- اثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960.

- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م)

64- صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987.

- ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر العزيز (ت 367هـ/ 977م)

65- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958.

- الكتاني، ابو عبد الله محمد (ت 420هـ/ 1029م)

66- التشبيهات من اشعار أهل الأندلس، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1966.

- ابن الكردبوس، ابو مروان عبد الملك (ت 573هـ/ 1177م)

67- تاريخ الاندلس (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق: احمد مختار العبادي، مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، 1971.

- مجهول، المؤلف

68- أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر ولاتها، نشر وتحقيق: لاقونتي القنطرة، مدريد، مطابع ربدنير، 1867.

- مجهول، المؤلف

69- ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، 1983.

- مجهول، مؤلف

70- نبذة من أخبار فتح الأندلس (مأخوذ من الرسالة الشريفية الى الأقطار الأندلسية، ضمن كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية)، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، بيروت، دار النشر للجامعيين، 1958.

- مجهول، مؤلف

71- كتاب الطبيخ، مدريد، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد9-10، 1961 -1962.

- مجهول، المؤلف

72- وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق: حسين مؤنس، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مجلد 13، 1965- 1966.

- المراكشي، ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت 647هـ/ 1249م)

73- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: سعيد محمد العريان، القاهرة، دار أحياء التراث الإسلامي، 1963.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ/ 956م)

74- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة النصرية، 1988.

- مسلم، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 874م)

75- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار احياء التراث العربي، د. ت.

- المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد بن ابي بكر (ت 375هـ/ 985م)

76- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، ليدن، مطابع بريل، 1906.

- المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)

77- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، الرباط، اللجنة المشتركة لنشر التراث، 1978.

78- نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، 1998.

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (71هـ/ 1311م)

79- لسان العرب، اعداد وتصحيح: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، د.ت.

- النباهي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت 776هـ/ 1374م)

80- تاريخ قضاة الاندلس (المسمى بكتاب المرقبة العليا فمين يستحق القضاء والفتيا)، بيروت، 1979.

- النسائي، ابو عبد الله احمد بن شعيب بن علي (ت 303هـ/ 915م)

81- سنن النسائي، نشر: محمد علي بيضون، لبنان، دار الكتب العلمية، 2002.

- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م)

82- نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: مصطفى ابو صنيف، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1984.

- الونشريسي، احمد بن يحيى (ت 914هـ/ 1508)

83- المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله بن عبد المنعم (ت 626هـ/ 1228م)

84- معجم الأدباء، بيروت، دار المستشرق، د.ت.

85- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1957.

## ثانيا: المرجع الثانوية

- ارسلان، شكيب

86- الحلل السندسية في الأخبار والاثار الاندلسية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1936.

- ارنولد، توماس

87- تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، موصل، المطبعة العصرية، 1954.

- بالنثيا، انخل جنثالث

88- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مصر، مكتبة النهضة، 1955.

- البتنوني، محمد لبيب

89- رحلة الأندلس، بلا. م، مطبعة كشكول، 1927.

- بدر، احمد

90- تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، دمشق، 1974.

- بروفنسال، ليفي

91- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1956.

92- الحضارة العربية في أسبانيا، القاهرة، دار المعارف، 1979.

- بول، ستانلي لين

93- قصة العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مصر، دار المعارف، 1947

- بيج، بيرتون

94- البرج في العمارة الإسلامية الحربية، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981.

- بيضون، إبراهيم

95- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، بيروت، دار النهضة، 1978.

- الجناتي، محمد إبراهيم

96- المساجد وأحكامها في التشريع الإسلامي، النجف، مطبعة القضاء، 1948.

- الجيوسي، سلمى الخضراء

97- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

- حتي، فيليب

98- تاريخ العرب المطول، بيروت، دار الكشاف، 1951.

- الحجي، عبد الرحمن علي

99- اندلسيات، بيروت، دار الرشاد، 1969.

100- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت، دار العلم، 1976.

- حسن، إبراهيم حسن

101- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1964.

- حسين، كريم عجيل

102- الحياة العلمية في مدينة بلنسية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1976.

- حمودة، علي محمود

103- تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، نشر: محمد حلمي المنياوي، مصر، دار الكتاب العربي، 1957م.

- خلاف، محمد عبد الوهاب

104- قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري (الحياة الاقتصادية والاجتماعي)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.

- راضي، علي محمد

105- الأندلس والناصر، بلا. م، دار الكتاب العربي، 1967.

- الرفاعي، انور

106- الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والادبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، دمشق، دار الفكر، 1973.

107- الإنسان العربية والحضارة، دمشق، دا رالفكر، 1970.

- ريسلر، جاك. س

108- الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

- زامباور

109- معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة وإخراج: زكي محمد حسن بك وآخرون، بيروت، دار صادر، 1980.

- الزركلي، خير الدين

110- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.

- سالم، عبد العزيز

111- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، لبنان، دار المعارف، 1962.

112- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، بيروت، دار النهضة، 1971.

- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون

113- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل، 1986.

- شاخت، وبوزورت

114- تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري وآخرون، تحقيق: شاكر مصطفى، ط2، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1988.

- شافعي، فريد محمود

115- العمارة العربية الإسلامية (ماضيها وحاضرها ومستقبلها)، الرياض، جامعة الملك سعود، عمادة شؤون المكتبات، 1982.

- طه، عبد الواحد ذنون

116- دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1987.

117- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، 1982.

- العبادي، احمد مختار

118- دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1986.

119- الصقالبة في اسبانيا، مدريد، 1953.

120- في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة، 1971.

- عباس، إحسان

121- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط5، بيروت، دار الثقافة، 1978.

- عبد البديع، لطفي

122- الإسلام في اسبانيا، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة، 1969.

- عثمان، محمد عبد الستار.

123- المدينة الإسلامية، الكويت، المجلس الوطني للفنون والآداب، 1988.

- العزي، نجلة إسماعيل

124- قصر الزهراء في الأندلس، بغداد، مديرية الآثار العامة وزارة الإعلام، 1977.

- علي، سيد أمير

125- مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة: رياض رافت، القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1938.

- عنان، محمد عبد الله

126- الأثار الاندلسية الباقية، ط2، القاهرة، مؤسسة الخانجي، 1961.

127- تراجم إسلامية شرقية واندلسية، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1970.

128- دولة الإسلام في الاندلس، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988.

- غربال، محمد شفيق

129- الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1959.

- فكري، احمد

130- قرطبة في العصر الإسلامي، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.

- الفيلالي، عبد العزيز

131- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الانـدلس ودول المغـرب، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، د.ت.

- كونستبل، اوليفياريمي

132- التجارة والتجار في الانـدلس، ترجمة: فيصل عبد الله، الرياض، مطبعة العبيكان، 2002.

- الكيالي، سامي

133- في الربوع الأندلسية، حلب، مكتبة الشرق، 1963.

- كيب، جوزيف ماك

134- مدينة العرب في الاندلس، ترجمة: تقي الدين الدين الهلالي، بغداد، مطبعة العاني، 1950.

- لوبون، غوستاف

135- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعتير، ط3، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1956.

- متز، ادم

136- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الإسلام، ترجمة: احمد عبد الهادي ابو ريدة، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957.

- مرزوق، محمد عبد العزيز

137- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والاندلس، بيروت، دار الثقافة، د. ت.

- المزروعي، وفاء عبد الله بن سليمان

138- الخليفة الحكم المستنصر، السعودية، الدار السعودية للنشر، 1982.

- مصطفى، شاكر

139- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، الكويت، ذات السلاسل للطباعة والنشر، 1988.

- مورينو، مانويل جوميث

140- الفن الإسلامي في اسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع، مصر، الهيئة المصرية العامة، 1977.

- مؤنس، حسين

141- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1967م.

142- رحلة الاندلس حديث الفردوس الموعود، مدريد، الشركة العربية للنشر والطباعة، 1963.

143- شيوخ العصر في الأندلس، مصر، الدار المصرية، 1965.

144- فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959.

145- المساجد، الكويت، 1981.

146- معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، دار المستقبل، 1980.

147- موسوعة تاريخ الأندلس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1995.

- الهاشمي، التهامي الراجي

148- الأبواب بالاندلس، الرباط، مطبعة فضالة، 1979.

- هانس، فالتر

149- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1970.

- هلال، جودة ومحمد محمود صبحي

150- قرطبة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، دار القلم، 1962.

- هونكة، زيغريد

151- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون و كمال الدسوقي، ط5، بيروت، دار الأفاق، 1981.

- هيكل، احمد

152- الأدب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، القاهرة، دار المعارف، 1979م.

## ثالثا: الدوريات

- بلباس، ليوبولد توريس

153- الأبنية الإسلامية في اسبانيا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ترجمة: علية إبراهيم العناني، عددا، مدريد، 1953.

- الجنحاني، حبيب

154- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس في عصر عبد الرحمن الناصر (من خلال كتاب المقتبس لابن حيان)، مجلة المناهل، عدد 29، المغرب، 1948.

- خلاف، محمد عبد الوهاب

155- صاحب الشرطة في الاندلس، مجلة الاوراق، عدد3، مدريد، المعهد الأسباني الثقافي، 1980.

156- القضاء في قرطبة الإسلامية، مجلة المناهل، عدد 31، الرباط، وزارة الشؤون الثقافة، 1984.

- سالم، عبد العزيز

157- الاندلسي، دائرة معارف الشعب، عدد 61، القاهرة، 1959.

158- بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، عدد 1-2، مجلد5، مدريد، 1957.

159- العمارة الحربية بالأندلس، دائرة معارف الشعب ، عدد 64، القاهرة، 1959.

160- العمارة العربية الإسلامية، مجلة عالم الفكر، عددا، مجلد 8، بلا.م، 1977.

161- العمارة المدنية بالاندلس، دائرة معارف الشعب، عدد 64، مدريد، مطابع الشعب، 1959.

162- قرطبة في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، عدد 13، بغداد، 1980.

- طه، عبد الواحد ذنون

163- الاندلس من خلال صورة الأرض لأبن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد 23، بغداد، 1983.

- عبد العزيز، سحر

164- دار الطراز في عصر دولة بني أمية، مجلة دراسات أندلسية، عدد 13، تونس، 1995.

- الفندي، محمد ثابت وآخرون

165- مادة بلج، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 4، طهران، د.ت.

166- مادة الصقالبة، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 14، طهران، د.ت.

## رابعا: الرسائل الجامعية

- حسين، حازم غانم

167- الحياة العلمية والثقافية في الاندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1983.

- سلمان، مثنى فلفل

168- الحيـاة الاجتماعيـة في الأنـدلس خـلال القـرنين الثالـث والرابـع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بغداد، 1990.

- النقيب، احلام حسن

169- سياسة الخليفة الناصـر لـدين الله الداخليـة، رسـالة ماجـستير غـير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1988.

## خامسا: المصادر والدوريات الأجنبية

- Arie , Rachel

170- Abdal - Rahman III , emiret califede cadoue , Tome 10, Andlus Magazine , Tunis , 1993.

- Provencal , Leve

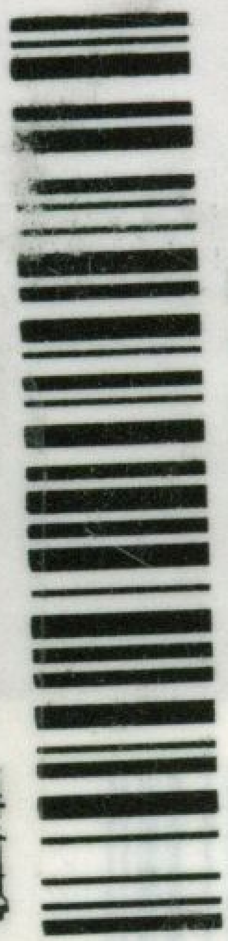
171- Histoire - DeL'es Pagne muslmane , Paris , 1967.

- Provencal & Emilio Gareia comez

172- una Cronica Anomima De Abd al – Rahman III AL Nasir, Madrid , Granada , 1950.

# الحركة العمرانية في قرطبة وضواحيها خلال القرن

الرابع الهجري / العاشر الميلادي









دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان - شارع الملك حسين
مجمع الفحيص التجاري - هاتف : 4611169 6 962+
تلفاكس: 4612190 6 962+ ص.ب 922762 عمّان 11192 الأردن
E-mail: safa@darsafa.net www.darsafa.net